المركز القومى للترجمة






# هوراتيوس

## الشاعر والمفكر

2/591

الطبعة الثانية



ترجمة: على عبد التواب على
صلاح رمضان السيد

مراجعة: محمد حمدى إبراهيم

# هوراتيوس
# الشاعر والمفكر
# (قراءة فى رسائل الكتاب الأول)

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٢/٥٩١
- هوراتيوس الشاعر والمفكر: قراءة فى رسائل الكتاب الأول
- على عبد التواب على، وصلاح رمضان السيد
- محمد حمدى إبراهيم
- الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة
Horace
"Epistles"


شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
**e.Mail**:egyptcouncil@yahoo.com **Tel.**: 27354524 - 27354526 **Fax**: 27354554

# هوراتيوس

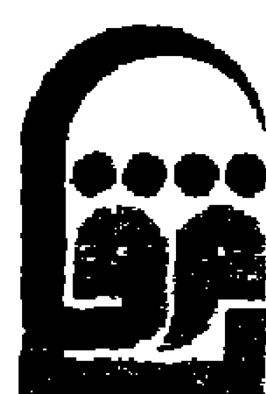
# الشاعر والمفكر
## (قراءة فى رسائل الكتاب الأول)

ترجمة ودراسة

على عبد التواب على و صلاح رمضان السيد

مراجعة وتقديم

محمد حمدى إبراهيم



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١١٨٢٨ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: 7 -408 -479 -977 -978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

---

# الفهرس

# تقديم المراجع

فن كتابة الرسائل فن قديم عرفته معظم الحضارات القديمة فى صورته المعروفة نثرًا ، كما أنه فن ازدهر على يد السوفسطائيين سادة الريتوريقا ، وظل يتطور بعدهم بانتظام ، وربما كانت رسائل الفيلسوف إبيقوروس (=أبيقور) من أفضل الأمثلة على هذا. غير أن فن الرسالة الأدبية المنظومة شعرًا يظل غرضًا له جاذبيته الخاصة وتفرده بين سائر الفنون الأخرى، خصوصًا حينما ينبرى للكتابة فيه شاعر متمرس حصيف مثل هوراتيوس، وأعتقد أنه لا يوجد فن أدبى آخر بوسعه أن يمنح الكاتب فرصة التعبير عن مكنون خلجات صدره، وعن أدق ما يجول بفكره من أسرار ومشاعر أفضل من فن كتابة الرسالة الأدبية . فهو بمثابة كيان يدق مع دقات القلب الرتيبة، ويكاد يمتزج بدم الكاتب، ويختلط مع عصارة فكره ، وكأنه توحد معه أو كاد .

وفى الوقت نفسه لا يوجد موضوع بعينه أو مجال محدد يمكن فرضه على مؤلف الرسالة الأدبية ، فإن لهذا المؤلف أن يسبح بفكره حيث شاء، وإن من حقه أن يختار لنفسه وبنفسه الميدان الذى يجب أن يرتاده بغير رقيب ولا حسيب. كما أن فن الرسالة الأدبية يتيح الفرصة للمؤلف كى يفيد من حنكته وخبرته التى تتراكم كلما خط الشيب شعره ، وكلما اكتسب المقدرة الباهرة على التعبير عن مكنونات فؤاده أو شطحات فكره، بمثل ما تيسر للشاعر هوراتيوس الذى عركه الزمان وأنضجته التجارب وحنكته السنون .

وفى تصورى أن هوراتيوس فى روما يقابل كاليماخوس فى الإسكندرية ، فكلاهما أمير لشعراء عصره ، وكلاهما شاعر متمكن من صنعته ورائد لسواه من الأدباء والمفكرين ، وكلاهما صانع ماهر يعرف دقائق فنه ويجودها على مر السنين. كما أن كليهما ناقد أدبى لا يشق له غبار ، وصاحب اتجاه نقدى يلقى الإعجاب من الكبار قبل

الصغار، بل إن كليهما قد فرض اسمه على عصره ، لا عنوة وقسراً بل طوعًا واختياراً، وكلاهما جعل قوانينه في التأليف الأدبي هي القوانين التي تلقى الإعجاب وتظفر بالاقتناع .

ولقد شاء هوراتيوس أن يقترن اسمه – ولو على استحياء – باسم أرسطو ، المعلم الأول ، فأقدم على تأليف رسالته الشهيرة بعنوان «فن الشعر»محاولاً أن تتحول على مدى الأعوام إلى كتاب في النقد الأدبي على غرار كتاب الشعر الأرسطي ، وكما أطلق كاليماخوس صيحته الشهيرة التي نادى فيها بأن «الكتاب الطويل شر وبيل» ، نادى هوراتيوس باعتصار الفكرة أو تقطيرها عند التعبير عنها باللفظ ، بغية تحقيق الإيجاز الذي ليس له مثيل ، وكما نادى كاليماخوس بالصقل والتشذيب لقصائد الشعر لتنال القدح المعلى ، وعبر عن ذلك في معرض انتقاده لقصيدة «ليدى» الضخمة التي ألفها «أنتيماخوس» من كولوفون ، وذلك بقوله : «ليدى قصيدة ضخمة وغير مصقولة» ، نجد هوراتيوس يعبر عن وجهة نظره التي يراعي فيها ضرورة مراجعة القصيدة وتشذيبها كل فترة من الزمن لتصل إلى أعلى درجات الإتقان وتغدو قصيدة مصقولة .

لقد عاش هوراتيوس في عصر «أوغسطس» وظفر برعاية وزير ثقافته «مايكيناس» ، وكان الفضل في هذه الحظوة الإمبراطورية لمكانته كشاعر فذ يعبر عن عصره خير تعبير ، ولقد أفلح هوراتيوس في الحفاظ على مكانته المتميزة لدى الإمبراطور ووزيره «مايكيناس» طوال عمره ، وحرص دومًا على ألا يصدر عنه ما يمكن أن يؤخذ عليه سواء تصريحًا أو تلميحًا . وكان هوراتيوس في الوقت نفسه أبًا روحيًا لشباب الشعراء أو المبتدئين في كتابة الشعر أو الراغبين في الانتساب لملكة الشعراء ، فمن أجلهم ألف رسالة «فن الشعر» ، ومن أجلهم أيضًا بث نصائحه السديدة وتوجيهاته الحكيمة في كل أعماله ، وبخاصة في الرسائل كما سيشاهد القارئ الكريم ؛ ولعله كان يختلق أحيانًا المناسبات اختلاقًا ليوجه إليهم نصحه وإرشاده .

ولقد صاغ هوراتيوس هذه الرسائل الأدبية شعراً في لغة راقية صافية تظفر منا بالإعجاب والثناء. وإذا كنا لا نجد في أسلوب هوراتيوس ذلك التدفق الشعري الذي نجده لدى شعراء ملهمين آخرين مثل «أوفيديوس» أو «فرجيليوس» ، إلا أننا نجد فيها عوضًا عن ذلك المنطق الرصين والفكر الفلسفي العميق الذي ينم عن استفادة هوراتيوس الجمة من دراسته للفلسفة في صدر شبابه، والحق أن هوراتيوس قد نهل

من ينبوع الفكر الإغريقي الخالد ، ورشف قطرات من النكتار، شراب الأرباب الخالدين ، وتقاسم معهم الأمبروسيا التي كانت تجدد خلاياهم وتمنحهم الخلود إلى أبد الآبدين .

ولقد تفوق الرومان في الإيجاز على الإغريق وبزوهم في تلك الخاصية ، رغم أن اللاكونيين (أو كما يعرفهم الكافة باسم الإسبرطيين والذين كانوا يعرفون قديماً كذلك باسم اللاكيدايمونيين) كانوا أبرع الإغريق القدامى في الإيجاز لدرجة أن كلمة **Lakonizein** المشتقة من اسمهم تعني المقدرة على الإيجاز غير المخل. وربما كان هوراتيوس واحداً من أبرع شعراء الرومان وأكثرهم قدرة على الإيجاز بل ربما جاز للإسبرطيين – سادة الإيجاز قديماً – أن يرمقوه بعين الحسد ، لأنه وصل في إيجازه إلى مرتبة سامقة وأصبح لهم منافساً خطيراً .

ولست أدري حقاً إن كنا في لغتنا العربية نمتدح الاختصار ونعجب بالإيجاز أم لا! فهناك في الحقيقة شواهد نصية كثيرة تبرهن على وجود ذلك الإعجاب، ولكن الممارسة الفعلية للكتاب قد تنفي وجوده ، بل إنها – على العكس من ذلك – تجعل الإطناب هو البديل الشرعي الذي لامنافس له . وفيما يتعلق بي فإنني – بصفة شخصية – أعشق الإيجاز لأقصى حد ممكن ، وأبذل قصارى جهدي دوماً لبلوغ هذا الهدف متبعاً شتى الوسائل الممكنة ، ولكن لا أزعم حقاً أنني حققت في هذا المجال ما أبغيه ، سواء في الكلمات المدونة أم في الكلمات الشفوية . ولكنني أتصور أنه لايوجد إيجاز في لغتنا العربية أبلغ مما جاء في القرآن الكريم ، وبوجه خاص في سرد قصص الأنبياء وسواهم من الأقدمين ، وأعتقد أن هذا السرد الموجز لحد الإعجاز والدرامي إلى أقصى الحدود أمر لا يقدر عليه إلا رب العالمين .

لقد تدرب هوراتيوس إذن في مدرسة الرومان الأدبية التي تجعل الإيجاز غاية منشودة لابد من الوصول إليها ، ولهذا فهو يسرد في أبيات قليلة ما يسرده غيره في صفحات كثيرة ، وهو يصوغ العبارة باقتدار ويترك لقارئه مساحة كافية لإعمال خياله واستنتاج ما لم يتم قوله صراحة ، ومن نافلة القول أن نذكر هنا أن اللغة اللاتينية ظلت حتى اليوم لغة الحكم والأمثال ، نظراً لخاصيتها الفريدة التي تتطلب الاختصار وتصل أحياناً لحد الاختزال ، وكلي أمل في أن يجد القارئ الكريم في لغة هوراتيوس وفي حبه الفائق للإيجاز ما يروي غليله ويبعث الإعجاب في نفسه ، وأخشى أن يجعله

هذا يتحسر على كثير من شعراء هذه الأيام الذين يكدسون أشعارهم فى تلال سرعان ما تصير إلى زوال .

والحق أنى عازف عن التحدث فى مثل هذا التقديم عن أمور كثيرة كنت أنوى التصدى لذكرها ، وذلك لأن المترجمين – وهما تلميذان نجيبان من تلاميذى أتنبأ لكليهما بمستقبل واعد – قد أسهبا فى عرضها وشرح دقائقها وتفاصيلها بحيث يصبح من نافلة القول أن أكررها . وإنى لعلى ثقة من أن القرّاء الأعزاء سوف يسعدون بلا شك أيما سعادة وهم يطوفون مع رسائل هذا الكتاب التى يصل عددها إلى عشرين رسالة ، فيعيشون وهم يطالعونها مع أفكار قدامى الرومان ، ويقفون على اهتماماتهم وعلى ما يضعونه موضع الصدارة من أمور ، وربما يندهش القارئ الكريم لذلك الطابع الإنسانى الخالد الذى يوحد بين مشاعر البشر ومشاربهم وميولهم وأهوائهم ، رغم تعاقب القرون التى تفصل بيننا وبين الرومان ، ورغم اختلاف الجنس والعصر واللغة والدين .

ويبقى لى فى الختام أن أعرب عن اغتباطى بمراجعة ترجمة هذا الكتاب ومقدمته وحواشيه عن الأصل اللاتينى ، فهو بحق قطعة من روائع الكلم . كما أعبر عن سعادتى بالجهد الذى بذله المترجمان متمثلاً فى المقدمة الضافية والحواشى الغزيرة والتعليقات الدقيقة ، وإنى لأشعر بالرضى حقًا عن اللغة ذات المستوى الرفيع التى تمنح الترجمة تلك النكهة المتميزة ، وإن أمثال هذه الترجمة سوف تظل فى مكتبتنا العربية على الدوام أنموذجًا يحتذى ، ونبراسًا تطلع عليه الأجيال القادمة ، وإرثًا ثمينًا من تراث الإنسانية ، ونافذة نطل منها على فكر الأمم التى سبقتنا ، ونبعًا تغذى مياهه الصافية النقية أرواحنا ، ومصدرًا يتيح لنا الاطلاع على نتاج الحضارات القديمة التى أسهمت فى تشكيل تاريخ العالم القديم بكل تمكن واقتدار .

والله الموفق والمستعان ......

**محمد حمدى إبراهيم**

# توطئة

عندما قام زميلى الدكتور على عبد التواب على بترجمة الكتاب الأول من رسائل هوراتيوس، والذى يحتوى على عشرين رسالة، وعهد إلىَّ بمراجعة الترجمة، فى هذه الأثناء طرأت لنا فكرة القيام بدراسة كاملة لهذا النص، طالما أنه قد نُقل بالفعل من اللاتينية إلى العربية ، وأيضًا كى يكون بمثابة دراسة متخصصة فى جزء من إنتاج شاعر واحد من الشعراء الرومان ، لاسيما وأن هذا الشاعر هو هوراتيوس، أحد أهم هؤلاء الشعراء . ومن ثم قمنا باقتسام تلكم العشرين رسالة بالتساوى بيننا، وهنا نذكر أن شاعرنا قد وجه عشراً من هذه الرسائل إلى أصدقاء له من ذوى المكانة المرموقة والنفوذ الكبير فى المجتمع الرومانى **potentes amici** ، ويأتى على رأسهم بطبيعة الحال صديقه وراعيه مايكيناس، الوزير الأول لأوغسطس ؛ وقد وجه إليه الرسائل الأولى والسابعة والتاسعة عشرة . أما لولليوس ماكسيموس ، قنصل عام ٢١ ق.م. ، وأحد أصدقاء الشاعر من نبلاء شباب الرومان ، فقد وجهت إليه الرسالتان الثانية والثامنة عشرة ، وإلى أوغسطس نفسه وجه الشاعر ، بأسلوب غير مباشر ، الرسالة الثالثة عشرة ، وإلى تيبيريوس كلاوديوس نيرو ، وجُهت الرسالة التاسعة ، وإلى سكرتير الأخير وهو كلسوس ألبيقانوس، كانت الرسالة الثامنة، وإلى يوليوس فلوروس، أحد أصدقاء تيبيروس ، وجُهت الرسالة الثالثة ، وخاطبت الرسالة السابعة عشرة شخصاً يدعى سكايقا ، وهذا الاسم يعنى «المهرج» ، وأغلب الظن أنه شخص غير موجود فى الحقيقة ، وأن الشاعر قد قصد فى الواقع مخاطبة راعيه مايكيناس .

أما الرسائل العشر الأخرى ، والتى قام بدراستها الدكتور على عبد التواب ، فقد وجهها الشاعر إلى أصدقاء له من غير ذوى النفوذ والمكانة **minores amici** وربما كان بعضهم مجرد شخصيات من وحى خيال هوراتيوس ، كى يتسنى له أن

يكون أكثر حريةً وصراحةً في حديثه وهو يرتدي عباءة مُعلّم الحكمة praeceptor sapientiae ، وهكذا أراد الرومان ذوو النزعة العملية في الحياة أن يصُوغوا ما وصلهم من فكر الإغريق وحكمتهم النظرية المجردة في نماذج أدبية ، محاولين صب هذا الفكر النظري في أنماط من أخلاق البشر ، كل ذلك بهدف تعليم الأجيال المتعاقبة من مواطنيهم وتثقيفهم ، وهكذا سادت النزعة التعليمية مختلف ضروب الإنتاج الأدبي عند الرومان .

وبإنجاز هذا العمل الذي جاء بجهد مشترك بين اثنين من شباب الباحثين ، نأمل أن تنال هذه التجربة قبولاً لدى المتخصصين في الدراسات الكلاسيكية في مصر ، وأن تلاحقها تجارب أخرى يعضد فيها جهود الزملاء بعضها البعض ، ويتكامل فيها الفكر ، وذلك من أجل إثراء تلك الدراسات التي تخدم جزءاً مهماً من تراث الإنسانية ، لا سيما وأن الصداقة amicitia تشكل إحدى دعائمه الإنسانية .

والله ولي التوفيق

**صلاح رمضان السيد**

القاهرة /يناير ٢٠٠٣م

# مقدمة

كـوينتـوس هوراتيـوس فـلاكـوس Q.Horatius Flaccus ، ولد فى ڤـينوسـيـا Vinusia[1] عـام ٥٦ ق.م. وتوفى عـام ٨ ق.م ، ينحدر من أسـرة هى على الأرجح من العبيد ، فقد كان أبوه عبداً معتقًا ثم أصبح فيما بعد تاجراً فى المزادات ، وقيل إنه كان يعمل محصلاً للضرائب ، غير أنه ظل فى عداد الفقراء . ورغم ذلك فقد حرص على أن ينال ابنه هوراتيوس تعليمًا متميزًا ، فأرسله إلى روما كى يدرس على يد أوربليوس، ثم أرسله فيما بعد إلى أثينا ، كى يواصل تعليمًا متعمقًا فى الدراسات الأدبية والفلسفية ، كما اعتاد علية القوم من الرومان . وقد لاحظ مايكيناس ، وزير أوغسطس ، موهبته المتميزة فى قرض الشعر حين قدمه له ڤرجيليوس عام ٨٣ق.م.[2] .

وقد كان هذا التاريخ نقطة تحول فى حياة هوراتيوس، حيث نال ثروة ومكانة فى مدينة روما ، حتى أنه فى وقت لاحق تمكن من الاعتذار عن عدم قبول عرض قدمه له أوغسطس ، لتولى منصب سكرتيره الخاص . ولقد أثنى شاعرنا كثيراً على والده، الذى كان بدوره مهتمًا بالفلسفة ، ولأنه كان حريصاً على رعاية ابنه ، فقد كان يصطحبه فى نزهاته ، ويردد على أذنيه النصائح والمواعظ، فلقنه بذلك ، وهو لا يزال فى معية الصبا، المبادئ الأخلاقية السامية وأبرز له الفرق بين الفضيلة والرذيلة ، وذلك عن طريق القصص المفيد الملئ بالنماذج البشرية الفاضلة ، وهو الأسلوب الذى كان شائعًا فى المدارس الفلسفية الإغريقية ، حيث استخدم الفلاسفة القصص النافع ليستخلص الناس منه العبرة والعظة . وهكذا ترسخت تلك الإرشادات الأولى فى نفس الصبى ، فلم ينسها طيلة حياته ، وظل ، رغم ما يحيطه من نقائص ورذائل تفشت فى عصره، على إخلاصه لمبادئه التى آمن بها منذ بدايته، سواء تجاه نفسه أو تجاه أصدقائه[3] .

وقد صرح هوراتيوس فى أعماله، بأنه كانت له هو نفسه أحيانًا بعض العيوب البشرية

التى ميزت شخصيتـه . ولكنه كان يحيـا دائمًا على أمل اكتساب الحكمة ، متخلصًا ما أمكنه من تلك العيوب. ولذا جاء اهتمام الشاعر الإنسان بتجسيد نقائض النفس ، وحرصـه على التدليل على أن التواضع فى القول والفعل والانفعال ، إنما يؤدى إلى السلامة . وجاء أيضًا تأكيده على وجوب محاولة التوجه إلى الوسط أى الاعتدال mediocritas، فكل فضيلة ماهى إلا وسط بين رذيلتين(٤) ، كما سبق وأن قال أرسطو:

**virtus est medium vitiorum (Ep. i, 18, 9)**

ولكن هوراتيوس يرى أيضًا أن هذا الوسط الأخلاقى الذهبى ، إنما يتوقف على طبيعة كل شخصية بمفردها ، وظروفها فى الحياة ، فهو موقف أخلاقى نسبى يتغير ويختلف من شخصية إلى أخرى ، وربما اختلف فى الشخصية الواحدة ذاتها . ولعلنا هنا نتذكر نظرية بروتاجوراس النسبية فى الأخلاق ، والتى يرى من خلالها أن الإنسان هو مقياس كل شيء ، حيث تختلف مشاعر الإنسان حسب حالاته النفسية والجسدية(٥) .

ولعل إخلاص هوراتيوس ، ووده الصادق لأصدقائه ، هو الذى دفعه إلى أن يعظ الجميع فى لباقة ولياقة راجيًا أن يحقق الناس أكبر قدر ممكن من التحلى بالأخلاق القويمة .

يُذكر أن هوراتيوس ، منذ شبابه الأول ، كان يميل إلى اعتناق مبادئ الفلسفة الإبيقورية ، فقد كانت هى الفلسفة السائدة لفترة ما ، خاصة فى عصر كل من لوكرتيوس، ويوليوس قيصر . لكن شاعرنا ، شأنه فى ذلك شأن أغلبية الرومان ، الذين لم يعتنقوا مبادئ مدرسة فلسفية بعينها فى ثبات ، بالإضافة إلى إسهاماتهم الفلسفية الأصيلة فيما ورد إليهم من أفكار الإغريق(٦)، عاد فأظهر ميله إلى مبادئ الفلسفة الرواقية(٧). وربما دار بخلد هوراتيوس ما أكده الفيلسوف إبيقوروس ، مُنشأ المذهب الإبيقورى ، ٣٤١ ق.م. – ٢٧٠ ق.م. ، أكثر من مرة ، وهو أن الفلسفة ليست لها قيمة تذكر ، إن لم تساعد البشر فى بلوغ السعادة(٨) ، فصرَّح فى الكتاب الأول من الرسائل ، أنه سوف يحلق بين الفلسفات المختلفة كى ينتقى منها ما يوائمه وأيضًا

ما يوائم الآخرين ، وأنه لن يظل مرتبطًا في ثبات بمدرسة أخلاقية بعينها ، ولعله بالفعل كان يروم في بحثه هذا بلوغ السعادة وبالمثل كان يروم للآخرين بلوغها .

وبعد حياة حافلة بالإنتاج الشعرى . لم يلق ذلك الإنتاج خلالها الاستقبال المناسب من قبل الجمهور الرومانى ، ذلك الأمر الذى سبب ألمًا عظيمًا لشاعرنا ، قرر أن يتخلى عن كتابة المزيد من القصائد الموجهة إلى هذا الجمهور[٩] . ولكن يبدو أنه بعد أن أنفق كل هذه السنين في الحديث عن كثير من موضوعات النقد الأدبى ، التى تأثر فيها برائد فن الهجاء لوكيليوس ، قد وجد ضالته المنشودة في التفرغ التأمل الفلسفى ، واختار لهذه المهمة وعاءً أدبيًا يتميز بالخصوصية ، خصوصية الإبداع وخصوصية التلقى ، ألا وهو الرسائل ، ويُذكر أن الرسالة (επιστολη) كانت من الوسائل الأدبية المعبرة عن المزاج الشخصى عند الإغريق ، حيث يكون المخاطب بها شخصًا بمفرده يختاره المبدع ، ولم تكتب لمخاطبة الجمهور[١٠] . ومن قبل ذلك ، كانت الرسالة أحد الأشكال الأدبية التى استخدمها الكتاب والفلاسفة من الكلبيين والإبيقوريين في توصيل مبادئهم التى اعتنقوها إلى الناس . ونذكر من هؤلاء الفيلسوف كراتيس الطيبى ٣٦٥ –٢٨٠ق.م. وكذا ميلانيبيديس ، الذى عاش في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد . ومن ثم أصبحت الرسالة – فيما بعد لدى الرومان – أحد فنون التعبير الأدبى ، مثلما وجدنا في رسائل سبوريوس موميوس التى ورد ذكرها لدى شيشرون، كما وُجد الشكل الرسائلى في هجائيات لوكيليوس[١١] .

وحين قرر هوراتيوس أن يشرع في كتابة الرسائل ، نجده يقرر في رسالة يوجهها إلى صديقه وراعيه مايكيناس ، أن يتخلى عن كتابة الأشعار ذات الطبيعة المازحة ، وأنه من الآن فصاعد قد عقد العزم على أن يكرس نفسه لدراسة الفلسفة ، والتى يرى أنها تكبح جماح غرائز النفس ، وأنه لن يقدم شيئًا آخر على الفضيلة بعد الآن:

**«لذلك فإننى الآن أطرح جانبًا كلا من الشعر والموضوعات الأخرى المازحة،**
**فأهتم وأنشد ما هو حقيقى ولائق ، وأنغمس فيه بكل كيانى »**

**nunc itaque et versus et cetera ludicra pono;**

**quid verum atque decens curo et rogo et omnis in hoc sum;**

**(Ep. I, 1, 10-11)**

ويرى الأستاذ إ . فراينكل E. Fraenkel [١٢] أن هوراتيوس كان بالفعل يعنى ما قاله فى الأبيات السابقة ، وذلك رغم مسحة السخرية من النفس التى كانت مألوفة لدى الشاعر (ειρωνεια) والتى توحى بها عبارته **et versus et cetera ludicra** ، وذلك فى إشارة منه إلى ما كان ينغمس فيه من الشهوات أحيانًا .

ولكن يبقى أن نقول إنه من الأفضل ألا نعتبر إحساس الشاعر بضياع جهده الإبداعى دونما كلمة شكر ، هو السبب الأوحد وراء قراره بترك الشعر الغنائى إلى الفلسفة ، لكنه ربما رأى أنه من الأفضل له أن يغير مجرى إبداعه الشعرى ، حين وجد أنه لايتدفق فى سهولة مثلما كان. وأغلب الظن أن هوراتيوس قد وجد فى نفسه حاجة ماسة إلى أن يكرس وقته وفكره كى يشرح بالتفصيل ما يدور فى خلده من مشاكل فلسفية أخلاقية ، تمس فى المقام الأول صميم حياة الإنسان فى صراعه لبلوغ الحكمة التى قد تؤدى بدورها إلى السعادة[١٣] ، تلك الحكمة التى كان قد أدركها فيما مضى من العمر ، وقد حددها بما يلى :

« الذى يرتبط بنا أكثر و(ما يُعد) الجهل ( به ) أمرًا سيئًا»

**quod magis ad nos pertinet et nescire malum est,**

**(Sat. ii, 6, 72-73)**

وهنا فى الرسائل يشير إليها مرة أخرى :

« وذلك الشيء الذى منه ، وبنفس القدر ، يستفيد الفقراء والأغنياء »

**quod aeque pauperibus prodest, locupletibus aeque,**

**(Ep. i, 1, 25)**

وهنا يتضح لنا أن الأفكار التى أضحت تسيطر على شاعرنا الآن ، وقد نضج فكره وأصبح أكثر سيطرة على انفعالاته ، قد يلزمها وعاء أدبى جديد وهو الرسائل، وذلك لما تتسم به الرسالة من إنشاء علاقة حميمة وخاصة بين المرسل ومتلقى الرسالة، وقد رأى هوراتيوس أن يصب فى هذا الوعاء أفكاره بالتفصيل .

ويُذكر أن الرســائل المنظــومة شعراً كانت قــد أصـبحت إنتاجًا أدبيًا مألوفًا . وذلك حين نظم هوراتيوس رسائله ، إلا أن تميز هذا العمل ، يكمن في أنه قد جاء في تسلسل مقصود احتوى عشرين رسالة موجهة إلى الأصدقاء نظمت كلها في البحر السداسي ، وبهذا يصبح شاعرنا أول من أفرد كتابًا كاملاً للرسائل الشعرية .

ومن الجدير بالذكر أيضًا أنه كان لرسائل الأصدقاء مكانة راسخة في الأدب قبل ظهور هوراتيوس أيضًا : فهناك رسائل أفلاطون وأرسطو وإبيقوروس عند الإغريق ، وهناك رسائل كاتو الأكبر . وكورنيليا ابنة سكيبيو أفريكانوس الأكبر وأم الأخوين جراكوس ، وكذا رسائل شيشرون[14] .

وقد أعلن الشاعر من قبل في غنائياته عن دينه وتأثره من حيث النوع الأدبي بكل من أرخيلوخوس وبيون وأيضًا تأثره بسابقو وألكايوس . وفي الهجائيات أعلن عن دينه لسلفه لوكيليوس ، مؤسس فن الهجاء ورائده عند الرومان ، لكنه لم يحدد لنفسه أنموذجًا حين كتب الرسائل . وربما كانت رسائل شيشرون هي أنموذجه ، ولكن رسائل شيشرون لم تكن ذات مضمون فلسفي ، بل كانت مراسلات شخصية ذات مضمون سياسي اجتماعي في المقام الأول ، مما يضعف هذا الاحتمال[15] .

ولعلنا لا نغفل العلاقة الحميمة بين الرسائل والهجائيات عند هوراتيوس ، فالبحر المستخدم في الاثنين هو البحر السداسي الداكتيلي . ومن حيث المضمون يطرح الاثنان موضوعات متماثلة ، فيصوران الإنسان في صراعه الأخرق لتحقيق رغباته الحمقاء . وذلك في سياق دفاع الشاعر عن أسلوبه الذي اتخذه لنفسه في الحياة وأيضًا في الكتابة[16] ، مستعرضًا عيوب الإنسان ونقائصه الأخلاقية . ومن بين شذرات هجائيات لوكيليوس ، نجد مثالاً واضحًا على الرسائل المنظومة شعراً ، حيث يخاطب صديقًا له في الكتاب الخامس ، كان هذا الصديق قد غفل عن زيارة الشاعر أثناء مرضه ذات مرة :

« على الرغم من أنك لم تسأل عني ، فسوف أخبرك بحالتي الآن ،

طالما أني مكثت بين تلك الجماعة التي لايتمي الشطر الأعظم من البشر إليها . »

**quo habeam pacto, tam etsi non quaeris, docebo,**

**quando in eo numero mansi,**

**quo in maxima non est pars hominum. (186-189)**

وفى الكتاب السادس والعشرين ، نجد لوكليوس يخاطب فى الأبيات من ٦٨٩ إلى ٧١٩ ، صديقه كونجوس Congus ، ناصحًا إياه أن يكتب الشعر عن أحداث معاصرة ، لا أن يكتب النثر عن أحداث ماضية . وربما يكون لدينا هنا من لوكيليوس أنموذجان من الرسائل ، ظهرا أيضًا لدى هوراتيوس ، وهما رسائل المناسبات والرسائل التعليمية[١٧] . وفى الرسالة الأولى من الكتاب الثانى ، والتى يوجهها هوراتيوس إلى أوغسطس، يتناول فيها الشاعر بالتفصيل الحديث عن الشعر، وعن أصوله وطابعه وميزاته فى نبرة تعليمية واضحة .

ويرى إكورباود E. Courbaud أن الرسائل تمدنا بمعلومات وافية عن حياة هوراتيوس وشخصيته ، وما حدث فى أفكاره من تطور فلسفى ، فالرسائل الأولى والرابعة والخامسة تعكس مرحلة الفلسفة الإبيقورية فى حياة الشاعر ، والرسالة الثامنة تعكس مرحلة الشك ، والرسائل السادسة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة تعكس لنا تأثره بالفلسفة الرواقية ، وأما الرسائل من الرابعة عشرة حتى السادسة عشرة ، فهى تمثل مرحلة الثبات والنضج[١٨] .

ويرى ر. هاينز R. Heinze أن هوراتيوس قد استعان بالشكل الرسائلى كى يعبر فيه عن أفكاره الفلسفية وعن آرائه ونصائحه وشكواه ، مقتفيًا فى ذلك آثار النموذج الرسائلي الفلسفى الإغريقى المتمثل فى رسائل إبيقوروس[١٩] .

أما إ. ب. موريس E. P. Morris فيؤكد أن تأليف الرسائل قد جاء كنتيجة باعث حقيقى واختيار جاد للشاعر ، كى يتناول من خلاله أفكاره الفلسفية بلون مازح فكه، وكان العنوان هو آخر ما يشغل بال هوراتيوس[٢٠]. وهنا نذكر أن هؤلاء الفلاسفة قد صاغوا كتابات الفلاسفة الإغريق ، التى احتوت التعاليم الأخلاقية الجادة والقويمة ، فى أسلوب مازح فكه ظريف ، فعُرفت كتاباتهم هذه بالمصطلح το σπουδαιολογον ، أى مزج الجد بالهزل ، أو بالأحرى مضمون فلسفى جاد وعميق يُصب فى أسلوب فكه ظريف ، يصل الظرف فيه إلى حد التهكم والسخرية، وذلك سيرًا على نهج التهكم السقراطى . وهكذا استطاع هؤلاء الفلاسفة بما نثروا فى

كتاباتهم وأحاديثهم من قصص مفيد ، تُستخلص منه العظة والعبرة ، أن يأسروا مسامع الناس ، ونجحوا بذلك فى أن يجعلوا مادتهم الجادة العميقة ، خفيفة على النفوس . ويُذكر هنا أن هذه الأساليب كانت مألوفة لدى أعضاء دائرة سكيبيو الأدبية ، ولدى غيرهم من أدباء الرومان(٢١) ، وبالتالى أثرت فى مختلف الأنواع الأدبية التى كتبوا فيها .

أما ج. ولیامز G.Williams فيرى أن رسائل هوراتيوس ، كانت شكلاً جديداً من الشعر لم يظهر له نظير تقريبًا فى الأدب اللاتينى ، لكنه أتاح للشاعر أن يكتب فى ألوان متنوعة إلى حد كبير ، تنوعت بين النصح والإرشاد والاعتراض والقبول والرفض. وعرض الآراء بحذر فيما يخص قبولها أو رفضها ، مؤكداً أن هوراتيوس كان يهدف إلى أن يكون لعمله هذا أثر أخلاقى فى الناس ، وذلك من خلال استخدامه للحكايات الأسطورية ، وأيضًا من خلال بوحه بمواقف من سيرته الذاتية(٢٢) .

أما س. و. ماكليود C.W. Macleod فيرجح المضمون الفلسفى العميق لهذه المجموعة من الرسائل ، بينما يرى أن الصداقة كانت من أهم المعانى الأخلاقية التى تناولها الشاعر(٢٣) .

وإذا ما أخذنا فى الاعتبار فكرة الرسائل الشخصية الموجهة إلى شخص بعينه ، وما بها من توصيات أو نصائح ، كما هو الحال فى مجموعة رسائل هوراتيوس ، هذا إلى جانب المضمون الفلسفى ، فربما نلمح هنا تأثيراً لرسائل شيشرون(٢٤) ، حيث يناقش شيشرون فى عمله « عن الصداقة de Amicitia » مبادئ الصداقة ويصل بالطبع إلى مناقشة الأخلاق السياسية أو مبادئ التعامل فى السياسة ، وذلك بوحى من آراء سقراط وأفلاطون ، فى محاولة للتوفيق بينهما كى تناسب المجتمع الرومانى. ولكن ج. س. ريد J. S. Reid يرفض تطبيق المصطلح eclectic (انتقائى) تحديداً على شيشرون فى طريقة تعامله مع الآراء الفلسفية الإغريقية(٢٥) . ويضيف أن شيشرون ومن ساروا على نهجه ، لم يقوموا بتحديد مذهب انتقائى ، لأنهم أرادوا أن تكون المناقشات حرة خالية من أى تعال فكرى ، وبها دائمًا قدر كبير من التسامح تجاه آراء الآخرين . وهذا هو الدرس الذى تعلمه شيشرون من الأكاديمية الإغريقية ، كتابع لها؛

ويُذكر أن هوراتيوس قد أشار ضمنًا فى بداية رسائله إلى دينه للأكاديمية ، حين صرح بأنه سوف يبحث ويفكر :

« فأهتم وأنشد ما هو حقيقـى ولائق ، وأنغمس فيـه بكل كيانى»

quid verum atque decens, curo et rogo et omnis in hoc sum.

(Ep. i, 1, 11.)

وهوراتيوس هنا يؤكد أنه سوف يبحث بعمق عن الحكمة ، ويستفسر ويقلب الأمور ولن يقبل أو يسلم بمبدأ بعينه أو عقيدة ثابتة ، وهنا نتذكر رفض شيشرون لأن يكون مجرد تابع خاضع addictus et consecratus لعقيدة dogma[٢٦] بعينها. وقد أورد هوراتيوس فى رسائله ما يؤكد عدم تسليمه بمبدأ ثابت أو محدد ، محاولاً أن يحتفظ باستقلاليته عن كل المدارس التى تتخذ من العقيدة منهجًا لها :

« وحيثما تحملنى العاصفة ، سأحل ضيفًا »

quo me cumque rapit tempestas, deferor hospes.

(Ep. i, 1, 15.)

وفى الرسالة الأولى ، يؤكد شاعرنا لراعيه وصديقه مايكيناس على ضرورة رفض الآراء والقيم الخادعة ، معتبراً هذه الخطوة هى برهان بلوغ الحكمة :

« الفضيلة تكمن فى تجنب الرذيلة ،

وبداية الحكمـة تكمن فى التحرر من الحماقة »

virtus est vitium fugere et sapientia prima

stultitia caruisse. (Ep. i, 1, 41-42)

ومما سبق نتوقع أن تتواتر بكثرة المواقف الأخلاقية الفلسفية فى الرسائل ، وهى المواقف التى يرى ر. س. كيلباتريك R.S. Kilpatrick أنها فى نهاية المطاف تعد مواقف رواقية صميمة[٢٧] . ويعضد هذا الرأى ما يؤكده إ. كورباود . من أن شخصية الحكيم

الرواقى بسماتها يمكن استخلاصها من الرسائل السادسة والعاشرة والحادية عشرة ، وكذلك نجد مبدأ «الثبات والنضج» mature constantia ، فى الرسائل الرابعة عشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة[٢٨] .

ويُذكر أن ثمة دليلاً واضحًا لدى شيشرون ، وبصفة خاصة فى عمله « عن الواجبات » "De Officiis" ، على أن الأكاديمية قد أُعيد توجيهها بواسطة أنطيوخوس ، خليفة فيلو فى رئاستها ، حيث قام أنطيوخوس بإعادة تأسيس أخلاقياتها بثبات على الآراء الفلسفية الرواقية .

ويرى شيشرون فى نظرة الرواقيين إلى مشاعر الصداقة ، شيئًا ما يجب أن يُمتدح بحرارة :

« سأكون قد آزرت الرواقيين ، أصدقائى الكثيرين،

الخيرين جداً ، المتحابين جداً فيما بينهم »

**sustinuero Epicuros, tot meos familiares,**

**tam bonos, tam inter se amantes.** [٢٩]

ويُذكر أن كلاً من جايوس تريباتيوس تيستا C.Trebatius Testa ، وجايوس كاسيّوس لونجينوس C.Cassius Longinus الرواقيين ، كانا من أصدقاء شيشرون ، وقد حدث أن عرفهما هوراتيوس[٣٠] . ومن ناحية أخرى ، فقد أكد الأبيقوريون على قيمة الصداقة ، وعدوها ثمرة من ثمار سلام العقل وسعادته ، وفى الحديقة الأبيقورية مارس الأصدقاء هذه العلاقة كدليل قائم على تبجيلهم لرائدهم إبيقوروس[٣١] .

وقد وجه شيشرون عمله de Amicitia إلى صديقه الحميم أتيكوس Atticus ، وهو إبيقورى صميم ، وقد جعل المتحدث الرئيسى فيه هو جايوس لايليوس C.Laelius ، هذا الرجل الذى كانت صداقته لكل من سكيبيو أفريكانوس ولوكيليوس ، قد أصبحت مثالاً يحتذى به كعلاقة إنسانية[٣٢] . ويذكر أن شيشرون قد أدرك الأصول الإلهية للصداقة ، رابطًا إياها بالنية الحسنة benevolentia ، والحنان caritas[٣٣] . وهو يرى أن الفضيلة بمفردها هى أعظم المعانى ، حيث إن رابطة الصداقة لابد وأن تقوم على الفضيلة ، ولا يمكن أن تقام بدونها ، فالخيرون فقط هم الذين يستطيعون أن يكونوا

أصدقاء amici . والحكيم sapiens هو من يستطيع أن يكون خيّراً ، وذلك لأن الخيرين هم بالطبيعة مخلصون وعادلون وكرماء ومتحررون من الانفعالات والنزوات والغطرسة[٣٤] . ومن المرجح أن عمل شيشرون «عن الواجبات» – إلى جانب عمله «عن الصداقة » – قد أثر أيضاً في مجموعة رسائل هوراتيوس[٣٥] . ويأتي هذا العمل في شكل رسالة يوجهها شيشرون إلى ابنه ماركوس الذي يدرس الفلسفة في أثينا ، وحين شرع شيشرون في كتابة هذه الرسالة، كان قد رأى أن ينسحب من الحياة في مدينة روما إلى الريف ملتمساً العيش في هدوء ودعة (De Off. iii. 1. 1.) . وقد قسم شيشرون الواجبات officia إلى قسمين ، قسم نظري هو : غاية الخير ad finem bonorum ، وآخر تطبيقي : الاستخدام الدنيوي usus vitae (De. Off. i. 3. 7)[٣٦] . وقد كان باناتيوس Panaetius (١٨٩-١٠٩ ق.م.) قد قسم الواجبات من قبل إلى ثلاثة أقسام ، هي: لاجدوى منه inutile أو نافع utile ، أو غير جدير بالتقدير turpe honestum . وقال بوجود أربع فضائل أصلية ، هي معرفة الحقيقة veri cognitio ، ثم العدالة وفعل الخير iustitia et beneficentia ، أما الثالثة فهي الجلد ، وأما الرابعة فهي التواضع modestia أو الاعتدال temperantia,[٣٧] .

ويرى هوراتيوس ، في تعبير آخر جديد أن الانشغال بما هو حقيقي ولائق verum atque decens ، أي أول الفضائل الأربعة عند باناتيوس ، هو مصدر كل الفضائل الأخرى .

وفي الرسالة الثانية من المجموعة ، ينصح هوراتيوس صديقًا له بتدارس فضيلة ضبط النفس temperantia ، وهو أحد مظاهر الفضيلة الأربعة عند باناتيوس ، وهنا يختار الشاعر درسه الفلسفي والأخلاقي من هوميروس :

« فهو الذي يخبرنا بما هو جميل ، وما هو قبيح ،
وما هو نافع ، وما هو غير مفيد ، وذلك بطريقة أوضح
وأفضل من كل من خريسيبوس وكرانتور »

**qui, quid sit pulchrum, quid turpe, quid utile, quid non,**

**planius ac melius Chrysippo et Crantore dicit.**

**( Ep. i, 2, 3-4)**

وقد أراد هوراتيوس أن يتناول فى الرسائل شخصيات حقيقية مستمدة من حياته الخاصة ، التى أمدته بوفرة من الموضوعات الحقيقية، تأرجحت بين الجدية والتفاهة، لكنها تبقى حقيقية ، وهو الأمر الذى اتفق وطبيعة هذا الفن الاتصالى الحميم، أى فن الرسائل[٣٨]. ورغم ميل الشاعر واتجاهه إلى التأمل الفلسفى العميق، إلا أنه لم يعزل نفسه عن المجتمع ، بل جعل القضية ، قضية عامة فأصبحت مشتركة بينه وبين القراء ، واتخذ من المبادئ الفلسفية السابق عرضها خلفية ثابتة ، كى يصل إلى الحقيقة الجلية. ويرى الأستاذ إ. فراينكل أن هوراتيوس بموضوعيته وإخلاصه ، قد قدم لنا هذه المجموعة المكونة من عشرين رسالة ، والتى تعد فى رأيه من أروع إبداعات الأدب اللاتينى[٣٩] . وتقع رسائل هوراتيوس فى كتابين ، يضم الأول منها عشرين رسالة كما ذكرنا من قبل، ونشر عام ١٩ق.م. ، أما الثانى فيضم ثلاث رسائل ، أشهرها تلك التى أشار إليها كوينتيليانوس تحت اسم «فن الشعر» "Ars Poetica" .

# الهوامش

(١) كان حرف الـ V فى اللاتينية يُستخدم أحيانًا كحرف لين ، وأحيانًا أخرى كحرف جامد . وكان يُعد جامدًا أو نصف لين هذا إن سُبق بحرف Q أو حرف G وأحيانًا إن سُبق بحرف S ، أو إن تُبع بحرف لين آخر ، ونطقه اللين يأتى مثل نطق حرف (الواو)، وكان هذا النطق سائدًا ، على الأقل ، خلال العصر الكلاسى . لكن فى العصور المتأخرة أصبح نطقه اللين مثل نطق حرف الـ U فى اللغات الأوربية الحديثة، ويُذكر أن الرومان لم يعرفوا لهذا الحرف ، أى حرف الـ V، شكله المستدير U ، لكن الدارسين للغة اللاتينية هم الذين دأبوا على كتابته بهذا الشكل U وذلك عند وروده كحرف لين ، ( كما تفعل اللغة الإنجليزية عند كتابته بعد حرف الـ Q ).

(٢) د. أحمد عتمان ، الأدب اللاتينى ، ودوره الحضارى حتى نهاية العصر الذهبى، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار المعارف (١٩٩٥م) ، ص ٢٨١.

(٣) د. محمد حسن وهبه ، تاريخ الأدب الرومانى ، فى البداية وحتى نهاية العصر الذهبى، القاهرة ، (١٩٩٧-١٩٩٨) ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٤) د. أحمد عتمان ، نفس العمل ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٥) د. أميرة حلمى مطر ، الفلسفة عند اليونان ، دار النهضة العربية ، القاهرة (١٩٦٨) ، ص ١٢١-١٢٢.

(٦) A.A. Long, Hellenistic Philosophy. 2nd. Edit., Univ. of California (1986), p. 13.

(٧) د. محمد حسن وهبه ، نفس العمل ، ص ٣١١ .

(٨) A.A. Long, op. cit. p. 21.

(٩) E.Fraenkel, Horace, Oxford, (1957) p. 308.

(١٠) أحمد عتمان ، الأدب الإغريقى تراثًا إنسانيًا وعالميًا، دار المعارف ، القاهرة (١٩٨٦) ،. ص ١٠ .

(١١) Cambridge History of Classical Literature, ii Latin literature, pp.162.

(١٢) E.Fraenkel, op. cit., p. 308-309.

(١٣) ibid., p. 308.

(١٤) R.S. Kilpatrick, The Poetry of Friendship, Canada, (1986), p. xiii.

(١٥) ibid., p. xiv, cf. E.Fraenkel, op . cit., pp. 17 ff.

(١٦) R.S.Kilpatrick, op. cit., p. xiv.

(١٧) E.Fraenkel, op. cit., p. 383.

apud R.S. Kilpatrick, op. cit., p. xv. (١٨)

ibid., pp. xv-xvi. (١٩)

E.P. Morris, "The Form of the Epistle in Horace", YCS 2 (1931), p. 87. (٢٠)

G.C. Fiske, Lucilius and Horace, Madison, (1966), p. 175. cf. L.Giangrande, The Use of Spoudaiologon in Greek and Roman Literature, Paris (1972), p. 27. (٢١)

G.Williams, Tradition and Originality in Roman Poetry, Oxford, (1968) pp. 28-29. (٢٢)

C.W. Macleod, "The Poetry of Ethics, Horace Epistles i", JRS 69 (1979), pp. 16-27. (٢٣)

R.S. Kilpatrick, op. cit., p. xvii. (٢٤)

J.S. Reid, M.Tulli Ciceronis Academia, London(1885), pp.13-15. (٢٥)

Cic., Tusc, ii, 2, 5. (٢٦)

R.S. Kilpatrick, op. cit., p. xviii. (٢٧)

apud R.S. Kilpatrick, p. xviiii. (٢٨)

J.S. Reid, op. cit., p. 19. (٢٩)

S.Momigliano, Review of B. Faringtom, "Science and Politics in the Ancient World," JRS 37 (1947), pp. 149 ff. Cf. N.W. De Witt, "Epicurean Doctrine in Horace," CPh 34 (1939), pp. 127-134. (٣٠)

Idem, "Parrhesiastic Poems of Horace," CPh 30 (1935), p. 134; Cf. Cic., Acad., ii, 115. (٣١)

Hor., Sat., ii, 1, 71-74. (٣٢)

Cic., de Am., 6, 20. (٣٣)

ibid., 6.20, 4.5, 17.20, 5.19. (٣٤)

W. Wili, Horaz, Basel (1948), pp. 27, 337-339. (٣٥)

A.A. Long, op. cit., pp. 212-213. (٣٦)

Cic. de Off., i, 4, 73; i, 6, 18; i. 18. 61; i, 27, 93. Cf. A.A. Long, op. cit., pp. 212-213. (٣٧)

E.Fraenkel, op. cit., p. 309. (٣٨)

ibid., pp. 309-310. (٣٩)

# الرسالة الأولى

يعد المضمون الأخلاقى فى الرسالتين الأولى والثانية من هذا الكتاب هو الاهتمام الأول لشاعرنا هوراتيوس ، وهذا المضمون يتركز فى معنيين يريد الشاعر أن يوصلهما إلى القارئ ، ألا وهما : تهذيب النفس ، وثانيهما : حث الآخرين على القيام بمحاولة تهذيب النفس . ولعل الحديث فى مظهره العام يبدو وأنه يأتى ضمن موقف بين الشاعر ومايكيناس ، راعيه وفى نفس الوقت صديقه الحميم ، وهو موقف يريد فيه مايكيناس من الشاعر أن يستمر فى كتابة الشعر . لكن هوراتيوس يرى أن أوان قرض الشعر قد فات وأن عليه الآن ، وقد مرت السنون ، أن يعتزل قرض الشعر ، مثله فى ذلك ، مثل المجالد الذى يترك حلبة المصارعة فى الوقت المناسب وبمحض إرادته ، قبل أن يُجبر على ذلك عندما يضعف أو يعجز عن الدفاع عن نفسه أمام خصمه ؛ وكذلك كما يجب أن يفعل السائس بجواده العجوز ، أن يسحبه من المضمار قبل أن يتعثر قرب نهاية السباق .

ولكن القراءة المتأنية لمادة الرسالتين الأولى والثانية توحى للقارئ بمحاولة الشاعر اقناع الآخرين بما يسوقه لهم من نصائح وعظات[1] . والرسالة الأولى تنبأ بوضوح تام ببداية مرحلة جديدة فى حياة شاعرنا ، حيث يصرح أنه من الآن فصاعداً ، سوف يدع كتابة الشعر ، وسائر وسائل اللهو ، وسوف يصب جل اهتمامه فى البحث عما هو حقيقى ولائق verum atque decens . وهو ما يوحى لنا بأن هوراتيوس يتجه إلى البحث فى الفلسفة[2] ، وذلك بعد أن كان اهتمامه ، كما صرح بذلك من قبل ، هو أن يقول الحقيقة فى أسلوب لطيف ضاحك :

ridentem dicere verum.[3]

ويذكر هنا أن أسلوب هوراتيوس فى الإشارة إلى نفسه لا يخلو كعادته من السخرية الواضحة ، وهو الأمر الذى يبدو من تشبيه نفسه بالمجالد العجوز أو الجواد

الذى لم يعد يستطيع مواصلة السباق . وتبدو السخرية أيضًا من اختياره للكلمات لهو ludus وأمور فكهة مازحة ludicra ، وهى التشبيهات التى توحى أيضًا بتأثر هوراتيوس بشيشرون فى عمله « عن الشيخوخة»[٤] .

ولكن هوراتيوس فى صدر حديثه عن ڤيانيوس المجالد فى حلبة المصارعة ، نكر أنه بعد أن اعتزل اللعب ، يعيش الآن متواريًا فى الريف . وهنا يسوق لنا الشاعر فكرة العيش فى الريف فى هدوء ، والانسحاب من حياة المدينة الصاخبة :

« يعيش (الآن) متواريًا فى الريف»

latet adbitus agro. (5)

وهى فكرة نكتشف أهميتها فيما بعد لدى هوراتيوس ، وقد أشار إليها مرة أخرى هنا فى الرسالة الأولى ، فنراه يضع نفسه عن اقتناع بموقف شخصى iudicia بعيداً ولا يشارك أصدقائه اهتماماتهم وهواياتهم ، رغم أنه يعيش معهم فى أروقة مدينة روما ، وذلك فى إشارة إلى رغبة ملحة لديه فى ترك المدينة والذهاب للعيش بالريف[٥] .

ويعد هذا التحول الفكرى فى حياة هوراتيوس مفتاحنا إلى فهم الرسائل ، وتأتى علاقة الصداقة amicitia التى تربطه براعيه مايكيناس كى تكشف لنا عن الدافع الثانى وراء كتابة هذا الكتاب ؛ وذلك كما يقول الأستاذ ر. س. كيلباتريك لعدم إمكانية فصل الحكمة sapientia عن الصداقة amicitia ، هذه العلاقة الإنسانية فى أشعار هوراتيوس[٦] . فالمعضلة لدى الشاعر لا تكمن فى عدم قدرة الشاعر على تلبية رغبة صديقه الحميم مايكيناس ، وهى مواصلة قرض الشعر ، لكنها تكمن فى ذلك الصوت الذى يحاول فى إلحاح أن يثنى الشاعر عن كتابة الشعر . وهوراتيوس يسمع هذا الصوت بوضوح لأن أذنه نقية صافية ، فهو الآن بصدد أن يُعِدَ نفسه كى يتلقى النصائح الحكيمة ، يسديها بدوره إلى الآخرين :

« هناك من يردد بإلحاح فى أذنى النقية ،

كن حصيفًا فى الوقت المناسب وأطلق سراح الجواد العجوز ،

كى لا يتعثر قرب النهاية ، فتنهال سخرية الناس عليه وهو يجر بقية جسمه »

(٧-٩)

ولعل المغزى الأخلاقى هنا يكمن فى كلمة sanus «حصيفًا» وفى معنى الفعل peccet كى لا ، أوخشية أن [٧] .

والسطور السابقة تذكرنا بما ورد من ذكر للحكمة فى الرسالة الثامنة :

« ثم تذكرى أن تهمسى فى أذنيه دومًا بهذه الحكمة »

praeceptum auriculis hoc instillare memento : (16)

وفى السطر الثالث عشر نلاحظ اختيار هوراتيوس الرائع للكلمات وهو يهم بأن يتحول إلى التفكير الفلسفى والكتابة عن الحكمة ، فنجد الفعلين condo et compono (أدخر وأجمع) ، وبهما نجح فى أن يوحى لنا بنشاطه السابق على مدى سنوات العمر فى مجال الشعر. ويرى الأستاذ ل.ب ويلكينسون L.P. Wilkinson أن هوراتيوس قد أراد أن يستفيد من دراساته الفلسفية السابقة كى يحيا حياة أفضل، وأنه بالفعل لم تكن لدية النية فى أن يكتب الشعر مرة أخرى،حين أراد أن يرتب بيته الفلسفى[٨]. لكن بعض الدارسين يرون أن الشاعر قد صرح بقوله بأنه سوف يدع كتابة الشعر وسائر وسائل اللهو et versus et cetera ludicra pono ، وأن المقصود بهذه العبارة تحديداً هو التخلى عن كتابة الشعر الغنائى فقط[٩] . ولكن يُلاحظ أن كلمة versus قد استخدمها الشاعر كثيراً للتعبير عن فن الهجاء[١٠] ، وعموماً فإن الصفة ludicra وكذا الكلمة ludus فى البيت الثالث من الممكن أن يفهم منهما أن المقصود هو قرض الشعر فى موضوعات لاهية مثل احتساء الخمر أو ممارسة الحب .ولكن من الممكن أن تكون الكلمة versus قد وُصِفت بالصفة ludicra ، وذلك على اعتبار أن كتابة الشعر – أى نوع من الشعر – يُعد ludus ، أى ضرباً من الهزْل[١١]. والرأى الأرجح أنه فى غياب الإشارة المحددة إلى الغنائيات فإننا يجب أن نأخذ العبارة versus et ludicra على أنها تعنى ترك كتابة الشعر كله . ويرى الأستاذ م. ج. مكجّان M.J. McGann– وهو الرأى الذى نميل إليه – أن تُأخذ هذه العبارة على أنها تأتى كمقدمة لكتاب الرسائل هذا[١٢] ، هذا الكتاب الذى سوف يتضح أن هدفه الأساسى والوحيد هدف أخلاقى سامٍ :

« إننى غير مرتبط (بعهد) لأى معلم ،
وحيثما تحملنى العاصفة سأحل ضيفًا .
فتارة أصبح مشغولاً وغارقًا فى أمواج شئون الدولة ،
حارسًا صارمًا للفضيلة الحقيقية ونصيراً صعب المراس ،
وتارة أخرى أعاود الانسلال خلسة إلى مبادئ أرستيبوس،
وأحاول أن أخضع الظروف لى،لا أن أخضع نفسى للظروف »

(١٥-١٧)

ويتضح من الأبيات السابقة أن شاعرنا ، على حد زعمه ، غير مرتبط أو مدين لأستاذ **magister** بعينه (قارن الرسالة الرابعة عشرة)، مما يذكرنا بنفس المعنى الذى ورد عند شيشرون فى عمله «المناظرات التوسكولانية»[١٣] . ويُذكر أن شيشرون قد خصص هذا العمل ، الذى كتبه حوالى عام ٤٥ق.م. ، للبحث فى الأسباب التى يمكنها أن تحقق السعادة للإنسان فى هذه الحياة . وتحديداً فقد جاء الكتاب الرابع من بين الكتب الخمسة لهذا العمل للبحث فى كيفية التغلب على الاضطرابات والمصائب والأهواء التى تحول بين الإنسان وبين تحقيق السعادة[١٤] .

ولعل ما يدعيه هوراتيوس من انتقائية فى تعامله مع المدارس الفلسفية الأخلاقية المختلفة ، يدعم الرأى الذى يرى أن الكتاب الأول من الرسائل لم يأت كبيان أو كتقرير نظرى ، يريد به الشاعر تأييد نظرية معينة فى الفلسفة . إلاّ أن اعتراف الشاعر بالتأرجح بين المدارس الفلسفية لا يعد مؤشراً يعول عليه فى القطع بانتقائية هوراتيوس فى هذا الكتاب . فالشاعر هنا يبالغ حين يعلن استقلاله الفكرى[١٥] ، ولكن هذا الإعلان من جانب الشاعر ربما يكون مساعداً فى تأكيد الفكرة المهمة التى سوف تأتى بعد ذلك فى هذا الكتاب ، وهى فكرة « عدم الاتساق الفكرى » .

ويرى الأستاذ ر.س. كيلباتريك أن الرسالة الأولى بمقدمتها التى تتحدث عن رفض الاستمرار فى كتابة الشعر ، بسبب الاتجاه إلى الفلسفة ، وبنهايتها التى تتحدث عن الإنسان الحكيم **sapiens** واعتباره النموذج الروحى الأمثل للإنسان فى تأرجحه بين

اللذة وبين السيطرة على شهواته وأهوائه ، تعد نموذجًا للحديث الزاخر بشكوى الإنسان من قدره mempsimoira فى هذه الحياة(١٦) .

لكن هوراتيوس قد اقتنع الآن أن الفلسفة هى مرشده الوحيد الذى يمكن أن يأخذ بيده وبيد الآخرين ، لمعالجة النفس من أهوائها التى تفسد عليها محاولة تحقيق السعادة . ولذا يبدأ الشاعر نقداً ساخراً عنيفًا فى البيت التاسع والعشرين ، حيث نجده يحث على فضيلة الاعتدال ، والتخلص من نقيصة الإسراف ، والطمع فى المال حتى يصير الإنسان جشعًا . ويورد الشاعر بعض النقائص الأخلاقية التى يجب على الإنسان أن يتخلص منها تماماً كما يتداوى المريض من العلل الجسدية. ومن هذه النقائص حب الإطراء والمدح amor laudis والحسد invidia ، والغضب iracundia ، والخمول inertia ، وإدمان الخمر inebrietas ، كذلك الإفراط فى ممارسة الجنس . وفى ذات الوقت يرى هوراتيوس أنه يجب على الإنسان أن يسعى إلى معالجة نفسه من كل هذه النقائص أو الأمراض الأخلاقية ، وألا ييأس من الشفاء أبداً ويرى أنه من الممكن أن نخفف من حدة هذه الأمراض الأخلاقية عن طريق العقل واتباع الصواب من الأفعال :

« هناك كلمات وأقوال تتمكن بها من تخفيف
هذا الألم والتخلص من جل الداء » .

sunt verba et voces, quibus hunc lenire dolorem,
possis et magnam morbi deponere partem. (34-5)

وهوراتيوس – وهو يتمسك بالأمل فى الشفاء من نقائص النفس وأهوائها – يندفع مفعماً بهذا الأمل نحو تحديد الفضيلة :

« (بداية) الفضيلة تكمن فى تجنب الرذيلة ،
وبداية الحكمة تكمن فى التحرر من الحماقة»

virtus est vitium fugere et sapienia prima
stultitia caruisse. (41-2)

فالتقدم نحو الفضيلة – كما يرى هوراتيوس في الأبيات السابقة – أمر ممكن ، إذا ما أمكن للإنسان أن يستبعد من تصرفاته المفاهيم الأخلاقية المتناقضة ، مثل الحماقة **stultitia** ، في مقابل الحكمة ، وهو الأمر الذي بيّنه شيشرون :

**progressio quaedam ad virtutem.**(١٧)

ويرى الأستاذ أ. أولترامارى **A.Oltramare** أن الرسائل الأولى والثانية والسادسة والعاشرة من هذا الكتاب ، هي عبارة عن انتقادات فلسفية عنيفة وساخرة(١٨) .

ويتجلى هذا النقد الفلسفي الساخر العتيق في استخدام الضمير الشخصي «أنت» **tu** ، وذلك حين يبدأ الشاعر هجومه على أولويات الإنسان الكاذبة وعلى قيمه المعكوسة، من خلال عرض بعض النماذج الاجتماعية المألوفة ، مثل نموذج التاجر والرجل الفقير ، والسياسي القمع بالطموح . وهي نماذج تأتي كلها متناقضة مع نموذج الملاكم الفقير الذي يكتسب رزقه من الملاكمة ، لكن إن واتته فرصة نيل شرف التتويج في الألعاب الأوليمبية المجيدة ، فلن يدع الفرصة تفوته ، ولن يفرط في التاج الأوليمبي ذي القيمة العليا (٥٠–٥٢) . فالشاعر يركز على إبراز التناقض بين أن تفعل شيئًا **rem facere** ، أي شيء ، وبين أن تفعل الصواب **recte facere**، ويضرب المثل على ذلك بالصبية أثناء اللعب (٥٩–٦٠) .

وهوراتيوس حين ينتقد ، ينتقل من الخاص إلى العام ، فينتقد الشعب الروماني برمته ، لأنه قد أتخم بالقيم الأخلاقية المتناقضة :

«لذلك فماذا يتعين على أن أتبع ، ومن هو الشخص الذي أسير خلفه؟
إنك إذن وحش ذو رؤوس عديدة ،
هناك فريق من الناس يسعده أن يستحوذ على المال العام ،
وهناك من يوقع الأرامل الطامعات في حبائله بالطعام الشهي والفاكهة
وهناك من يقبض على الشيوخ ثم يقذف بهم في البرك والأحواض ،
ويربو المال لدى الكثيرين بالفائدة الخفية (الربا) .
ولكن الحقيقة أن الناس على اختلاف مشاربهم ينشغلون
بشئون متباينة واهتمامات مختلفة». (٧٦–٨٠)

ويلاحظ أن كلمة **belua** «وحش» تشير إلى الشعب الروماني **populus Romanus**، وهي بلاشك تعد صدى لعبارة أفلاطون التي وردت في الجمهورية[١٩].

ويرى هوراتيوس أن الشخص الواحد نفسه لا يستطيع أن يكون على اتساق مع نفسه حتى في الأشياء التي يفضلها (٨١-٩٠) ، لا فرق في ذلك بين غني أو فقير، فالرجل صاحب الثروة المعقولة هو أيضا متقلب المزاج ، مثله في ذلك مثل الرجل صاحب الثروة الضخمة ، فالكل متقلب المزاج (٩١-٩٣) .

وبعد ذلك توحي لنا صيغة الأمر **ride** «اضحك» بأن الشاعر قد عاد إلى مخاطبة صديقه وراعيه مايكيناس ، حيث ينتقل من استخدام الضمير **tu** كأداة للوعظ الفلسفي الأخلاقي إلى مخاطبة مايكيناس . حيث يرى أنه سوف يضحك إذا ما رأى شعره غير مصفف أو أن عباءته غير متناسقة وغير أنيقة ، وهذا الأمر يتعلق بالمظهر الخارجي للشخص . ويضيف هوراتيوس أن مايكيناس لن يضحك إذا ما وجده غير ثابت التفكير ، لا يتسق أخلاقياً أو نفسياً مع مبادئه التي عُرفت عنه، وهو الأمر الجدير بحق بأن يثير السخرية والضحك رغم ما في الأمر من حساسية . فهوراتيوس صديق محسوب على راعيه مايكيناس ، وليس من الملائم أن يراه راعيه على هذا التضارب النفسي ويصمت ، ورغم ذلك فلن يوليه مايكيناس عنايته ، فليس هناك طبيب يرعاه ولا حارس يحرسه ، لأن الأمر لم يلفت انتباهه .

وفي نهاية القصيدة يعود الشاعر للتأكيد على مشاعر الصداقة نحو مايكيناس، وتوقيره له واعتماده عليه ، وإقراره بأياديه البيضاء .

ويأتي ختام القصيدة ليتحدث عن براعة الحكيم الرواقي، الذي هو سام في أخلاقه مثل الملوك ، ولكنه لا ينجو بالطبع من الضعف البشري ، فكل هذه الصفات يمكن أن تذهب أدراج الرياح إذا ما أصيب هذا الحكيم مثلاً بالأنفلونزا المزعجة . وهذا المعنى ربما يُفسَر بأن هوراتيوس يريد أن يعطي لنفسه فرصة التراجع عن الالتزام الصارم بحياة الفيلسوف الحكيم . ولكن الأستاذ م. ج. مكجَان يرى أن قصد الشاعر هنا بذكر الحكيم الروماني هو التذكير بأن الاعتدال أمر مطلوب على إطلاقه ، بل إنه مطلوب أيضًا حتى في أثناء اتباع الإنسان للفضيلة ومحاولة أن يحظى بها . فهوراتيوس هنا لا يريد أن يسحب التزامه الفلسفي ، وإنما يريد أن يتحاشى أن ينهي الرسالة بتعهد صريح قد يُأخذ عليه[٢٠] .

تريد يا مايكيناس ، أيها المخاطب فى أول قصيدة (ألهمتها لى) كامينا (ربة الشعر)[٢١] ،
ويا من يجب أن يُخاطب فى آخرها ، أن تحبسنى مرة أخرى فى المدرسة القديمة ،
أنا المبتلى حتى الكفاية ، بعد أن مُنحت السيف الخشبى ،
إن العمر ليس كما كان ، وكذا مزاجى .
ڤيانيوس[٢٢] ، وقد علق أسلحته على باب هركوليس ،
يعيش (الآن) متواريًا فى الريف ،
كى لا يستجدى الجمهور مراراً (وهو) على حدود ساحة النزال .
هناك من يردد بإلحاح فى أذنى النقية :
"كن حصيفًا فى الوقت المناسب وأطلق سراح الجواد العجوز ،
كى لا يتعثر قرب النهاية ، فتنهال سخرية الناس عليه وهو يجر باقى جسمه" .
لذا فإننى الآن أطرح جانبًا كلاً من الشعر والموضوعات الأخرى المازحة ،
فأهتم وأنشد ما هو حقيقى ولائق ، وأنغمس فيه بكل كيانى .
إننى أدخر وأجمع ما قد أستطيع أن أستحضره فى القريب .
أوتسأل مصادفة ، بأى قائد وبأى مأوى أحتمى .
إننى غير مرتبط بعهد لأى معلم ، وحيثما تحملنى العاصفة ، سأحل ضيفًا .
فتارة أصبح مشغولاً وغارقًا فى أمواج شئون الدولة .
حارسًا صارمًا للفضيلة الحقيقية ونصيراً صعب المراس .
وتارة أخرى أعاود الانسلال خلسة إلى مبادئ أرستيبوس[٢٣] ،
وأحاول أن أخضع الظروف لى ، لا أن أخضع نفسى للظروف .
فكما يكون الليل طويلاً على من تخدعهم خليلة ، وكما يبدو النهار طويلاً على الأجراء،

وكما(يمر) العام بطيئًا على القصر، الذين تتحكم فيهم الوصاية الصارمة لأمهاتهم،
فإن الوقت على هذا المنوال عليّ يمر بطيئًا مذمومًا ،
وهو الذى يعوق أملى ومرامى فى أن أنجز بحماس ذلك العمل الذى
سيفيد كلاً من الفقراء والأغنياء سواء بسواء ،
لكنه إن أُهمل سيضر بنفس القدر الصبية والشيوخ .
ويبقى أن أرشد نفسى بنفسى ، وأسرى عنها بهذه المبادئ .
لن يمكنك أن تبصر بعينيك المدى الذى يبصره لينكيوس[24] ،
ولعلك بسبب ذلك لا تأنف أن تتداوى ، عندما تصيب القروح عينيك،
ولعلك أيضًا لا تيأس (من أن تحظى بقوة) أطراف جليكون[25] الذى لا يُقهر ،
أولا ترغب فى أن تحمى جسدك من عقد النقرس !
فعلى المرء أن يتقدم بخطاه نحو الأمام ، حتى لو لم يسمح له بمزيد (من الخطى) .
ترى هل يشتعل صدرك بالطمع ونزوة وضيعة ؟
هناك كلمات وأقوال تتمكن بها من تخفيف هذا الألم ، والتخلص من جُل الداء .
هل تنتفخ أوداجك بحب المديح ؟
هناك تعاويذ بعينها قادرة على أن تعيد تشكيلك ، إن قرأت كتيبًا بصفاء ثلاث مرات .
الحسود ، سريع الغضب ، الكسول ، السكير ، الشهوانى :
لا يوجد من بينهم من هو همجى إلى الحد الذى لا يستطيع (معه) أن يغدو متحضراً ،
لو أنه فقط أعطى للدواء أذنًا صاغيـة .
بداية الفضيلة تكمن فى تجنب الرذيلة ، وبداية الحكمة تكمن فى التحرر من الحماقة .
فها أنت ترى بأية معاناة للفكر والجسد، يمكنك أن تتحاشى ثروة متواضعة وفشلاً مخزيًا ،
تلك الأشياء التى توقن أنها أعظم الشرور .
إنك مثل تاجر نشيط ، تهرول إلى بلاد الهند البعيدة ،

عبر البحر ، فاراً من الفقر عبر الصخور ، عبر النار .
فليتك لا تهتم بتلك الأشياء التى تُعجب بها ببلاهة ، بل تتمناها ،
ألا ترغب فى أن تتعلم وتستمع وتثق بمن هو أفضل منك ؟
فأين هو المصارِع ( الذى يتسابق فى منازلات) القرى وعند تقاطع الطرق ،
ثم يحتقر أن يُتوج فى الألعاب الأُوليمبية المجيدة، حيث يتوافر لديه الأمل
والفرصة المواتية فى الفوز بغار النصر بلا عناء ؟
الفضة أقل قيمة من الذهب ، والذهب أقل قيمة من الفضائل .
"فيا أيها المواطنون ، أيها المواطنون ، يجب أن يُنشد المال في المقام الأول ،
أما الفضيلة فيجب السعى إليها بعد المال " !
إن بوابة يانوس[٢٦] من أعلاها لأسفلها تعظ (الناس) ،
بهذه الكلمات ، وهذه هى المبادئ التى يرددها كل من الشباب والشيوخ كذلك،
وقد علقوا على الذراع الأيسر حقائبهم وألواح الكتابة .
لديك المشاعر والأخلاق والفصاحة والسمعة الحسنة ،
بيد أنه– إن كـان ينقصك ستـة أو سبعـة آلاف (سستـر كيس) من الأربعـمائة ألف–
ستصير من الدهماء.
لكن الصبية ، بينما يلعبون ويلهون ، يصيحون : "ستصير ملكًا إن تفعل الصواب" ،
فليكن جدارنا هذا من البرونز ،
كى لا يشعر المرء بأى إثم ولا يشحب وجهه من أى خطأ .
أخبرنى ، أرجوك ، أيهما أفضل ، قانون روسكيوس ؟ أم أنشودة الصبية ،
التى تمنح المُلك لمن يفعلون الصواب ؟
أهى الأنشودة التى طالما رددها رجال كوريا وكاميللا ؟
ترى هل ينصحك على نحو أفضل ، ذلك الذى ينصحك بأن تكسب المال

بطريقة مشروعة إن استطعت ،
وأن تكسبه بأية طريقة إن لم تستطع،
وذلك كى تشاهد من موقع أقرب مسرحيات بوبيوس[٢٧] الباكية ؟
أمْ ذلك الذى يقف بجوارك ويشد من أزرك ويجعلك حراً وصلبًا تتحدى القدر المتغطرس؟
لكن إذا سألنى الشعب الرومانى ذات مرة :
لماذا لا أستمتع معهم على هذا النحو بنفس الآراء مثلما أستمتع معهم بنفس الأروقة؟
ولماذا لا أتبع الأشياء التى يحبونها أنفسهم أو أفر من تلك التى يكرهونها ؟
فإننى سأُجيب مثلما ردت الثعلبة الفطنة ذات مرة على الأسد العليل بقولها :
«لأن آثار الأقدام تخيفنى ، فجميعها تشير إلى أنها متجهة صوبك ،
ولا يوجد أثر واحد يشير إلى الاتجاه العكسى .»
إنك إذن وحش ذو رؤوس عديدة .
لذلك فماذا يتعين على أن أتبع ، ومن هو الشخص الذى أسير خلفه ؟
هناك فريق من الناس يسعده أن يستحوذ على المال العام ،
وهناك من يوقع الأرامل الطامعات في حبائله بالطعام الشهى والفواكه ،
وهناك من يقبض على الشيوخ ثم يقذف بهم فى البرك والأحواض ،
ويربو المال لدى الكثيرين بالفائدة الخفية (الربا) .
ولتكن الحقيقة أن الناسَ على اختلاف مشاربهم ينشغلون بشئون متباينة واهتمامات مختلفة:
فهل يتمكن أشخاص بعينهم أن يواظبوا على حب أشياء بعينها لمدة ساعة واحدة ؟
فإذا قال الثرى : "إنه لا يوجد خليج فى العالم يتفوق على خليج باياى[٢٨] المبهج ".
فإن البحيرة وكذا البحر يشعران بلهفة سيدهما المتسرع ،
الذى إذا هيأت له نزوة دنيئة أن يتطير[٢٩] (قائلاً) :
"أيها الصناع ستنقلون أدواتكم غداً من هنا إلى تيانوم"[٣٠].

وإن كان لديه فراش زوجية بفناء منزله فإنه يقول :
"لا شيء أفضل أو أحسن من حياة العازب" ،
وإن لم يكن متزوجًا ، فإنه يقسم أن الهناء (مقسوم) للمتزوجين فقط .
فبأى قيد أمسك بروتيوس [٣١] ذو الوجه المتبدل ؟ وماذا عن الشخص الفقير ؟
إن لك أن تضحك فهو يغير غرف طعامه ،وفراشه وحماماته وحلاقيه ،
ويصاب بدوار البحر فى قارب مؤجر ،
تمامًا مثل الثرى الذى يتنزه مبحراً فى يخته الخاص .
إذا قابلتنى أيها المتحذلق ووجدت أن حلاقًا غير ماهر قد حلق شعرى بغير عناية،
فإنك ستضحك وستضحك أيضًا إن كان قميصى غير متناسق الأطراف تحت عباءتى .
فماذا إذن لو اختلط على الأمر وتضاربت آرائى مع بعضها ،
بحيث أصبح عقلى يحتقر الآن ما كان يصبو إليه من قبل ،
ويرغب الآن مرة أخرى فيما كان يرفضه مؤخراً ؟
أليس هذا (عقلاً) متخبطًا ومتضاربًا فى كل أمور الحياة !
ألا يدمر ويبنى ويحول المربعات إلى دوائر ؟
إنك تعتقد أن الشيء الطبيعى هو أننى قد جننت وعندئذ لن تضحك ،
وستعتقد أننى لست فى حاجة إلى طبيب ولا إلى حارس مخصص لى من قبل البرايتور ،
رغم أنك القائم على شئونى والمسئول عنها ،
ورغم أن الحنق سيستولى عليك من الظفر غير المشذب ،
ظفر الصديق الذى يعتمد عليك ويوقرك .
والخلاصة إن الحكيم لن يقل شأنًا إلا عن چوبيتر وحده،
إنه ثرى وحر وذى منزلة رفيعة وجميل المحيا ،
وبإيجاز فهو ملك الملوك ، وفوق كل ذلك فهو صحيح البدن ،
إلا إذا أصابته نزلة برد ورشح مهلكة .

# الهوامش

(١) M.J. McGann, Studies in Horace's First Book of Epistles, Bruxelles (1969), p. 33.

(٢) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 2.

(٣) حول أصول هذا المبدأ الفلسفى decens أو decorum عند الفيلسوف الإغريقى بنايتيوس ، انظر :
M.J. McGann, op. cit., pp. 10-12; cf. A.A. Long, op. cit., pp. 187- 188, 190-192, 203-204.

(٤) Cic., de Senectute, 5. 14.

(٥) M.J. McGann, op. cit., p. 34.

(٦) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 3.

(٧) M.J. McGann, op. cit., p. 34.

(٨) L.P. Wilkinson, Horace and his Lyric Poetry, Cambridge (1951), p.105.

(٩) H.Wagenvoort, Studies in Roman Literature, Culture and Religion, Leiden (1956), p. 34.

(١٠) Cf. Hor., Sat., i, 4, 8; 10. 40 ff.; ii, 1, 4; 6, 21.

(١١) Cf. Hor., Sat., i, 4, 138f.

(١٢) M.J. McGann, op. cit., p. 35.

(١٣) Cic., Tusc. 4. 7.

(١٤) M. Hadas, The Basic Works of Cicero, New York (1951), pp.61-62.
قارن د. عبد العظيم عبد الكريم ، الأدب الرومانى ، منذ البداية حتى نهاية عصر شيشرون ، القاهرة ( ١٩٨١ - ١٩٨٢ )، ص ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(١٥) M.J. McGann, op. cit., p. 35.

(١٦) R.S. Kilpatrick, op . cit., p. 3; cf.Cic., de Rep., i, 1; ad Fam., 9.20.

(١٧) Cic., Acad. i, 5, 20.

(١٨) A.Oltramare, Les Origines de la Diatribe Romaine, Paris (1926), p.139.

(١٩) يُذكر أن أفلاطون قد تخيل النفس في صورة وحش متعدد الرءوس والأشكال، وله حلقة من رءوس حيوانات من كل الأنواع ، منها ما هو أليف ومنها ما هو متوحش، وأن لديه القدرة على أن يزيد من عددها ، ويغير في أشكالها : Plat., Rep., 588

قارن د. فؤاد زكريا ، جمهورية أفلاطون ، دراسة وترجمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ ، ص ٥٢٣.

(٢٠) M.J. McGann, op. cit., p. 37.

(٢١) كامناى Camenae : هن ربات رومانيات ، يرتبط اسمهن بكلمة Carmen (نبوءة)، أى أنهن حوريات يقمن بالتنبؤ ؛ وترى بعض المصادر أنهن أتين إلى إيطاليا من أركاديا. والكامناى عددهن أربعة (أنتيڤورتا Antevorta، بوستڤورتا Postvorta ، كارمنتا Carmenta ، كامينا Camena ) ، وقد كان الشعراء منذ عصر ليڤيوس أندرونيكوس يحتفون بكامينا Camena (ربة الشعر)، وكانوا يساوون الكامناى بالموساى عند الإغريق .

(٢٢) ڤيانيوس Vianius : مبارز مشهور ، معاصر لهوراتيوس ، اعتزل المبارزات وهو فى قمة تألقه .

(٢٣) أرستيبوس Aristippus : هو أرستيبوس بن أريتاديس Aritades ، ولد في قورينة وأسس بها مدرسة فلسفية ، ذهب إلى أثينا ليرى معلمه سقراط (Plut., De Curios, ii) ، وبقى إلى جواره حتى أُعدم عام ٣٩٩ ق.م. ، ورغم أنه تلميذ لسقراط إلا أنه نادى بآراء بعيدة كل البعد عن تعاليم معلمه . كان أرستيبوس يحب الحياة الوثيرة ، وكان يتقاضى أجرًا على تعاليمه ، وكان راغبًا عن الفلسفة الطبيعية وكرس نفسه لفلسفة الأخلاق ، وكتب مقالات منها: «عن التعليم» ، «عن الفضيلة» ، «عن الحظ» .

(٢٤) لينكيوس Lynceus : هو ابن أفاريوس Aphareus ، وأرينى Arene ، وشقيق إيداس Idas ، وقد كان أحد أفراد طاقم السفينة أرجو ، وقد اكتسب شهرة لفرط حدة بصره ، حتى أنه صار مضرب المثل في هذا الشأن .

(٢٥) جليكون Glycon : هو رياضي من برجامون ، كتب له أنتيباتر من ثيسالونيكا شاهدًا لقبره .

(٢٦) يانوس Ianus : هو إله لاتيني قديم له وجهان ، وهو إله البدايات والمداخل وإنجاز الأعمال ، شيد له نوما معبدًا شمال السوق العامة Forum ، وكان معبده يُفتح عند إعلان الحرب ويُغلق وقت السلام . وقد قام نوما أثناء تقسيمه للتقويم الروماني بإطلاق اسمه على الشهر الأول Januarius ، وجعله على رأس كل البدايات . كانت بعض الأقواس بالسوق العامة تحمل اسمه ، وتحت هذه الأقواس كان الرومان يجرون معاملاتهم المالية .

(٢٧) بوبيوس Pupius : هو كاتب تراچيدى روماني ، تميزت مسرحياته بكثرة المشاهد المثيرة للبكاء ، وكان يقول إنه عندما سيموت سيبكي أصدقاؤه وأقاربه بشدة ، لأنه اعتاد أن يُبكى الجميع فى حياته .

(٢٨) يقع خليج باياى Baiae في نابولى ، وهو يشتهر بحماماته الكبريتية (cf. Ep. i, 15, 2) .

(٢٩) كان التطير هو السبيل المعتاد للتنبؤ ، ومصدر الفأل للرومان ، ولكن الأثرياء كانوا لا يذهبون للعراف بل كانوا يعتمدون على هواهم ونزواتهم (cf. Verg., Aen, ix, 185) .

(٣٠) تيانوم Teanum : هى إحدى مدن إقليم كامبانيا .

(٣١) بروتيوس Proteus : هو إله بحرى ، وكان من رعايا الإله بوسيدون ، وقد أقام في جزيرة فاروس ولذلك لقبه هوميروس بالمصرى (Hom., Od., iv, 355, 385). وكان لبروتيوس قدرة خاصة على التلون والتغير ، فكان يغير شكله ، فإن تمكن أحد من الإمساك به كان يظهر بصورته الحقيقية ويتنبأ له بالمستقبل .

# الرسالة الثانية

تُصنّف هذه الرسالة ضمن المجموعة التى وجهها هوراتيوس إلى أصدقائه من الشباب الذين يصغرونه فى العمر ، تلك المجموعة التى تحوى الرسائل التالية : الثانية، الثالثة ، الثامنة ، التاسعة ، السابعة عشرة ، الثامنة عشرة .

أما الرسائل التى تحمل أرقام (١، ٧، ١٣، ١٩) فقد وجهها الشاعر إلى أصدقائه من نوى النفوذ والسلطان **potentes amici** ، وهما بالتحديد مايكيناس وأوغسطس ، أصحاب السلطة العليا فى البلاد . وأظهر فيها هوراتيوس نوعًا ما من الحساسية فى التعبير ، الشىء الذى يلزم عند الحديث إلى مثل هذه الشخصيات . وتتجلى هذه الحساسية حين يريد هوراتيوس إعطاء مايكيناس جل اهتمامه ، دون أن يشعرنا بإهماله لأوغسطس ، وهناك تسع رسائل وجهها الشاعر إلى معاصريه من رجالات روما ، وتأتى الرسالة الأخيرة وهى الرسالة العشرون كخاتمة لهذه المجموعة من الرسائل[١] .

ونرى اهتمام هوراتيوس واضحًا بمخاطبة الشباب ، فى أنه قد خصص ست رسائل وجهها إليهم ؛ وقد خوطب لولليوس ماكسيموس مرتين ، مرة فى الرسالة الثانية وأخرى فى الثامنة عشرة ، وبين هؤلاء خاطب هوراتيوس الشاب تيبريوس ، ابن زوجة أوغسطس فى الرسالة التاسعة . وقد ورد ذكر حملات تيبريوس على الشرق فى هذه الرسالة وفى الرسالة الثالثة والثامنة عشرة ، وذلك لأن عضوية كتائب هـذه الحملة كانت فى حد ذاتها شرفًا وجائزة نالها الشباب التالية أسماؤهم : يوليوس فلوروس ، تيتيوس، كلسوس ، موناتيوس ، سبتيميوس . وعندما نقرأ الرسائل الست المذكورة (٢-٣ ، ٨-٩ ، ١٧-١٨) ، نجدها تطرح بعض العناصر الأساسية فى علاقة الصداقة. فقد نجح هوراتيوس فى جعل القارئ يشعر بمدى حاجة الشاب لولليوس إلى السيطرة

على النفس عند الغضب ، وكيف يمكن أن يُمنَع كلسوس من خسارة أصدقائه ؟ وكيف يتسنى للشاعر أن يصلح بين فلوروس وموناتيوس؟ وينصح هوراتيوس صديقيه الشابين سكايڤا ولولليوس بما يمكّنهما من الاحتفاظ بمفهوم ملائم حول الصداقة **amicitia** مع شخص ذى مكانة مرموقة .

وفى الرسالة الثانية يلعب هوراتيوس دوره المهم فى إسداء النصح للشباب ، الأمر الذى يتضح من مجرد البدء فى قراءتها ، فهو ينصح صديقه الشاب ماكسيموس لولليوس عن طريق تقديم نماذج من الحياة إليه كى يختار هو الأفضل منها(٢) . هنا نلمس ونتأكد من جدية موقف هوراتيوس من الفلسفة ومن الحياة الفلسفية كسلوك عملى يجب أن يطبقه البشر . ويأتى نصح هوراتيوس ، كما هو معهود فى مختلف إنتاجه الشعرى ، فى أسلوب لبق وغير مباشر ، فهو يسوق نصائحه وتجاربه، ويعرض نماذجه الفلسفية ، وعلى المتلقى أو القارئ أن يفكر كى يتخذ موقفه .

يوضح الشاعر لصديقه الشاب أنه بينما كان الأخير يدرس فن الخطابة فى روما، كان الأول يعيد قراءة هوميروس فى برانيستى . وقد خَلُصَ هوراتيوس إلى أن هوميروس يُعد معلمًا أخلاقيًا أفضل من كل من خريسيبوس الفيلسوف ومن كرانتور(٣) : فالأول منهما كان فيلسوفًا غزير الإنتاج ، ولكن أسلوبه كان سيئًا ، أما الثانى فكان موهوبًا كأديبٍ أكثر منه كفيلسوف(٤) .

ويستعرض هوراتيوس ما تأتى به الإلياذة ، هذه القصة التى تزخر بصور شتى للحماقة البشرية : للرذيلة والخيانة ، والمكر ، والغضب والحرية ، وتسلُّط الشهوات وسيطرتها على البشر . ويوضح هوراتيوس أن أوديسيوس الفطن كان نموذجًا عمليًا يُحتذى على استطاعة الإنسان ، حين يريد ، أن يسيطر على شهواته الجسدية ، وانفعالاته النفسية . فأصبح بذلك نموذجًا بشريًا للتحلى بحُسْن الفضيلة ، وزينة الحكمة . ويسوق هوراتيوس أمام لولليوس أمثلة على حسن تصرف أوديسيوس ، فيذكِّره بموقفه تجاه السيرينيات **Sirenes** ، والساحرة كيركى ، والشباب المحيط بألكينوس من الفياكيين ، الغارق فى الشهوات والكسل(٥) . وقد اتخذ هوراتيوس من مَثَلْ الشباب الفياكى نقطة الانطلاق ليلقن درسه الأخلاقى للشاب لولليوس . ويدعو

هوراتيوس صديقه لولليوس إلى أن يوقظ نفسه ، وأن يبدأ بالانغماس فى دراسات فلسفية جديدة ، تؤدى به إلى الصحة الأخلاقية ، التى هى فى نفس أهمية الصحة البدنية . فكما يسرع الإنسان فى معالجة أدوائه الجسدية العضوية ، عليه بنفس الاهتمام والسرعة أن يسرع فى معالجة أدوائه النفسية والأخلاقية أيضاً .

ويؤكد هوراتيوس ناصحاً أن الثروة فى حد ذاتها لا تجلب السعادة ، إذا لم تُستخدم استخداما صحيحاً ، وإلا كانت على العكس ، مصدر تدمير للنفس والجسد، خاصة إذا ما أُصيب الإنسان بالغرق فى الملذات ، وأُصيب بالطمع والجشع، فمن أُصيب بهذه النقائص ، لا يمكنه أبداً أن يستمتع بما يملك من ثروة ونعم ، ولابد أن يسيطر الإنسان على انفعالاته ، وإن لم يفعل فسوف تسيطر عليه انفعالاته .

ويرى هوراتيوس أن مرحلة الشباب من عمر الإنسان هى المرحلة المثلى لتلقى النصائح الأخلاقية الفلسفية والتدريب على تطبيقها سلوكًا عمليًا ، فهى مرحلة البناء الأخلاقى ، ولذا ينصح صديقه لولليوس الشاب بأن يبدأ من اللحظة الحاضرة فى نشدان معونة من هم مؤهلون لأن يجعلوه رجلاً أفضل مما هو عليه الآن . ويسوق هوراتيوس فى هذا الصدد صورة الجواد الصغير ، وقد أخذ سائسه منذ عمره الأول فى تدريبه على السير فى الاتجاه الذى يوجهه راكبه نحوه . ويرى أن كلب الصيد الذى يجوب الغابات مع صاحبه إنما يفعل ذلك منذ أن رأى جلد الغزال معلقا فوق جدار فناء المنزل ، أى عندما كان صغيراً ولم يخرج بعد من منزل صاحبه نحو الخارج ، كنوع من التدريب المبكر. ومن الجدير بالملاحظة هنا أن القارئ يجد نفسه وقد تقلص اهتمامه تدريجيا بشخصية متلقى الرسالة ، وذلك كما سوف يحدث فى رسائل أخرى كثيرة ، بينما يزداد اهتمامه بعناصر واجبات الصداقة **officia amicitiae** التى يسوقها هوراتيوس فى رسائله ، مدعمًا إياها بالصورة الدرامية الهادئة والذكية فى الوقت نفسه(٦) .

وهوراتيوس فى بداية الرسالة الثانية يتعمد إظهار المقارنة بين هوميروس الشاعر الأخلاقى ، وبين التعليم الخطابى الذى يتلقاه لولليوس الصبى **puer** على يد معلم البلاغة **rhetor**؛ غير أن الصبى إلى الآن لم يقرأ هوميروس ، بينما كان هوراتيوس

يعيد قراءته. ونجد بعد ذلك مقارنة بين مدينة برانيستى الهادئة وبين مدينة روما بصخبها وملاهيها . ونحس أن هوراتيوس ربما يريد أن يوعز إلينا باختلاف ما درسه من نصوص فى تعليمه الأول عما يدرسه الآن لولليوس ، فالأخير ينشغل ذهنه بأشياء أخرى أقل عذوبة dulces وجمالاً من أشعار هوميروس وأقل فائدة أيضًا . فأفكار هوميروس – من وجهة نظر هوراتيوس – بإمكانها أن تقدم مادة ثمينة للتمارين الخطابية التى يتلقاها الشباب[٧] ، وذلك لما بها من دروس أخلاقية . ومما هو جدير بالذكر هنا أن هوراتيوس كناقد أدبى لم يتناول أسلوب هوميروس ، بل اهتم فقط بشاعر الملحمة كمعلم أخلاقى[٨] .

ولهذا نرى أن هوراتيوس يتخذ من هوميروس مصدراً يحتكم إليه ، بينما يعزف عن الاحتكام إلى الفيلسوفين خريسيبوس وكرانتور ، وهما يمثلان المدرستين الرواقية والأكاديمية . هذا فى حين أن شيشرون قد سبق وأن جعل الفلاسفة المشّائين والأكاديميين والرواقيين هم فقط المرشدين إلى «الفضيلة» أو إلى الخير الأخلاقى honestas[٩] . هذا ورغم مشاركة هوراتيوس لشيشرون فى بحثه عما هو لائق وجميل ومفيد من سلوكيات الإنسان decorum, utile, pulchrum وذلك كهدف لدراسة الفلسفة[١٠] ، إلا أن شاعرنا بطبيعة الحال يميل إلى كفة الشعر ، ويستفيد من قصص الإلياذة والأوديسيا كقصص تمثيلى تعليمى نموذجى ، وفى نغمة ملحمية يحسها القارئ من الكلمات التى تحتوى على لواحق تدل على الانتساب إلى الأسرة[١١] . ويعضد هذا الرأى كثرة إشارات هوراتيوس فى مواضع كثيرة من الهجائيات والرسائل إلى هوميروس . وبعد أن يعطى هوراتيوس أمثلة بطولية من الشعر الملحمى ، نجده ينزل بعد ذلك إلى أمثلة أقل بطولة من شخصيات هوميروس، فيضرب المثل بنفسه وبصديقه لولليوس وبسائر الجنس البشرى ، فيقول متحدثًا عن نفسه وعن صديقه :

« فما نحن إلا (مجرد) أرقام خُلقنا كى نلتهم ثمار الأرض » (٢٧)

وربما استوحى هوراتيوس هنا لفظ arithmos = numerus ، من مسرحية «السحب» لأريستوفانيس ، حيث يقوم ستربسياديس بتوبيخ جمهوره ، فيطلق عليهم أوصاف : « أحجار» ، «شياه» ، «براميل خمر مكومة»[١٢] .

وهوراتيوس هنا يستدعى أيضاً كلمات ديوميديس وهو يخاطب جلاوكوس :

« إننى لا أرغب فى أن أقاتل ضد الآلهة المباركين.
لكنك إن تكن من البشر ، الذين يأكلون ثمرة الأرض ،
اقترب هنا ، لعلك تطأ سريعًا مسالك التهلكة.»

(الإلياذة ، النشيد السادس ، ١٤١-١٤٢ )

فالمقابلة قائمة فى ذهن هوراتيوس بين أوديسيوس البطل الحقيقى ، الذى يشبه الآلهة فى تصرفاته الأخلاقية ، وهو نموذج يجب أن يُحتذى به لدينا نحن البشر ، وبين هؤلاء الذين يخضعون أو يستسلمون لشهواتهم[١٣] . ويشير هوراتيوس إلى خُطَّاب بنيلوبى ، زوجة أوديسيوس ، فهم عاطلون شرهون ، منهمكون فى الاعتناء بأنفسهم والاستمتاع بالطعام والموسيقى، والرقص وتغيير الملابس والحمامات الساخنة وممارسة الحب (الأوديسيا ، النشيد الثامن ، ٢٤٨) . وهوراتيوس يعرض هذا المثل كنموذج لمذهب الانغماس فى الملذات الحسية ؛ وينطلق هوراتيوس من هنا كى يعطى درسه الأخلاقى للشاب لولليوس[١٤] .

ويذكر أن برسيوس ، فى هجائيته الثالثة ، قد استوحى هذا المثل متأثرًا برائده فى فن الهجاء هوراتيوس ، وذلك وهو يعظ الشباب بالابتعاد عن نقيصة التبذير والاستهتار بالوقت واستهلاكه فى النوم حتى اقتراب الظهيرة :

« إنك الآن طين رطب ليّن ، الآن
يجب أن تؤخذ سريعًا، وأن تُشكل ، دونما توقف،
فوق عجلة الخزاف السريعة. »

udum et molle lutum es, nunc nunc

properandus et acri fingendus sine fine rota.

(Sat. iii, 23-24.)

وتتضمن هذه الصورة التى يرسمها برسيوس الطين الناعم الذى كان العنصر الرئيسى فى بناء المنازل التى سكنها الرومان الأُوَل[١٥] .

ويقدم لنا برسيوس صورة أخرى معبرة ، حين يشبه تساهل الإنسان مع نفسه فى الاغتراف من المتع الحسية بداء الاستسقاء الذى لا يجدى تناول عشب الخربق فى مقاومته ، بعد تمكنه من الجسم ، وذلك بعد فوات الأوان . وهنا تبرز أهمية اعتياد الانضباط الأخلاقى منذ الصغر ، كما أوضح هوراتيوس :

« لعلك ترى (نفسك وأنت) تطلب الخربق دونما جدوى،

عندما يكون جلدك السقيم قد انتفخ بالفعل . »

**Eelleborum frustra, cum iam cutis**

**aegra tumebit, poscentis videas (Sat. iii, 63-64).**

فمن الحكمة أن نمنع المرض فى بدايته :

**venienti occurrite morbo. (Sat. iii, 64).**

ويسير برسيوس على درب أستاذه هوراتيوس حين يرى أن دواء الروح والعناية بها إنما يكمن فى الفلسفة وتعاليمها الأخلاقية :

«تعلموا، أيها البؤساء ، وأدركوا دواعى الأشياء .»(١٦)

**discite et, o miseri, causas cognoscite rerum. (Sat. iii, 66)**

ويختم برسيوس هجائيته بتحذير من انفعال الغضب :

« وفى وقت آخر ، افترض أن (بك) غضبٌ دفين وأن دمك يغلى ،

وأن عينيك تقدحان بالشرر ، فتقول عندئذ بل تفعل أيضًا ،

ما يمكن لأوريستيس نفسه ، بعد أن فقد نعمة العقل ،

أن يُقسم أن يفعله تحت شعار الجنون. »

**nunc face supposita fervescit sanguis et ira,**

**scintillant oculi, dicisque facisque, quod ipse**

**non sani esse hominis non sanus iuret Orestes.**

**(Sat. iii,116- 118)**

وانفعال الغضب -كما يراه برسيوس- يأتى كنتيجة حتمية للكسل والانغماس فى الملذات وتدليل المرء لنفسه واتباعه هواه ، وتجاهله للفلسفة وتعاليمها ؛ ولذا فالغضب سمة مميزة للشباب الكسول[١٧] :

« الغضب الكامن يزداد ،

إننى أنفجر . »

**turgescit vitrea bilis .....**

**findor (Sat. iii, 8-9)**

وأوضح مثل على القوة التدميرية لانفعال الغضب ساقه هوراتيوس فى الأبيات ٦-١٦ من الرسالة الثانية ، فالغضب هو الذى دمر طروادة وعن طريقه ارتكبت الآثام. وباعتبار أن لولليوس شاب فلا بد وأنه مازال ميالاً فى بعض الأوقات إلى سلوك متهور ، ولذا فإن هوراتيوس ينصحه برفق وبأسلوب لبق ، ويقترح عليه أيضًا الدواء كعادته ، فهذا هو واجب الصديق الحكيم نحو صديقه[١٨] .

ولعل اللفظ **relegi** فى صدر الرسالة يعبر عن استعداد هوراتيوس لإسداء النصح الهادئ فى أسلوب ملائم **decens** لصديقه الشاب لولليوس . فهو الآن قد أعاد قراءة هوميروس ، مصدر النصح والإرشاد الفلسفى القَيِّم والأمثلة البليغة ، فى برانيستى الهادئة بعيدًا عن صخب مدينة روما . وطفق هوراتيوس يسوق من تلك الأمثلة ، ليعطى للشاب لولليوس النصيحة ، فحتى اللصوص الذين يرتكبون الإثم يجتهدون فى الاستيقاظ قبل طلوع النهار ، فبالأحرى يجب على لولليوس النهوض مبكرًا كى يصلح من شأنه .

وإذا كان للإنسان أن يطرد الكسل بمجاهدة النفس ، فإن نقيصة الطمع التى تثير الغيرة والحسد يمكنها أن تهاجم الإنسان فى إلحاح ، ولذا على المرء أن يكون حاسمًا فى كبحها والتخلص منها ( ٥١-٥٩ ) . ولعل هوراتيوس هنا يكون متأثرًا بما ورد عند شيشرون :

« فليكبح أولاً الشهوات ، وليحتقر الملذات ، وليتحكم فى غضبه ،
وليضع حداً لجشعه . »

**refrenet primum libidines, spernat voluptates, iracundiam teneat,**

**coerceat avaritiam..** **(Cic., Parad. Stoic, 33.)**

ويُذكر أن شيشرون – فى عمله « تناقضات الرواقيين»– بحث كيفية تطبيق التعاليم الفلسفية الرواقية كسلوك فى حياة الإنسان . وقد ذكر فيه القاعدة الفلسفية الرواقية التى تقول إن الحكيم وحده هو الرجل الغنى ، وأن الفضيلة وحدها تكفى لتحقيق السعادة . ورغم ميل شيشرون فى عمله هذا إلى مبادئ الفلسفة الرواقية إلا أنه رغم ذلك لا يوافق أتباعها على التطرف والمغالاة عند تطبيقها[١٩] .

ويرى هوراتيوس أن الآذان التى تؤلم صاحبها بأقذائها المتراكمة فيها (بيت٥٣)، تماماً مثل الوعاء القذر ، فالآذان فى هذه الحالة لا يمكنها الاستمتاع بالنغمات الحلوة، ووعاء الطعام القذر يفسد الطعام الشهى إذا ما وُضع فيه . أى أن توفر المتع والملذات للإنسان ، إن لم يكن مصحوبًا بصفاء النفس ، وتحررها من انفعالات الخوف والقلق والحسد والجشع الذى لايهدأ ، فلن يكون مصدر لذة حقيقية أو متعة للإنسان .

وفى نهاية هذه الرسالة (٦٧–٧٠) ، يؤكد هوراتيوس على أن الإنسان لابد وأن يشرع فى باكورة الصبا فى تلقى التعاليم الأخلاقية وهو لايزال نقى السريرة ، صافى العقل والقلب. فإن فعل، لازمته هذه التعاليم وأصبحت جزءاً لا ينفصل عن شخصيته فلا تفارقه أبداً ، فالتعليمَ فى الصغر ، كالنقش على الحجر ، كما يقول المثل العربى السائر .

وكما أورد هوراتيوس فى ختام الرسالة الأولى صورة ساخرة للفيلسوف الذى يعانى من الإنفلونزا، يختتم رسالته الثانية هذه بشيء من التحذير لصديقه لولليوس، وبأنه لن يتساهل أو يتسامح إذا ما تقاعس لولليوس أو أفرط فى اندفاعه نحو ما عرضه عليه هوراتيوس من نصائح ، فالشاعر يحتفظ لنفسه بحق التدخل لاحقًا ، حتى ينجح فى توجيه صديقه الشاب .

وفى هـــذا الصـــدد ، كما يقـول الأستاذ م. ج. مكجان ، يختلف هـــوراتيوس عـــن لوكريتيوس ، شاعر الفلسفـــة الإبيقـورية (عاش تقريبًا من عام ٩٤ ق.م. حتى عام ٥٥ ق.م. ) فى موقفه تجاه من ينصحه . فبينما كان تحذير لوكريتيوس لصديقه مميوس ألا يتكاسل quodsi pigrarsi ، بقوله إنه إن حدث وتكاسل فقد يفوته العمـر ويدركـه الموت قـبل أن يحـقق مـا أراده له ( الكتـــاب الأول ، ٤٧٠ – ٤٧٧ ) ، نجـد هوراتيـوس يرى أن إصـلاح النفس أهم ، دون الإحساس بالخوف من عنصـر الزمن ، فهو يريد من صديقه لولليوس أن يكون وسطًا فلا يندفع ولا يتلكأ . ولكنها ربما كانت إشارة من هوراتيوس إلى أن ما يناسبه هو ربما لا يناسب شخصًا آخر ، فلكل طاقته وقوة تحمله الخاصة به[٢٠] .

بينما تكتب أنت فى روما ، يا ماكسيموس لولليوس ، مقالات خطابية ،
فإننى فى برايننستى أعيد قراءة (كتاب) مؤلف الحرب الطروادية ،
فهو الذى يخبرنا بما هو جميل وما هو قبيح ، وما هو نافع وما هو غير مفيد ،
وذلك بطريقة أوضح وأفضل من كل من خريسيبوس[٢١] وكرانتور[٢٢] .
اصغ إذن لمعرفة لماذا أعتقد ذلك ، إن لم يكن هناك ما يمنعك .
تحتوى القصة التى تتم روايتها أنه بسبب علاقة باريس الغرامية ،
اشتبكت اليونان فى حرب طويلة الأمد مع دولة أجنبية ،
وجنت عواقب نزوات الملوك الحمقى وشعوبهم.
يفكر أنتينور[٢٣] فى وضع حد لسبب الحرب : (لكن) ماذا يفعل باريس ؟
إنه ينكر أن هناك ما يمكن أن يرغمه على أن يحكم
فى أمان وأن يعيش فى سعادة .
أما نستور[٢٤] فيهرع ليسوى النزاع بين ابن بليوس وابن أتريوس .
فالحق أن الحب يلهب أحدهما ، بينما يشعلهما الغضب معًا على حد سواء .
وكلما تصرف الملوك بحماقة فإن الآخيين (=الإغريق) يدفعون الثمن .
بالفتن والمكائد والجرائم والنزوات والغضب ،
تُرتكب الآثام داخل أسوار طروادة وخارجها.
ومرة أخرى يعرض (هوميروس) لنا أوديسيوس كنموذج مفيد ،
عما يمكن أن تفعل كل من الفضيلة والحكمة ،
فذلك الرجل (أى أوديسيوس) هو قاهر طروادة الحصيف ،
الذى خبرَ مدائن وعادات شعوب كثيرة ، واجتاز خضم البحر ،
وتحمل صعابًا جمة ، وهو يعد لرحلة العودة سواءً لنفسه أو لأنصاره أو لرفاقه ،
دون أن يغرق فى لجة أمواج المحن التى تعرض لها .

فلا ريب أنك عرضت أغانى السيرينيات[٢٥] وأقداح كيركى[٢٦] ،
التى لو أنه كان قد احتساها مع رفاقه بحماقة وجشع ،
لصار شنيعًا متبلداً تحت امرأة مستبدة غانية ،
ولعاش ككلب قذر أو كخنزيرة محبة للوحل .
فما نحن إلا (مجرد) أرقام خُلقنا لنلتهم ثمار الأرض ،
مثل خُطّاب بنيلوبى العاطلين ،
وشباب ألكينوس[٢٧] المشغولين إلى حد السفه بالاعتناء ببشرتهم ،
والذين يعدون النوم إلى منتصف النهار قصارى جهدهم وإنجازهم،
ويبددون قلقهم واضطرابهم على النغمات الهادئة للقيثارة .
إن اللصوص ينهضون ليلاً ليقطعوا رقاب الناس ، أفلا تستيقظ أنت لتنقذ حياتك ؟
وعلى أية حال فإذا كنت تأبى الركض وأنت صحيح البدن،
فستعدو وأنت تعانى من داء الاستسقاء.
فإن لم تطلب كتابًا ومصباحًا قبل الفجر ، وإن لم
تكرس جل فكرك للدراسة والأهداف المجيدة ،
فسوف تُعذب وتعانى من الأرق بسبب الغيرة أو العشق .
ولماذا إذن تسرع فى إزالة (المرض) الذى يؤذى بصرك !
بينما تؤجل وقت العلاج للعام التالى حين يتعلق الأمر بما يؤذى روحك؟
إن من يشرع فى إنجاز العمل فكأنه أنجز نصفه
فابدأ ، كى تواتيك الجرأة على أن تغدو حكيمًا !
إن من يرجئ ساعة الحياة القويمة ،مثله كمثل ريفى (ساذج) ينتظر حتى يفيض النهر ،
لكنه مع ذلك ينزلق فوق مياهه الدوارة وسيظل ينساب معها إلى أبد الآبدين .
المال هو الهدف المنشود، وكذا الزوجة الثرية القادرة على إنجاب الأطفال ،
والغابات البرية أيضًا تُمهد بالمحراث ؛ وإن من يكفيه هذا كله
فلن يطمع فى شىء آخر .
فلا المنزل ولا المزرعة ، ولا أكوام المال والذهب (قد استطاعوا) ،

رد الحمى من جسد مالكهم الذى اعتراه السقم ،
وإبعاد الهموم عن قلبه ، فليحيا المالك إذن معافى كما ينبغى له ،
إذا عّن له أن يمعن التفكير فى التمتع بالثروة التى جمعها وكدسها.
من كان عبداً لرغباته أو لخوفه ، فإن المنزل والثروة كليهما يبهجانه على هذا النحو ،
مثلما تبهج اللوحات الملونة العين الدامعة الملتهبة ،
ومثلما تفيد الكمادات الدافئة داء النقرس ،
ومثلما تبهج القيثارات آذان امرئ يتألم من الصديد المتراكم بها ،
فإن لم يكن الوعاء نظيفًا ، فأى شىء تسكبه فيه يصير ملوثًا فاسدًا .
احتقر المتع ، فالمتعة التى تباع بالألم ضارة ومهلكة .
إن الجشِع دائمًا فى فقر وعوز ، فاسع لوضع حد ونهاية حاسمة لرغباتك .
فالحسود يغدو نحيفًا هزيلاً كلما ازدهرت أحوال الآخرين .
ولم يكتشف طغاة صقلية عذابًا أشد من الحسد .
من لايكبح جماح غضبه، سيتمنى عدم حدوث أى أمر،
مما حرضه عليه الحنق والغضب،
طالما يسارع بقوة فى فرض العقوبات إرضاءً لكراهيته التى لا ترتوى .
الغضب هو لحظة من لحظات الجنون ، فتحكم فى مشاعرك ،
التى ستهيمن عليك لو أنك عجزت عن إخضاعها، فاكبح جماحها إذن باللجام أو بالقيود.
يدرب السائس الجواد الطيع ، ورقبته ما زالت لينة رقيقة ،
على السير فى الطريق الذى يوجهه راكبه نحوه ، أما كلب الصيد فيخدم
فى الغابات منذ الوقت الذى نبح فيه (عندما شاهد) جلد الغزال لأول مرة بفناء المنزل .
تشرب الآن بكلماتى أيها الصبى وأنت لا تزال طاهر القلب نقى السريرة ،
واسلم نفسك الآن إلى أفضل (المرشدين) ،
فإن القنينة سوف تظل محتفظة بنكهة الخمر التي نقعت فيها ذات مرة عندما كانت جديدة.
لكنك إن تلكأت أو تسرعت، فاعلم أننى لا أنتظر المتقاعسين ولا أهرول خلف المتسرعين.

# الهوامش

(١) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 25

(٢) M.J. McGann, op. cit , p. 37.

(٣) خريسيبوس فيلسوف رواقي . وُلد في سولي Soli بكيليكيا بآسيا الصغرى عام ٢٨٠ق.م. ، أما كرانتور فهو فيلسوف من مدرسة الأكاديمية.

(٤) M.J. McGann, op. cit., p. 38.

(٥) Hom., Od., viii, 248.

cf. W. B. Standford, The Ulysses Theme, Oxford (1954), pp. 118-127..

(٦) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 26.

(٧) M. Beard & M. Crawford. Rome in The Late Republic. London (1985), pp. 18- 21.

(٨) M.J. McGann, op. cit., p. 38.

(٩) Cic , de Off., i, 2, 6.

(١٠) ibid., i, 2, 4; i, 3, 9; i, 35, 129; i. 36, 130.

(١١) P H. Edwards, The Poetic Element in the Satires and Epistles of Horace, Dissertation, Baltimore (1905), p. 36.

(١٢) ibid , p. 36-37.

(١٣) Hom., Od. i, 160-227.

(١٤) R S. Kilpatrick, op. cit., p. 27.

(١٥) يُذكر أنه منذ بداية التاريخ الروماني وحتى حوالي منتصف القرن الثالث قبل الميلاد ، كان الرومان يشيدون بيوتهم من الطوب اللبن ، انظر.

G.H. Humfrey, Roman Panorama, Cambridge (1944), p. 179

(١٦) حول تأثير هوراتيوس في بيرسيوس واهتمام الأخير بنفس الموضوعات التي وردت في أعمال الأول ، خاصة القيم الأخلاقية والأفكار الفلسفية والسلوك القويم ، انظر :

C. Witke, Latin Satire, Leiden, E.J. Brill (1970), pp. 79-80.

(١٧) cf. Hor., Sat., i, 3, 135.

(١٨) cf. Cic., de. Fin., i, 10, 32; ii, 9, 28.

(١٩) د. عبد العظيم عبد الكريم ، نفس العمل ، ص ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢٠) M.J. McGann, op. cit., p. 39.

(٢١) خريسيبوس Chrysippus : فيلسوف رواقى ، وُلد عام ٢٨٠ ق.م. فى كيليكيا لأب يُدعى أبوللونيوس من تارسوس ، ذهب إلى أثينا ودرس الرواقية على يد كليانثيس Cleanthes ، كتب خريسيبوس أكثر من سبعمائة مقال فلسفى، غير أن ما وصلنا منه هو بعض الشذرات فقط .

(٢٢) كرانتور Crantor : وُلد كرانتور فى كيليكيا ، ونهب إلى أثينا لدراسة الفلسفة على يد إكسينوكراتيس Xenocrates ، وكان نصيراً للمدرسة الأكاديمية القديمة، ويقول ديوجينيس لائيرتيوس إنه خلف عملاً يسمى (التعليقات) ، علق فيه على مؤلفات أفلاطون ، ويعد مؤلفه « عن الحزن » هو أكثر المؤلفات انتشاراً فى روما ، وقد وصف بنايتيوس هذا العمل بأنه عمل ذهبى .

(٢٣) أنتينور Antenor : هو أحد حكماء شيوخ طروادة ، وقد استقبل مينيلاوس وأوديسيوس عندما حضرا إلى طروادة كسفراء ، وقد نصح الطرواديين بإعادة هيلينا إلى زوجها.

(٢٤) نستور Nestor : هو ابن نيليوس وقد وصفه هوميروس بأنه أكبر الإغريق سنًا أثناء الحرب الطروادية ، وقد تمكن خلالها من عقد الصلح بين أجاممنون وأخيلّيوس ، وكان الجميع يلجئون إليه وقت الصعاب طلباً للمشورة .

(٢٥) السيرين Siren · هى مخلوقة أسطورية نصفها فتاة ونصفها الآخر طائر ، وهى تقطن فى الجزر ذات الصخور بالقرب من ساحل كامبانيا ، وكانت أغانيها تسحر البحارة مما يؤدى إلى هلاكهم ، وقد وضع أوديسيوس وبحارته الشمع فى آذانهم كى لا يسمعوا أغانيها .

(٢٦) كيركى Circe · هى الساحرة الأسطورية، ابنة هيليوس، وكانت تقطن فى جزيرة أيايا Aeaea ، وعندما حل أوديسيوس فى جزيرتها حولت الكثير من رفاقه إلى خنازير ، ولكنها وقعت فى غرامه وأغوته ، فبقى معها مدة عام كامل . وعندما أصر على الرحيل دفعته للنزول إلى العالم السفلى لاستشارة العراف تيريسياس Teiresias ، وقبل رحيله عائداً إلى إيثاكا نبأته بالمخاطر التى سيواجهها أثناء عودته .

(٢٧) ألكينوس Alcinous : هو ملك الفياكيين بجزيرة كوركيرا ، اشتهرت مملكته ، وكذلك قصره بالأبهة والفخامة ، وقد وصل أوديسيوس إلى هذه المملكة أثناء تجواله ونال هناك الكثير من المتع ، وقد خصص هوميروس لهذا الموضوع الكتب من الكتاب السادس إلى الثالث عشر من " الأوديسا" .

# الرسالة الثالثة

يوجه هوراتيوس هذه الرسالة إلى صديقه الشاب فلوروس ، ومنها نعرف أيضًا علاقة الصداقة **amicitia** التى تربط الشاعر بثلاثة من أعضاء الكتيبة المحبة للأدب، والتى اصطحبها تيبريوس عام ٢١ ق.م. أثناء حملته على الشرق ؛ وهنا يصبح واضحًا أن صداقات هوراتيوس قد جعلته على صلة بمحيط الأسرة الحاكمة[١] . وسوف يوجه الشاعر الرسالة التاسعة إلى صديقه الشاب تيبريوس ، أحد أعضاء الأسرة الحاكمة، كما أن الرسالة الثالثة عشرة توحى بأنه قد أراد لها أن تُقرأ فى حضور أوغسطس نفسه ، وهنا فى الرسالة الثالثة ، يلحظ القارئ بعض الإشارات إلى أعمال أوغسطس العسكرية ، وإنجازاته بصفة عامة .

وتبدأ هذه الرسالة بمحاولة الشاعر معرفة بعض الأخبار عن أنشطة أعضاء هذه الكتيبة وعن تقدم هذه الحملة العسكرية ، ثم يستفسر من فلوروس عن هذه الصحبة التى تهوى الأدب ، ويلاحظ أن الشاعر – من خلال هذا الاستفسار – يحاول أن يعلق بأسلوب غير مباشر على مظهرين من مظاهر النشاط الأدبى المعاصر ، وهما التقليد الذى يفتقر إلى الإبداع الأصيل ، وقيام الأدباء الشبان باختيار مواضيع أدبية طموحة أكثر من اللازم[٢] . فأحد أعضاء هذه المجموعة أراد أن يأخذ على عاتقه مهمة تسجيل أعمال أوغسطس المجيدة فى عمل أدبى ، وهوراتيوس بالتأكيد أراد أن يتحدث عن المهمة الأسمى للشعر فى عصره ، وهى ذكر ، ومن ثمَّ تخليد أعمال أوغسطس وإنجازاته ، سواء فى السلم أو فى الحرب ؛ وهو ما يراه الشاعر صعبًا على هؤلاء الأدباء الشبان فى بداية مشوار الإبداع [٣] .

أما تيتيوس[٤] فربما كان مشغولاً بتأسيس أو بإدخال أوزان الشاعر الغنائى الإغريقى بنداروس إلى اللغة اللاتينية ، وهى مهمة ليست أقل صعوبة من التى أنجزها هوراتيوس نفسه ، عندما اختار أشعار ألكايوس ، وسابفو ، كنماذج لأشعاره الغنائية التى نظمها . وبناء على ذلك فهو لا يأخذ ما يقوم به تيتيوس من تقليد لبنداروس مأخذ الجد[٥]، بل يرى أنه قد تمادى فى جرأته ، فأخذ يكتب أيضًا تراجيديات مليئة بالغضب فى أسلوب منمق طنان :

« ماذا عن تيتيوس، الذى سيتردد اسمه بعد فترة وجيزة على ألسنة الرومان؟
والذى لم يرهب الرشف من نبع بنداروس، وقد تجاسر على احتقار
البحيرات المكشوفة والأنهار . ترى هل ينجح فى ذلك ؟ وهل يتذكرنى ؟
هل يشغل نفسه بتكييف البحور الطيبية (لتلائم) القيثارة اللاتينية تحت
رعاية الموسية؟ أم هل يثور ويملؤه الغرور ، على طريقة الفن التراجيدى ؟ » (٩-١٤)

هناك أيضًا كلسوس[٦] ، والذى يحذره هوراتيوس من أن ينقل مؤلفات كُتَّاب آخرين . ومن الجدير بالذكر أن الشاعر سوف يتناول مسألة التقليد للأعمال الأدبية بتفصيل فى الرسالة التاسعة عشر ، حيث نجد هوراتيوس ، الشاعر الناضج الخبير ، هنا فى الرسائل ، قد أخذ دور الناقد الأدبى الذى يُقَيِّم أعمال الآخرين . وهنا أيضًا نجد إشارة سريعة إلى قصيدة عاطفية ، يقوم فلوروس نفسه بتأليفها :

« ترى ماذا يفعل كلسوس لأجلى؟ لقد تلقى النصح ويجب أن يُنصح كثيرًا،
بأن يبحث عن إمكاناته الشخصية وأن يمتنع عن مد يده لتلك الكتب،
التى (سمح بوجودها فى مكتبة) أبوللو ( بتل) البلاتيوم، [٧]»

(١٥-١٧)

ونجد أن نغمة حديث هوراتيوس هنا فى الرسالة الثالثة، عن هؤلاء الأدباء الشبان، تأتى خالية من السخرية، هذا على الرغم من أن البعض يرى عكس ذلك :

« لديك موهبة ليست بالضئيلة وليست غير مصقولة ، أو فظة منفّرة»[٨].

ولكننا نرى أن القراءة الكاملة لهذه الرسالة ، تجعلنا ندرك جدية الشاعر فى نقده وتوجيهاته لأصدقائه الشباب . ولعل رجوع هوراتيوس قرب نهاية الرسالة إلى مهمته الأساسية التى أخذها على عاتقه فى هذا الكتاب ، وهى دراسة الفلسفة ، التى يسميها «الحكمة السماوية» ، يؤكد جديته فى نصائحه وانتقاداته :

« لكن إن كان بمقدروك أن تتخلى عن كمادات المرض الباردة ،

فإن بوسعك الذهاب إلى حيث تقودك الحكمة السماوية » (٢٥-٢٧)

**quod si frigida curarum fomenta relinquere posses,**

**quo te caelestis sapientia duceret, ires.**

ولكن هناك من يرى أن فحوى هذه الرسالة الثالثة إنما يكمن فى نصيحة أدبية فى شكل تحذير أراد الشاعر أن يوصله إلى الجيل الجديد كله من الأدباء الشبان ، ولكن من خلال مخاطبة هذه المجموعة من الشباب المقربين إليه ، وربما أراد أيضًا أن يثير فيهم حماسة الشباب[٩] :

« فإن كنت تشحذ لسانك (للمرافعة) فى القضايا ،

وإن كنت تتأهب لإبداء المشورة فى القوانين المدنية ،

وإن كنت تؤلف قصيدة عاطفية، فإنك ستنال الجائزة الأولى لإكليل النصر (المجدول) من العليق» (٢٣-٢٥)

ويرى الأستاذ ج. و. ماكلويد أن ضمّادات المرض الباردة المذكورة فى البيت المشار إليه أعلاه ، يقصد الشاعر بها الإشارة إلى قرض الشعر ، باعتبار أنها تلطيف مؤقت لدرجة حرارة المريض ، لكنها لا تأتى فى أهمية الدواء الأساسى . فكذلك الشعر هو أقل أهمية من دراسة الفلسفة ، فعلى فلوروس أن يدع محاولات كتابة الشعر ، التى يقوم بها ، وأن يتجه إلى الفلسفة كى يأخذ منها «الحكمة السماوية»[١٠] . ولعله حَرِىٌ بالشاب فلوروس أن يأخذ بهذه النصيحة التى أسداها إليه الشاعر وألا يهملها، إذا ما أراد أن يخدم وطنه . وذلك لأن دراسة الفلسفة لاستخلاص الحكمة فى هذه الحياة ،

هو أمر مهم ، وفى نفس درجة الأهمية سواء لمن يحيا فى المدينة أو لمن يقطن الريف ، إذا ما أراد أن يكون مواطنًا صالحًا . تُعد هذه المرة التى يحفّز فيها الشاعر على دراسة الفلسفة، هى الوحيدة التى يأتى فيها نكر مواصلة البحث فى الفلسفة مصحوبًا بمصطلحات الوطنية وحب الوطن:

« فلنسرع صغاراً وكباراً نحو هذه المهمة ، ونحو هذا العمل الأدبي .

هذا إذا ما رغبنا أن نحيا أعزاء على وطننا وأعزاء على أنفسنا » (١١)

(٢٨-٢٩)

ثم يترك هوراتيوس الحديث عن الفلسفة ويتوجه إلى موضوع العلاقات الشخصية، حيث يسأل فلوروس إن كان يعتنى برفيقه موناتيوس كما ينبغى(١٢) أم لا. لكن هذا التساؤل سرعان ما يتجه اتجاهًا أخلاقيًا فلسفيًا مرة أخرى(١٣) ، فقد كان هنالك خلاف فيما مضى بين كل من فلوروس وموناتيوس ، ويبدو أن هذا الخلاف قد عاد للظهور مرة أخرى . ويوضح الشاعر لفلوروس ، ناصحًا إياه ، أن الغضب وعدم الخبرة بشئون الحياة ، هما سبب هذا الخلاف ، حيث إن كلاً من فلوروس وموناتيوس ما زال شابًا فى عنفوان الشباب . ويُذكَر أن هوراتيوس هنا يسوق لنا مثالاً محدداً على تداعيات انفعال الغضب فى النفس البشرية ، والتى كان قد حذر منها صديقه الشاب لولليوس فى الرسالة الثانية تحذيراً شديداً :

« هل يحظى موناتيوس بعناية عظيمة من جانبك ، كما هو لائق به؟

أو أن صداقتك له ( مثل الجرح) الذى خاطته ( يدا الجراح) على نحو رديئ ؟

فعبثًا سوف يلتئم، لأنه سرعان ما ينفتح مرة أخرى ؟

فإذا كانت الدماء الفائرة والجهل بشئون الحياة هى المحرك لكما معًا ؟

فإن مثلكما مثل الوحوش البرية ذات العنق الذى لم يتم ترويضه.

فأيما مكان من الأماكن تقطنان فيه، كنتما غير خليقين بكسر ميثاق الأخوة،

ذلك أن أنثى عجل منذورة من عجول القرابين ترعى الآن لتسمن

(وتقدم قربانًا) إلى أن يحين موعد عودتكما .» (٣٠-٣٦)

ويرى الأستاذ م.ج. مكجّان أن الصلة التى تربط بين الرسالة الثالثة والرسالة الثانية تؤكدها العبارة التى تحمل هذهَ الصورة المجازية(١٤) :

**«فإن مثلكما مثل الوحوش البرية ذات العنق الذى لم يتم ترويضه.»**

**indomita cervice feros, (34)**

وهذا البيت بالتأكيد يذكرنا بما ورد فى الرسالة الثانية :

**« يدرب السائس الجواد الطيّع ، ورقبته مازالت لينة رقيقة ،**

**على السير فى الطريق الذى يوجهه راكبه نحوه » (٦٤-٦٥)**

ويذكر أن هوراتيوس قد أورد أيضًا دواء هذه الوحشية الهمجية فى الرسالة الأولى:

**« لا يوجد من بينهم من هو هجمى إلى الحد الذى لا يستطيع معه أن يغدو متحضراً ، لو أنه فقط أعطى للدواء أذنًا صاغية . » (٣٩-٤٠)**

وهكذا نجد أن الفلسفة من الممكن أن تكون عاملاً مؤثراً فى إتمام المصالحة بين الأصدقاء، وفى استعادة الوحدة والتناغم بين أفراد الكتيبة الواحدة، مما يجعل الجميع فى هذا الموقف ، موقف الدفاع عن مصالح الوطن، أعزاء على وطنهم، ومن ثم أعزاء على أنفسهم .

وفى الأبيات الأخيرة من هذه الرسالة يخاطب هوراتيوس الصديقين فلوروس وموناتيوس معًا - كما رأينا - ويربطهما معًا ، ويتشفع لديهما بنذرٍ ، أخذَ على نفسه أن يوفى به ، إذا ما عادا سالمين إلى أرض الوطن .

ويلاحظ أن هوراتيوس قد وصف الحكمة **sapientia** بالصفة **caelestis** «سماوية»، ولاشك فى أنه يريد للشابين أن يتصالحا «بتأثيرها» ، أى بتأثير الفلسفة كما ذكرنا ، ولذا كان من الملائم أن يُصاحب هذا الأمر بسلوك دينى طالما ذُكِرت السماء ، فيعدهما هوراتيوس بالنذر الذى يُقدم بالطبع لشكر الآلهة . ويُذكر أن هوراتيوس قد ختم عدة قصائد من الغنائيات بإشارةٍ إلى تقديم أضْحية (١٥)، ولكن يُذكر أيضًا أنه لا توجد

خاتمة فى هذا الكتاب تشبه خاتمة هذه الرسالة الثالثة . فالدين لا يلعب دوراً فى هذا الكتاب من رسائل هوراتيوس ، غير أن قطعة أخرى فقط قد تُظْهِر الشاعر فى موقف الإنسان المتدين الذى يصلى للآلهة ، وذلك قرب نهاية الرسالة الثامنة عشرة[١٦] .

ولكن على أية حال ، فإن « الحكمة السماوية» أو «الحكمة الفلسفية» ، هى فكرة مألوفة فى الفلسفة الرواقية[١٧] ، ولكنها أيضاً من الممكن أن تكون فى الأصل قد وردت لدى أفلاطون أو لدى الإبيقوريين [١٨]، ولكننا نجد لدى شيشرون ما نفهم منه أن المراد بـ « الحكمة السماوية» **caelestis** هو الصداقة **amicitia** ذاتها :

« (لأن الصداقة فى واقع الأمر ، ليست شيئًا آخر ،
سوى الاتفاق فى كل الأشياء ، الإلهية والبشرية ،
بود وعطف ، فدونها ، فى الحقيقة ، لا أعرف شيئًا أفضل ،
فيما عدا الحكمة، يمكن أن يكون قد أُعطى للإنسان، من قِبَل الآلهة الخالدين»

**Est enim amicitia nihil aliud nisi omnium divinarum**
**humanarumque rerum cum benevolentia et caritate**
**consensio, qua quidem, haud scio an excepta sapientia nil**
**quicquam melius homini sit a eis immortalibus datum.**
**(Cic. De Amicitia, 6-20)**

وفى موضع آخر من عمل شيشرون « عن الصداقة » ، يناقش لايليوس[١٩] العلاقة التى تربط بين الصداقة **amicitia** وبين الفضيلة **virtus** :

«ومن ناحية أخرى (نجد) أن أولئك الذين يضعون الخير الأسمى فى الفضيلة
هم فى الحقيقــة متميزون ذلك أن هذه الفضيلة ذاتها هى التى تولد الصداقة
وترعاها ، وبدون الفضيلة ، لا يتأتى بحال من الأحوال ، أن توجد الصداقه»

**qui autem in virtute summum bonum ponunt praeclare illi**
**quidem, sed haec ipsa virtus amicitiam et gignit et**
**continet, nec sine virtute amicitia esse ullo pacto potest.**
**(Cic. Am. 6. 20)**

وبعد ذلك بحوالى قرن من الزمان . يكتب چوڤينال معلنًا الأصل الإلهى للصداقة والتعاطف بين الناس :

« (إنها الأمر الذى) يميزنا عن القطيع الأبكم ، ولهذا السبب كان قدرنا أن نتلقى وحدنا طبيعة مبجلة، وكنا قادرين على أن نحوز نعمة الآلهة، وأن نكون صالحين لممارسة الفنون وابتداعها ، ومن عنان السماء ، انتزعنا الإحساس الذى أُرسل نحونا ، ذلك الإحساس الذى يفتقده (من هم) ينحنون، وبنظرهم فى الأرض (يُحدّقون) . »

**a grege mutorum, atque ideo venerabile soli,**

**sortiti ingenium divinorumque capaces,**

**atque exercendis pariendisque artibus apti,**

**sensum a caelesti demissum traximus arce,**

**cuius agent prona et terram spectantia. (15. 142 - 147)**

فالطبيعة الإلهية ، كما يقول چوڤينال، أو الفطرة الإنسانية الأولى ، تجعل من العلاقات الاجتماعية أمرًا ممكنًا بين الناس . فعندما خلق الله العالم ، وهب الوحوش الضارية نعمة الحياة فقط ، لكنه وهب الإنسان نعمة الروح إلى جانب نعمة الحياة الجسدية المادية ، فهو روح وجسد معًا[٢٠] .

وهكذا نجد أنه كان من المنطقى أن يرى هوراتيوس أن الصداقة ، هذه الرابطة الإنسانية ، التى تقوى الوشائج بين الناس ، هى ذاتها « الحكمة السماوية»، **sapientia caelestis** . وربما كانت « ضمادات المرض الباردة» التى يرفضها هوراتيوس كعلاج لفلوروس، هى «الكتف الباردة» كما يقال، أو «النفور»، أو المشاعر غير الحميمة تجاه الآخرين ، وهى نقيض مشاعر الصداقة بطبيعة الحال .

وهكذا نفهم مغزى هذه الصورة المجازية المستعارة من مجال الطب ، فالآن ، كما يرى الشاعر ، قد حان وقت تمام الشفاء ، شفاء الجرح ، أى انتهاء أمر الشجار الذى دب بين الصديقين فلوروس وموناتيوس ، وكاد يؤذى صداقتهما (٣٠-٣٢).

فالإهمال الأحمق للنعمة الإلهية المقدسة لعلاقة الصداقة ، يبدو لشاعر مثل هوراتيوس ، كما بدا بعد ذلك لجوڤينال ، أكثر اتساقًا مع طبيعة البهائم ، ومناقضاً تماماً لطبيعة الرجل العاقل الحكيم (٣٤).

ومن الجدير بالذكر أن كلا المذهبين الفلسفيين اللذين سادا العصر الهلّينستى ، أى الإبيقورية والرواقية ، احترم الصداقة كوسيلة تؤدى إلى تحقيق الحياة السعيدة للإنسان. فالصداقة عند الإبيقوريين هى التى تحقق الطمأنينة الفكرية **ataraxia** التى تقود بدورها إلى شعور الإنسان باللذة[٢١] .

ويذكر أن هوراتيوس عندما ربط بين الصداقة **amicitia** والحكمة السماوية **caelestis sapientia** وحب الوطن **patria** ، كان فكره صادراً دون شك عن الفكر الفلسفى الرواقى ، فالرواقيون – فى نظر شيشرون – نظروا إلى العالم ككونٍ اجتماعى يتكون من الآلهة والبشر معًا [٢٢] :

« لكنهم يعتقدون أن العالم محكوم بإرادة الآلهة ،

وأن ذلك العالم مثله مثل مدينة مشتركة ومجتمع للبشر والآلهة...

وذلك كى نفضل صالحنا المشترك على جميع الأمور».

**"mundum autem censent regi numine deorum eumque**

**esse quasi communem urbem et civitatem hominum et**

**deorum ..... ut communem utilitatem nostrae anteponamus"**

**(Cic. de Fin. 3. 19. 64)**

وقد ورد عند سنيكا أن الرجل الحكيم هو الذى لديه فن اكتساب الأصدقاء، أو:

« المبدع فى إقامة علاقات الصداقة »

**"faciendarum amicitiarum artifex.**

**(Sen. Ep. 9. 5)**

وفى ضــوء هذا المفــهـوم الرواقى نجـد أن الأبيـات (٢٥-٢٩)، عند هوراتيـوس، تتضـمن نداءً لدراسـة الفلسـفـة أو الحكمـة السـمـاوية caelestis sapientia ، التى من شأنها أن تجعل الرجل يحيا فى علاقات سليمة مع وطنه patria، سواءً كان هذا الوطن هو دولتـه هو فـقط، أم كـان هو الكون كله. وهكذا نجـد هوراتيـوس دائمًـا ينطلق من الخاص إلى العام فى القضايا الإنسانية الأخلاقية ، والبداية دائمًا تأتى فى التوافق مع النفس (بيت٢٩).

أيا يوليوس فلوروس ، إننى أتوق أن أعرف فى أى بقاع الأرض ،
يقوم كلوديوس ، ربيب أوغسطس ، بمهمته العسكرية .
هل تعيقكم تراقيا ونهر هبروس المكبّل بقيود ثلجية ،
أم (تعيقكم) مضايق المياه الجارية بين الحصون المجاورة ،
أم (تعيقكم) سهول آسيا الخصيبة وتلالها ؟
ماذا تعد رفقتك المحبة للأعمال الأدبية ؟
إننى أتوق لمعرفة هذا الأمر .
ترى من يأخذ على عاتقه أن يكتب عن إنجازات أوغسطس ؟
ومن ينشر على العصور اللاحقة مآثره فى الحرب والسلم ؟
ماذا عن تيتيوس ، الذى سيتردد اسمه بعد فترة وجيزة على ألسنة الرومان ؟
والذى لم يرهب الرشف من نبع بنداروس،
وقد تجاسر على احتقار البحيرات المكشوفة والأنهار .
ترى هل ينجح فى ذلك ؟ وهل يتذكرنى ؟
هل يشغل نفسه بتكييف البحور الطيبية (لتلائم) القيثارةاللاتينية ، تحت رعاية الموسية ؟
أم هل يثور ويملؤه الغرور ، على طريقة الفن التراچيدى ؟
ترى ماذا يفعل كلسوس لأجلى؟ لقد تلقى النصح ويجب أن ينصح كثيراً ،
بأن يبحث عن إمكاناته الشخصية ،
وأن يمتنع عن مد يده لتلك الكتب التى (سمح بوجودها فى مكتبة) أبوللو (بتل) البلاتيوم ،
خشية أن يحدث مصادفة فى يوم ما (أن يولد) سرب من الطيور ليطالب باسترداد ريشه ،
فيجد أن الغراب الصغير الذى جُردِّ من ألوانه المسروقة يثير السخرية ويبعث على الضحك .

أما فيما يتعلق بك، فعلى أى شىء تجرؤ ؟
وحول أية بساتين من الزعتر تحوم متنقلاً ؟
لديك موهبة ليست بالضئيلة ، وليست غير مصقولة ، أو فظة منفرة .
فإن كنت تشحذ لسانك (للمرافعة) فى القضايا ،
وإن كنت تتأهب لإبداء المشورة فى القوانين المدنية ،
وإن كنت تؤلف قصيدة عاطفية ،
فإنك ستنال الجائزة الأولى لإكليل النصر (المجدول) من العليق،
لكن إن كان بمقدورك أن تتخلى عن كمادات المرض الباردة،
فإن بوسعك الذهاب إلى حيث تقودك الحكمة السماوية .
فلنسرع صغاراً وكباراً نحو هذه المهمة ونحو هذا العمل الأدبى ،
هذا إذا ما رغبنا أن نحيا أعزاء على وطننا وأعزاء على أنفسنا .
ينبغى عليك أن تعاود الكتابة لى عن هذا الأمر أيضًا ؛ وهو :
هل يحظى موناتيوس بعناية عظيمة من جانبك كما هو لائق به ؟
أم أن صداقتك له (مثل الجرح) الذى خاطته (يد الجراح) على نحو ردئ ،
فعبثًا سوف يلتئم ، لأنه سرعان ما ينفتح مرة أخرى ؟
فإذا كانت الدماء الفائرة والجهل بشئون الحياة هما المحرك لكما معا؟
فإن مثلكما مثل الوحوش البرية ذات العنق الذي لم يتم ترويضه .
فأيما مكان من الأماكن تقطنان فيه ،
كنتما غير خليقين بكسر ميثاق الأخوة ،
ذلك أن أنثى عجل منذورة من عجول القرابين ترعى الآن
لتسمن ( وتقدم قربانًا) إلى أن يحين موعد عودتكما .

# الهوامش

(١) M.J.McGann, op. cit., p. 40.

(٢) ibid., p. 41

(٣) R.S.Kilpatrick, op. cit., p. 32.

(٤) تيتيوس ، أديب رومانى شاب ، قام بمحاكاة بنداروس وحاول إلباس أشعاره رداءً رومانيًا .

(٥) R.S. Kilpatrick, op. cit., p.33.

(٦) كلسوس أحد أصدقاء هوراتيوس ، والسكرتير الخاص لتيبريوس ، وقد وجه إليه الشاعر الرسالة الثامنة .

(٧) بالاتيوم Palatium ، أحد تلال روما السبعة ، شيد عليه أوغسطس معبدًا للإله أبوللو، وألحق به مكتبة عامة.

(٨) M.J. McGann, op. cit., p. 40.

(٩) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 82.

(١٠) C.W. Macleod, op. cit., p. 362 - 363.

(١١) M.J.McGann, op. cit., p. 41.

(١٢) موناتيوس هو ابن لوكيوس موناتيوس بلانكوس، وكان والده قنصلاً عام ٧٢ ق.م. وقد تحدث عنه هوراتيوس فى غنائياته (Od., i, 7, 19; iii, 14, 28)

(١٣) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 33.

(١٤) M.J. McGann, op. cit., p. 41.

(١٥) Od., i, 19, 16; ii, 17, 32; iii, 22, 6. cf. E. Garn, Odenelemente im I Epistelbuch des Horaz, Diss., Freiburg (1954), p. 18 f., 63.

(١٦) ibid., pp. 63-72.

(١٧) A.A. Long, op. cit., p. 15

(١٨) انظر ديوجينيس لائرتيوس (Diog. Laert., i, 3, 63) .

(١٩) لايليوس ، فيلسوف رواقى رومانى وصديق سكيبيو .

R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 34. (٢٠)

E.Zeller, The Stoics, Epicureans and Skeptics, Trans. by O.J. Reichel, London (1896), pp. 297f. (٢١)

M.E. Reesor, The Political Theory of the Old and Middle Stoa, New York (1951), p. 9 ff (٢٢)

## الرسالة الرابعة

تعد هذه الرسالة من الرسائل الشيقة ، وهى رغم قصرها البالغ فإنها تظهر السمات المتميزة والخصائص الجذابة لرسائل هوراتيوس ، فهى تتمتع بالرشاقة واللباقة والدفء ، كما أنها غنية بالخصائص الأسلوبية وهى أيضاً مفعمة بالحكمة البالغة(١) .

وجه هوراتيوس هذه الرسالة إلى ألبيوس Albius الذى خاطبه من قبل فى إحدى الغنائيات (Od. i.33)، والتى من خلالها نعرف أنه شاعر ناظم للإليجيات (decantes elegos, 3) ، وربما يدفعنا هذا للقول إنه الشاعر ألبيوس تيبوللوس(٢) .

تتسم خلفية الرسالة بالبساطة حيث إن تيبوللوس قد غادر روما متجهاً صوب الريف فى إقليم بدوم Pedum عند سفح التلال السابينية(٣) ، ومرت فترة من الزمن ولم تصل هوراتيوس أية أخبارٍ عن صديقه تيبوللوس . ولذا يطلب منه أن يطلعه على كيفية قضاء وقته فى الريف ، ويتساءل عما يشغل به تيبوللوس نفسه : هل يؤلف عمل أدبى جديد ؟ أم ينعم بالتأملات الفلسفية فى عزلته بالريف ؟ (١-٥) .

ثم يوجه هوراتيوس نظر تيبوللوس إلى النعم التى أسبغتها عليه الآلهة من جمال وثروة ، وعلاوة على ذلك فن التمتع بهاتين النعمتين اللتين تجعلانه يحظى بجميع المقومات التى تجعل المرء سعيداً (٦-١١) . ثم يحث هوراتيوس صديقه بعد ذلك على نبذ القلق والإكتئاب والغضب ، والتمسك بالأمل فى الغد المشرق (١٢-١٤)(٤) .

وينهى الرسالة بدعوة صديقه لزيارته كى يرى كم يتمتع هو بحياته بين أصدقائه على النمط الإبيقورى (١٥-١٦). ويبدو أن هوراتيوس قد كتب هذه الرسالة من مزرعته السابينية ، ولهذا فإنه من اليسير على تيبوللوس أن يقطع هذه الرحلة القصيرة كى يلبى هذه الدعوة(٥) .

يستهل هوراتيوس الرسالة بمخاطبة ألبيوس فى حالة المنادى محافظاً بذلك على طابع المراسلات اللاتينية ، وينعته بالصفة candide[٦] ، التى يعنى بها أنه حسن الخلق نقى السريرة ، أو نزيه فى نقده لهجائيات هوراتيوس[٧] . ولعل استخدامه لهذه الصفة جاء كتورية على اسم مراسله ألبيوس Albius المشتق من الصفة albus (أبيض) التى تعطى نفس المعنى الحرفى للصفة candidus[٨] .

وحيث إن هوراتيوس يكتب إلى شاعر آخر أصغر منه سناً ، ومن ثم فهو أقل خبرة وحنكة بكتابة الشعر ، فإنه سرعان ما يتساءل عن النوع الأدبى الذى يكتب فيه تيبوللوس فى الوقت الراهن (nunc, 2) وهذا أمر طبيعى ولا يدعو للدهشة . ومن أجل الحفاظ على إيجاز الرسالة فإن هوراتيوس يمر مروراً سريعاً على الحديث عن قرض الشعر . فمن بين الأنواع الشعرية ، فإن نوعاً واحداً فقط يفرض نفسه ، وهو الشعر الإليجى الذى برع فيه تيبوللوس :

« أتكتب ما يبز مؤلفات كاسيوس من بارماويفوقها » (٣)

**scribere quod Cassi Parmensis opuscula vincat,**

وكاسيوس من بارما هو أحد قتلة يوليوس قيصر ، ولم يصلنا للأسف إنتاجه الأدبى[٩] .

ثم يستكمل هوراتيوس استفساراته بأن يضيف سؤالاً آخر يليق برجل مثقف مثل تيبوللوس ، وهو : هل يترك فى عزلته الشعر جانباً بعض الوقت وينعم بالبساتين التى ستفيده صحياً ونفسياً ليفكر فى حلول للمشكلات التى طرأت عليه؟، وتوضح لنا كلمة (tacitum = صامت) أن ألبيوس فى حالة عزلة لا تشغله سوى تأملاته الفكرية .

بعدها يخرج هوراتيوس عن السياق ويكشف لصديقه عن ما لديه من نعم تتمثل فى الصحة البدنية والعقلية والثروة[١٠] ، وهى أمور تجلب السعادة للمرء . وعلى هذا فإن ما يعكر صفوه ويؤرقه لابد وأنه سبب هين :

« إنك لم تكن جسداً بلا روح : فلقد وهبتك الآلهة شكلاً جميلاً ،

وأعطتك الآلهة الثروة وفن التمتع بها . »

**non tu corpus eras sine pectore : di tibi formam,**

**di tibi divitias dederunt artemque fruendi. (6-7)**

يؤكد هوراتيوس هنا على مدى نعم الآلهة على ألبيوس باستخدامه للتكرار البلاغى[١١] (anaphora) : di tibi ... di tibi فالجمال والثروة نعمتان ، فإن أساء استخدامهما سيصير شهوانيًا . ولكن ما سيحفظه من الوقوع فى تلك الرذيلة ، أن الآلهة وهبته نعمة ثالثة ألا وهى فن التمتع ars fruendi بهما . وقد أشار إلى وجود هذه النعمة لدى ألبيوس بكلمة pectus (روح) ؛ فهو يمتلك تلك النعمة الثالثة ليصير حكيمًا صالحًا sapiens bonus[١٢] . ويسهب هوراتيوس فى هذا الموضوع من خلال ذكره لأمانى المربية لصبيها الذى ترعاه ، وذلك بنبرة حنون وكأنه يخاطب طفلاً عليلاً، مستخدمًا كلمات من اللغة العامية مثلcrumina (حقيبة) ،nutricula (مربية)[١٣]. ويأتى التصوير الرائع للمربية فى محله فهو يحاول أن يكشف لصديقه ما وصل إليه من حالٍ ، وكأنه ينظر إلى مرآة ، فهو عندما يترك نفسه للاكتئاب فهو كمن يؤذى نفسه بنفسه .

وبعد كل هذا الإعداد الرقيق ، فإن هوراتيوس يصل إلى ذروة الرسالة ، فيطرق بشدة على حالة صديقه النفسية ويسدى إليه نصائح جادة :

« بين الأمل والقلق وبين الخوف والغضب ،

اعتبر أن كل يوم تشرق (شمسه) عليك هو آخر يوم لك.

وإن الساعة المرتقبة، التى لا يراودك الأمل فى قدومها ، ستحل بك على حين غرة»

**Inter spem curamque, timores inter et iras**

**omnem crede diem tibi diluxisse supremum.**

**grata superveniet, quae non sperabitur hora.**

**(12-14)**

فتيبوللوس كما هو واضح من كلمات هوراتيوس قد وقع فريسة لانفعالات عديدة مثل الغضب ira، الخوف timor، القلق والهم cura ، الأمل spes ، ولهذا ينصحه هوراتيوس بأن يكون حكيمًا كما ينبغى له ، وهو أن يكون:

« مهتمًا بكل ما هو جدير بالرجل الحكيم الخيِّر ؟ »

**curantem quidquid dignum sapiente bonoque est? (5)**

فمن الحماقة أن نفسد حياتنا القصيرة والنفيسة بعذابات وهموم(١٤) . ورغم أن هوراتيوس نفسه يُعد شخصيةً ميالةً للحزن والاكتئاب، إلا أنه يظهر(١٥) تعاطفًا مع معاناة تيبوللوس محاولاً أن يعينه على الخروج من أزمته النفسية. ويبدو أن هوراتيوس كان على علم تام بالأسباب التى جعلت من تيبوللوس ناسكًا معتزلاً للحياة والأصدقاء، ففى إحدى قصائد كتاب الأغانى الأول يواسى هوراتيوس صديقه تيبوللوس الذى أحب فتاة تُدعى جليكيرا Glycera ولم يستطع نسيانها :

« لا تحزن أكثر من اللازم ، يا ألبيوس ، وأنت تتذكر

جليكيرا القاسية ، ولاتتوقف عن نظم

الإليجيات الزاخرة بالشجن ، »

**Albi, ne doleas plus nimio memor**

**immitis Glycerae, neu miserabilis**

**decantes elegos,.... (Od., i, 33, 1-3)**

فالهموم curae التى دفعت تيبوللوس إلى هجر اهتماماته وأصدقائه والبعد عن عيون الناس واللجوء إلى الريف ، ليقرض أشعاراً عن العزلة والاستغراق فى تأملات فلسفية ، قد تكون هموماً عاطفية أو جنسية ؛ وهو ما يمكن تبينه من القصيدة الغنائية سابقة الذكر (Od., i,33) . ويبدو الهم cura مرتبطًا بشكل وثيق بعاطفة الحب amor عند تيبوللوس(١٦) :

« فلطالما حاولت طرد الهموم بالخمر.»

**saepe ego temptavi curas depellere vino.**

**(Tib. i, 5, 37)**

« عندئذ أموت من الهم ، ........»

**tunc morior curis, ...............**

**(Tib. ii, 6, 51)**

كما أن الأمل spes الذى ذكره هوراتيوس فى رسالته هو محور الحديث فى إحدى قصائد تيبوللوس :

« يعدُنى الأمل (بالربة) نميسيس ، سلسة القياد ...»

spes facilem Nemesim spondet mihi, ...

(Tib. ii, 6, 27)

وكذلك فإن مخاوف timores العشّاق تعد من المواضيع المألوفة لديه (١٧) :

« وأنتِ أيضًا ، يا دليا، اخدعى الحراس دون أن يستولى عليكِ الخوف»

tu quoque ne timide custodes, Delia, falle.

(Tib.i, 2, 15)

«فهذه هى التى تقودكِ إلىّ فى جنح الظلام ،

وتحت تأثير خوف شديد تجعل أيدينا تتعانق خلسة وفى صمت»

haec mihi te adducit tenebris multoque timore

coniungit nostras clam taciturna manus;

(Tib. i, 6, 59-60)

ونجد أن الغضب ira كان يتملك تيبوللوس لفشله فى حبه :

« ... لكن أمك ، تلك العجوز الذهبية ، تثيرنى،

وتقهر غضبى.»

... sed tua mater

me movet atque iras aurea vincit anus.

(Tib. i, 6, 57-8)

« أما إله الحب ...

فهو يجلس هادئًا بين (المتخاصمين) وقد تملك كل منهما الغضب .»

**Amor ....**

**inter .... iratum lentus utrumque sedet.**

**(Tib. i, 10, 57-8)**

« إنه لسعيد أربع مرات

ذلك الذى يستطيع أن يُبكى فتاته الرقيقة بما يبديه من مشاعر الغضب .»

**...quater ille beatus**

**quo tenera irato flere puella potest.**

**(Tib. i, 10, 63.4)**

ومن كل ما سبق يمكننا القول بأن ما يعكر صفو تيبوللوس ، ومادعاه إلى العزلة، هو أمر عاطفى ، وهو ما أكدته لنا قصيدة هوراتيوس الغنائية وأشعار تيبوللوس الإليجية(١٨). ثم يقوم هوراتيوس بالتخفيف من النغمة الجادة للرسالة التى تلائم الحالة النفسية والمزاجية التى يعيشها تيبوللوس ، وذلك بدعوته فى نهايتها إلى زيارته فى نزله الريفى وإلى الضحك عليه (أى على هوراتيوس) حينما يتأمل صورته التى آل إليها من فرط الراحة والتنعم(١٩) :

« عندما ترغب فى الضحك، فإن لك أن تتطلع إلى هيئتى، حيث ستجدنى بدينًا وأنيقًا ذا بشرة متأنقة، مثل خنزير من قطيع إيبقوروس.»

**me pinguem et nitidum bene curata cute vises,**

**cum ridere voles, Epicuri de grege porcum.**

**(15-16)**

تحدد الرسالة الرابعة العلاج الناجع لحالة الاكتئاب التى أصابت تيبوللوس ، وهذا العلاج لا يقوم على الزهد والعزلة بهدف تكريس نفسه لقرض الشعر وقراءة الفلسفة، بل على الحصول على متعة الصداقة **voluptas amicitiae**[٢٠] ، وهكذا صور هوراتيوس غاية الفلسفة الإبيقورية بأسلوب ساخر ، واعتبر أنها السبيل الراقى لإخراج تيبوللوس من أزمته النفسية[٢١] .

ولقد ذكر هوراتيوس الفيلسوف إبيقوروس فى البيت الأخير كإشارة إلى أن نصيحته السابقة (١٣–١٤) مستعارة من أحد أقوال هذا الفيلسوف ، ولعل ذكره له هنا كان القصد منه تفسير البيتين الأخيرين تفسيراً حسياً . فهوراتيوس يصف نفسه بأنه يعيش مع أصدقائه بالطريقة التى يُعتقد بأن إبيقوروس ورفاقه كانوا يعيشونها (١٥–١٦) . وهذه الكلمات تذكرنا بما كتبه هوراتيوس فى الرسالة الثانية عن شباب الفياكيين الذين يرمزون إلى الترف والتنعم والحياة الخاملة (**Ep. i, 2, 29**) .

ويشبه هوراتيوس نفسه بالفياكيين فى رسالة تالية وفى سياق مشابه :

« لعلى أستطيع العودة من هناك إلى منزلى ، بديناً كرجل من فياكيا.»

**pinguis ut inde domum possim Phaeaxque reverti,**

**(Ep. i, 15, 24)**

الصورة التى يقدمها هوراتيوس عن نفسه فى الرسالة الرابعة تعد مقابلة لصورة الحكيم التى يتمناها لنفسه فى نهاية الرسالة الأولى :

« والخلاصة أن الحكيم لن يقل شأناً إلا عن چوبيتر وحده ، إنه ثرى

وحر وذو منزلة رفيعة وجميل المحيا ، وبإيجاز فهو ملك الملوك ،

وفوق كل ذلك فهو صحيح البدن إلا إذا أصابته نزلة برد ورشح مهلكة»

**Ad summam : sapiens uno minor est Iove, dives,**

**liber, honoratus, pulcher, rex denique regum,**

**praecipue sanus, nisi cum pituita molesta est.**

**(Ep. i, 1, 106-108)**

فكل من المدرستين يمثل بالنسبة لهوراتيوس طرف المقص الذى يشده إليه ويتذبذب هو بينهما ، ولهذا أعلن في الرسالة الأولى أنه لن يدين بالولاء الكامل لأية مدرسة فلسفية[٢٢] .

وتتشابه الرسالة الرابعة مع الثالثة فى أن كليهما يبدأ بتوجيه الأسئلة إلى المرسل إليه ، ويتم الافصاح فيها عن رغبة هوراتيوس فى معرفة الأشعار التى يكتبها مراسله، وفى أن كليهما كان بغرض إسداء النصح الأخلاقى عن طريق الابتعاد عن الغضب والقلق ، وأنهما ينتهيان بفكرة لم شمل الأصدقاء.

ولكن توجد اختلافات جوهرية بين الرسالتين ، ففلوروس بالرسالة الثالثة في حالة ترحال ، فهو ينتقل من مكان لآخر نظراً لطبيعة المهمة العسكرية التى يؤديها ، فى حين أن تيبوللوس مقيم فى بلدة «بدوم» فى عزلة تامة عن جميع أصدقائه . وتصل الرسالة الثالثة إلى ذروتها بدعوة عامة لدراسة الفلسفة، على حين يدعو الشاعر فى الرسالة الرابعة لمبدأ فلسفى واحد فقط . وعلاوة على هذا ، فإن الرسالة الثالثة تهتم فقط بأحداث معاصرة ، إلا أنه فى الرابعة مزج بين الحاضر والماضى حيث تبدأ الرسالة بتذكرة مؤداها أن تيبوللوس قام منذ سبعة أعوام أو أكثر بنقد هجائيات هوراتيوس (١) . ثم يقوم هوراتيوس بعقد مقارنة بين أشعار كلاً من تيبوللوس وكاسيوس من بارما الذى شارك فى قتل يوليوس قيصر ، وحارب فى صف بروتس وكاسيوس ، ثم من بعدها فى صف أنطونيوس أثناء معركة أكتيوم حيث أُعدم بعدها . فهى مقارنة بين رجل معاصر وآخر قد مات منذ زمن ، ويأتى تفضيله لأشعار تيبوللوس كإشارة واضحة إلى تزكيته لأهمية الحياة الفلسفية بالريف[٢٣] .

أيا ألبيوس ، أيها الناقد النزيه لأحاديثى ، ترى ماذا علىَّ أن أفعل؟
أخبرك بما تفعل الآن فى إقليم بدوم ؟
أتكتب ما يبز مؤلفات كاسيوس من بارما ويفوقها[٢٤] ؟
أم أنك تمشى الهوينى فى سكينة بين الآجام التى تنعش الصحة ؟
مهتمًا بكل ما هو جدير بالرجل الحكيم الخير ؟
إنك لم تكن جسداً بلا روح :
فلقد وهبتك الآلهة شكلاً جميلاً ، وأعطتك الآلهة الثروة وفن التمتع بها .
فما الذى يمكن أن تتمناه المربية لربيبها ، حلو الشمائل ،
أكثر من قدرته على أن يصير حكيمًا وعلى أن يتمكن من التعبير عما يشعر به ،
وأن يحصل على قدر وافر من الحظوة والشهرة والصحة
والحياة الكريمة وبحقيبة من المال لا تستنفذ .
بين الأمل والقلق وبين الخوف والغضب ،
اعتبر أن كل يوم تشرق (شمسه) عليكَ هو آخر يوم لك .
وإن الساعة المرتقبة التي لا يراودك الأمل في قدومها ، ستحل بك على حين غرة .
وعندما ترغب فى الضحك ، فإن لك أن تتطلع إلى هيئتى ،
حيث ستجدنى بدينًا ، وأنيقًا ذا بشرة متأنقة ،
مثل خنزير من قطيع إبيقوروس .

# الهوامش

(١) E. Fraenkel, op. cit., p. 323.

(٢) M.J. Putnam, "Horace and Tibullus", CPh 67 (1972), p. 81

(٣) بدوم : مدينة لاتينية قديمة تقع بين تيبور وبرانيستى (Liv. 8. 13) ، وهى المدن المحببة لنفس هوراتيوس .

(٤) R. Mayer, Horace, Epistles Book i, Cambridge (1994), pp. 133f.

(٥) E.Fraenkel , op. cit., p. 323.

(٦) انظر الاستخدامات الأخرى للصفة candidus عند هوراتيوس :

Sat. i, 5, 41; i, 10, 86; Ep., ii, 6, 68; Epod., 14, 5.

(٧) كلمة sermonum تشير إلى كل ما كتبه هوراتيوس فى البحر السداسى وتناول فيه مواضيع أخلاقية (cf. Ep., ii, 1, 250) .

(٨) R. Mayer, op. cit., p. 134.

(٩) يعتقد A. Brouwers, " Horace et Albius", in Études Horatiennes, Bruxelles (1937), p. 59.

أن ألبيوس شاعر تراچيدى يحاول محاكاة كاسيوس من بارما .

(١٠) يعد استخدام المقابلة antithesis بين الجسد corpus والعقل pectus من المقابلات الشائعة فى الأدب اللاتينى .

(١١) E.Fraenkel, op. cit., p. 324.

(١٢) M.J. McGann, op. cit., p. 43.

(١٣) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 57.

(١٤) يعتبر إسداء النصح بطرد القلق عن النفس من المبادئ الإبيقورية التي تبناها هوراتيوس، وتناولها بشكل أكثر وضوحًا فى أغانيه (Od., i,9,14; i,11, 18) .

(١٥) E. Fraenkel, op. cit., p. 326f.

(١٦) انظر أيضًا : Tib., ii, 3, 31; ii, 6, 51; ii, 17, 1; iii, 6, 29; iii, 18, 1.

(١٧) انظر أيضًا · Tib., i, 2, 24; i, 8, 29; ii, 1, 17.

(١٨) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 60 f.

(١٩) نعت شيشرون بيسو Piso بأنه إبيقوروس الرومان فى عصره ، وأنه قد تربى فى حظيرة للخنازير وليس فى مدرسة "Epicure noster ex hara producte, non ex schola" (Cic. in Pis., 16, : 37) ويسخر شيشرون من الترف والرفاهية التى أحاط بهما بيسو نفسه ، كما انتقده بشدة لأنه جعل موكبه وحاشيته كحاكم وبروقنصل على إحدى الولايات تتسم بالفخامة والبهرجة ، وذلك على النقيض مما يفعله هو نفسه .

(٢٠) انظر Lucr., i, 140-141 ، وقارن شيشرون الذى وصف إبيقوروس بأنه كان يحظى بعدد كبير من الأصدقاء:

"at vero Epicurus .... quam magnos tenuit amicorum greges" (Cic., de Fin., i, 20, 65)

(٢١) R.S. Kilpatrick, op, cit., p. 58.

(٢٢) M.J. McGann, op. cit., p. 44.

(٢٣) ibid., p. 42f.

(٢٤) كاسيوس من بارما Cassius Parmensis : يعتقد الدارسون أنه كاسيوس الإتروسكى الذى تحدث عنه هوراتيوس فى إحدى هجائياته (Sat., i, 10, 61) حيث كان ينقد الموضوعات التى كانت تُكتب على عجل وبلا عناية ، وقد وصفه هوراتيوس بأنه مثل النهر عند فيضانه ، يخرج سيلاً عكرًا . ويُقال إن هذا الشاعر وجميع مؤلفاته قد أُحرقوا . ويعتقد أكرو وبورفيريو أنه شاعر تراجيدى عمل كتريبون عسكرى فى جيش بروتوس ، وبعد معركة فيليبى ذهب إلى أثينا حيث قتله هناك لوكيوس قاروس بأمر من أوغسطس ، وشاع بين الناس أن مسرحية ثيستيس التى نشرها قاروس هى من تأليف كاسيوس ويقال أيضًا إنه كتب العديد من الإليجيات والإبيجرامات التى حازت إعجاب الجمهور.

# الرسالة الخامسة

تتشابه الرسالة الخامسة مع الرابعة فى أن كليهما دعوة للمرسل إليه من جانب هوراتيوس كى يأتى لزيارته ، تتسم دعوته للشاعر ألبيوس تيبوللوس فى الرسالة الرابعة بعدم التحديد ، فقد ترك الباب مفتوحًا ليحضر إليه عندما يشاء ، حيث يمكنه أن يضحك ويسرّى عن نفسه ويخرج من عزلته . ويقدم لنفسه صورة الإبيقورى المستمتع بمباهج الحياة ليحتذيها تيبوللوس ويتخذ منها نموذجًا له . فقد كان الإبيقوريون يقدسون رباط الصداقة ويحثون على مشاركة الأصدقاء فى التمتع بمباهج الحياة[١]. أما دعوته لتوركواتوس المحامى بالرسالة الخامسة ، فهى محددة الموعد ، وهو نفس اليوم الذى يكتب فيه ، ويبدو أن كلاً من هوراتيوس وتوركواتوس كانا موجودين آنذاك فى روما : توركواتوس فى ساحة القضاء ، فى حين كان هوراتيوس بمنزله (domi,3).

ويمكننا تحديد ميعاد هذه الدعوة باليوم الثانى والعشرين من شهر سبتمبر حيث ذكر فى الرسالة أن الغد هو يوم الاحتفال بميلاد القيصر ، وبالرغم من أن الدعوات كانت تُرسل مسبقًا إلا أن هوراتيوس لم يفعل ذلك وكأنه لا يتوقع الرفض[٢] .

ويختلف الموقف فى الرسالة الخامسة عنه فى الرابعة ، فتوركواتوس رجل من أسرة أرستقراطية عريقة ، هى أسرة مانليوس توركواتوس Manlii Torquati ، ويعمل كمحامٍ patronus وهو متخمٌ بالأعمال والأعباء بين المحاماة والاستشارات القانونية وشئون الدولة ؛ ولذا يحاول هوراتيوس كصديق مخلص ، أن يُخرِج صديقه ولو ليوم واحد من هذه الدائرة وأن يجعله يستريح ، فيعد له حفل عشاء على شرفه فى منزله .

ومرة أخرى يجعل هوراتيوس من نفسه نموذجًا ، عندما يلح على توركواتوس باغتنام ما هو عليه من ثراء ، وإلا فما قيمة المال إن لم يجلب المتعة لصاحبه :

« فما جدوى الثروة بالنسبة لى ، إن لم يكن مسموحًا لى التمتع بها ؟ »

**Quo mihi fortunam, si non conceditur uti? (12)**

وكأنه يذكّرنا بما قاله عن تيبوللوس فى الرسالة السابقة (Ep.i, 4,7).

فلابد لنا من الخروج من دائرة العمل والالتزامات ، وهذا هو واجب الصديق ودوره، فالحفل مقام لكسر هذه الحلقة المفرغة ، ويدعم ذلك أن الغد عطلة للجميع لأجل الاحتفال بعيد ميلاد الإمبراطور(٣) .

وجه هوراتيوس إحدى القصائد الغنائية إلى توركواتوس (Od.iv.7) ، وفيها وصفه بثلاث خصال رئيسية : **genus** (نبل المولد) ، **pietas** (الإحساس بالواجب) ، **facundia** (الفصاحة) ، وهى خصال يعتز بها توركواتوس ، وهى نفسها مفتاح فهم الرسالة .

وندرك نبل مولده **genus** ، بتحديدنا لشخصيته ، فهو مانليوس توركواتوس ، سليل تيتوس مانليوس توركواتوس **T.Manlius Torquatus** قنصل عام ٣٤٧ق.م. وقاهر اللاتين فى تريفانوم الواقعة بين سينويسا ومينتورناى ، وهو الملقب بصاحب القوة والطول **Imperiosus** ، حيث إنه صار مضرب المثل لدى الرومان فى إصدار القرارات السلطوية التى كانت تعرف باسم **Manliana imperia** .

أما الإحساس بالواجب **pietas** فمشهور ومتوارث فى هذه الأسرة ، فهذا توركواتوس الجد الذى قام بإشهار السيف فى وجه أحد الترابنة (= نقباء العامة) وهدده بالقتل ، وذلك ليمنعه من تقديم دعوى اتهام ضد والده ، مما اضطر التريبيون للتراجع عن اتهامه ، وقد كان من المبادئ التى تشتهر بها هذه العائلة : « الواجب قبل المتعة» .

تحتوى الرسالة الخامسة على تضمينات فلسفية ، فهوراتيوس يحض توركواتوس على تبنى المنهج الإبيقورى فى حياته والاستمتاع ببعض متع الحياة مع الأصدقاء . فهو يحثه بشكل مازح للابتعاد قليلاً عن مبدأ عائلته : «الواجب قبل المتعة» ، ويذكره بأحد أقاربه وهو لوكيوس مانليوس توركواتوس **L.Manlius Torquatus** برايتور

عام ٤٨ ق.م. ، وربما يكون والده . وقد كان إبيقوريًا وأحد الشخصيات الحوارية فى عمل شيشرون «عن حدود الخير والشر» ، وقد وبخه شيشرون لفشله فى العيش على نفس النمط الصارم المتوارث فى عائلته(٤).

أما الفصاحة facundia فقد ألمح إليها هوراتيوس فى رسالته بالحديث عن قضية موسكوس التى ترافع فيها توركواتوس مؤخرًا(٥) .

وتبدو الرسالة وكأنها رد على رسالة قصيرة من توركواتوس ، اقترح فيها أن يلتقيا فى يوم الإجازة حيث إنهما لم يتبادلا أطراف الحديث منذ زمن . فيكتب هوراتيوس ذلك الرد فى الحال ويسلمه لخادم توركواتوس حامل الرسالة ، ويخبره بأنه سينتظر الرد بالتأكيد على قبول الدعوة .

ولقد جاءت الصيغة الاستهلالية للدعوة على النحو التالى :

« إن يتح لك الاضطجاع كضيف على أرائك أرخياس»

**Si potes Archiacis conviva recumbere lectis (1)**

وهى صيغة مألوفة فى الدعوات حيث نجد صيغًا مشابهة لها عند بلاوتوس :

« إن يتح لك الإتكاء بطريقة بارعة .»

**si arte poteris accubare,**

**(Stich., 619)**

« إن يك بوسعك أن ترتاد ذلك الموقع الساحر لباتوس،»

**si potes esse te Pati in lepido loco,**

**(Poen., 696)**

تحدث هوراتيوس فى البداية عن الاضطجاع على أرائك أرخياس **Archiaci lecti** وربما قصد الشاعر بهذا إما حث توركواتوس على الحضور أو تثبيط همته، ويعتمد ذلك

على ما يكنه هوراتيوس فى ضميره[٦] ويؤكد بورفيريو Porphyrio أن أرخياس هذا هو صانع أثاث ، وأنه كان متميزًا بصنع أرائك صغيرة الحجم :

« يصنع أرخياس مقاعد قصيرة ، ومن ثم فهى تسمى (مقاعد) أرخياس »

**Archias breves lectos facit, unde Archiaci...... (Porph.)**

وهناك من يرى أن أرخياس كان صانع أثاث قصير القامة وكان يقوم بصنع أرائك زهيدة السعر[٧] :

« يُقال إن مقاعد أرخياس المتواضعة تُنسب إلى الصانع أرخياس ،

الذى يُقال عنه إنه لم يكن طويل القامة. »

**Archiaci lecti dicebantur humiles a Archia fabro, qui non**

**magnae staturae dicitur fuisse. (Ps. Acro)**

ويقدم أ. بورجيرى A.Bourgery تفسيرًا آخر طريفًا عن أرخياس ، حيث يقول- نقلاً عن كورنيليوس نيبوس- إن أرخياس كان أحد حكام طيبة[٨] ، وأنه ذات يوم تسلم رسالة عاجلة من أحد أصدقائه بأثينا يحذره فيها من أن المنفيين قد تآمروا لقلب نظام الحكم فى بلده ، وأنهم الآن فى طريقهم إلى طيبة . لكن أرخياس رفض الاطلاع على الخطاب ، وذلك لأنه تسلمه أثناء تناوله للعشاء ، فما أن حل الظلام حتى وصل المتآمرون وتمكنوا من أن يردوه قتيلاً[٩] .

ويعتقد ج.س.س. إيدينو J.C.S. Eidinow أن هذه القصة الطريفة كانت فى ذهن هوراتيوس عند ذكره لأرائك أرخياس ، لأنه عندما بعث دعوته بهذا الشرط ، كان يعنى أن قبول توركواتوس لها سيدفعه إلى تحاشى مناقشة الأمور الجادة res severae ، وإلى قضاء بعض الوقت مستغرقًا فى ملذاته فى رفقة هوراتيوس وبعض الأصدقاء الآخرين . وتزداد جانبية إشارة هوراتيوس عندما نعت توركواتوس بالصفة severus (١٣) ، حيث إن تناول وجبة العشاء قد منع أرخياس من مناقشة الأمور الجادة res severae . وبالتالى فعلى ضيف هوراتيوس أن ينسى واجباته هو الآخر حيث إن الغد

يوم عطلة للاحتفال بميلاد أوغسطس ، مما يعطى الرخصة بترك كل ما هو جاد والتمتع بمباهج الحياة والنوم متأخراً (٩-١٠) . والحق أن الاختلاف فى هذه المقارنة واضح ، فانغماس أرخياس فى ملذاته أمر غير مستحب ، على حين أن ما يحث هوراتيوس صديقه على فعله هو إضفاء قيمة وجمال على الحياة . فهو يحضه على أن يجد بين الواجبات مكاناً للمتعة والمرح ، وكأن هوراتيوس يريد أن يقول إن توركواتوس سيهلك نفسه بعدم الترويح عنها بمباهج الحياة[١٠].

وفى البيت الثانى نجد شرطاً آخر لحضور حفل العشاء ، وهو عدم الخشية من الاقتصار على تناول وجبة متواضعة من الخضروات :

« وإن لا تساورنك الخشية من تناول عشاءٍ مكونٍ من جميع الخضروات
فى طبق متواضع،»

**nec modica cenare times holus omne patella,**

**(Ep. i, 5, 2)**

لكن لماذا يخشى توركواتوس وجبة من جميع الخضروات **holus omne**؟ والإجابة على ذلك هى أن هوراتيوس اعتاد مدح وجبة الخضروات[١١] ، ولهذا ربما يخشى توركواتوس من أن يكون كل ما بالمائدة من هذا القبيل . إذ ذكر شيشرون ذات مرة أنه قد تناول فى منزل لنتولوس وجبة عشاء مكونة كلها من الخضروات ، وقال إن الأطباق كانت شهية جداً حتى أنه أفرط فى تناول البنجر والخباز مما أصابه بالإسهال[١٢] ، وعلى هذا فإنه سيكون من العسير تناول الخضروات **holera** على نحو مقتصد إن كانت قائمة الطعام لا تحتوى على غيرها[١٣] .

ولقد ورد فى المعجم اللاتينى أن التعبير يأكل من طبق **edere de patella** يُتخذ عند الكتاب كمثال يعبرون به عن عدم الإحساس بالمسئولية والواجب ، واستشهد المعجم بشيشرون الذى استخدم هذا التعبير فى إدانته للمفهوم الإبيقورى للمتعة ، وذلك فى عملٍ كانت الشخصية الحوارية الرئيسية فيه هى شخصية لوكيوس مانليوس توركواتوس[١٤] .

وبإيجاز فإن هوراتيوس هنا يبدو وكأنه يحث توركواتوس على الاستمتاع بوقته في رفقة مجموعة من الأصدقاء وكأنه إبيقورى . على أية حال ، فإن فكرة المتعة المتعلقة بالطعام تختلف عن المتع الحسية الأخرى التى هاجمها شيشرون وهاجم الإبيقوريين لاستحسانهم إياها(١٥) . وبالأحرى فإن المأدبة التى ينوى هوراتيوس تقديمها والمكونة من طبق من الخضروات holus omne تشبه إلى حد كبير مأدبة لايليوس التى مدحها شيشرون فى سطور اقتطفها من لوكيليوس(١٦) ، والتى تطابق من حيث طبيعة الطعام المقدم فيها الآراء التى نطق بها إبيقوروس نفسه بشأن الطعام(١٧) .

وخلاصة القول إن هوراتيوس يغرى توركواتوس لحضور حفل عشاء يتناسب مع صورة عائلة توركواتوس فى المجتمع الرومانى ، فقد هيأ له فيها فرصة التمتع بتناول أصناف من الطعام لا يجد فيها كل من إبيقوروس وشيشرون أية غضاضة(١٨).

ويحدد هوراتيوس فى البيت الثالث موعد العشاء بغروب الشمس (supremo sole, 3) ، وهو الوقت الذى تنتهى فيه المرافعات القضائية بدار القضاء ، ولكنه يعتبر أن هذا الموعد موعداً مبكراً لتناول العشاء ، كما أن توركواتوس ليس من ذلك النوع من الرجال الذين يأخذون قسطاً من الراحة حتى فى يوم الأجازة .

وهناك تحذير ثالث يتعلق بالخمر :

« ستحتسى خمراً عُصرت وتمت تعبئتها إبان القنصلية الثانية لتاوروس،

بين مدينة مينتورناى ذات المستنقعات ومدينة بترينوم الواقعة قرب سينويسا.»

vina bibes iterum Tauro diffusa palustris

inter Minturnas Sinuessanumque Petrinum. (Ep. i, 5, 4-5)

كان هوراتيوس عند دعوة أصدقائه يحب الإعلان عن وجود الخمر ، وكان يختار نوعاً مناسباً لضيفه · ففى إحدى الغنائيات يخبرنا هوراتيوس أنه قدم لمايكيناس خمراً سابينياً بسيطاً غير معتق(١٩) ، ويقدم ليسالا بناءً على طلبه خمراً صُنعت فى قنصلية مانليوس Consule Manlio أى فى العام نفسه الذى ولد فيه هوراتيوس(٢٠). ونجد الشيء نفسه فى القصيدة الغنائية (الإبودية) الثالثة عشرة. وتقدم لنا ر.ج.م. نسبت

R.G.M. Nisbet تفسيراً جيداً لاختيار هذا النوع من الخمور فى هذه الرسالة ، حيث ترى أنه في عام ٣٤٠ ق.م. قام تيتوس مانليوس توركواتوس بالانتصار على اللاتين في معركة وقعت رحاها بين مدينتي سينويسا ومينتورناي(٢١) . وكان توركواتوس فخوراً بأسرته وعراقة أصله وبنجاحه في مهنته(٢٢) . وعلى ذلك فالخمر التي يقدمها هوراتيوس فى وليمته لضيفه ربما لا تزيد فى القدم عن ست سنوات(٢٣)، ولعلها خمر غير متميزة ، ولكن هوراتيوس أراد إدخال السرور والزهو فى نفس صديقه عن طريق هذه الإشارة(٢٤) .

ثم يورد هوراتيوس بعد حديثه عن نوع الخمر الذى سيقدمه لضيفه البيت التالى :

« فإن يك لديك ما هو أفضل من هذا ، فارسل فى طلبه أو ارضخ للأمر »

si melius quid habes, arcesse, vel imperium fer . (6)

يرى ج.س.س. إيدينو أن قول هوراتيوس arcesse, vel imperium fer يعد إشارة للصرامة الرومانية وفي الوقت نفسه لقرارات مانليوس السلطوية Imperia Manliana التى سبقت الإشارة إليها(٢٥). فهوراتيوس هنا يمزح لأن هذه الأسرة قد اعتادت إصدار الأوامر ، فما المانع أن تتلقاها ولو لمرة واحدة ؟ وربما كان في ذهن هوراتيوس قصة أخرى وهى أن توركواتوس الجد الأكبر للعائلة قتل ذات مرة أحد أبنائه لعدم طاعته لأوامره . ولعل هوراتيوس يريد أن يقول له هنا كما أنك تصدر الأوامر فعليك أيضاً أن تطيع الأوامر الموجهة إليك لكى لا تلقى نفس المصير الذى تلقاه أحد أسلافك لعصيانه لأوامر والده . والفعل arcesse ذو دلالة قضائية فهو يعطى معنى تقديم شخص للمحاكمة(٢٦) . وقد أكثر هوراتيوس – كما سنلاحظ – من التعبيرات القانونية وذلك لأن الرسالة موجهة إلى محامٍ(٢٧) .

ثم يعلن هوراتيوس قيامه بالإشراف بنفسه على حفل العشاء ويظهر اهتمامه بالنظافة والنظام :

« إن (نار) مدفأتى(٢٨) مشتعلة منذ أمد طويل حتى الآن، وأثاثى نظيف ومرتب لأجلك»

iamdudum splendet focus et tibi munda supellex. (7)

ثم يعود بعد ذلك إلى لغة التحذير وإصدار الأوامر بهدف التوصل إلى إقامة سهرة سعيدة بين الأصدقاء:

« انبذ إذن الآمال الواهية والصراع على الثروة ،

وقضية موسكوس ،..........»

mitte levis spes et certamina divitiarum

et Moschi causam ........ (8-9)

ويرى ر. ماير R. Mayer أن الآمال الواهية levis spes قد تكون بعض آماله الشخصية ، ولعلها على الأرجح آمال أصحاب القضايا التى يقوم هو بالترافع فيها[٢٩]. ويرى ر.س. كيلباتريك أن تفسير «الآمال الواهية» يمكن إدراكه من القصيدة الغنائية التى وجهها إليه :

« إن العام والساعة اللذين يسلبانا سعادة يومنا يوجهان إليك

تحذيرهما حتى لا تأمل فى الخلود.»

immortalia ne speres, monet annus et almum

quae rapit hora diem, (Od. iv, 7, 7-8)

فالرغبة فى الخلود immortalia إذن ما هى إلاّ تعلقٌ بالآمال الواهية[٣٠] ، أما تحاشى الصراع على الثروة certamina divitiarum فهى نصيحة عامة يقدمها هوراتيوس لكل قرائه ولا يخص بها توركواتوس وحده . وقد كان المحامون لا يتنافسون على تولى عدد كبير من القضايا حيث إن القانون الرومانى كان يمنع المحامى من تلقى أموال أو هدايا كمقابل للدفاع فى القضايا ، وذلك طبقًا لقانون كينكيوس lex Cincia الصادر عام ٢٠٤ق.م.[٣١] .

أما قضية موسكوس فقد كانت بحق من أشهر القضايا فى ذلك الوقت حيث اتهم فولكايوس موسكوس ، معلم البلاغة من برجامون ، بتهمه دس السم . وقام بالدفاع عنه توركواتوس وأسينيوس بولليو ، إلا أن المحكمة أدانته فقام بالفرار إلى مارسيليا

ليقوم بتدريس البلاغة هناك(٣٢) . ولعل ذكر هذه القضية هنا جاء كمجاملة له بذكر أهم القضايا التى عمل بها(٣٣) .

ثم يدعم هوراتيوس دعوته لتوركواتوس بالتلميح إلى موافقة أوغسطس الضمنية على السهر ، وذلك بالإشارة إلى عيد ميلاد الإمبراطور الذى يرخص فيه للجميع بمجافاة النوم والسهر:

« فغداً يوم الاحتفال بميلاد قيصر ،
مما يعطينا رخصة للنوم (حتى ساعة متأخرة) من النهار ،
ولسوف يكون مسموحاً لنا دونما غضاضة ،
أن نطيل ليلة صيف بحديث شجى متصل بين الأصدقاء . »

... cras nato Caesare festus

dat veniam somnumque dies, impune licebit

aestivam sermone benigno tendere noctem. (9-11)

ومرة أخرى نلاحظ أن هوراتيوس غلف فكرته ببعض التعبيرات القضائية مثل dies (يوم) ، حيث إن التقويم الرومانى يحتوى على أيام عطلات رسمية لساحات القضاء . أما التعبير veniam dat فهو يوحى بالعفو عن المجرمين وهو ما تمنحه لهم الدولة لأسباب شخصية أو فى بعض المناسبات . وكلمة impune ذات دلالة قضائية أيضاً فهى تعنى إيقاف تنفيذ العقوبة أو براءة ساحة المذنب من المقاضاة كنتيجة لأى ظرف(٣٤) .

ويكرر هوراتيوس هنا نصيحته التى سبق أن أسداها إلى تيبوللوس بالرسالة الرابعة ، فيحثه على الاستمتاع بالثروة والتمتع بمباهج الحياة :

« فماجدوى الثروة بالنسبة لى ، إن لم يكن مسموحاً لي التمتع بها ؟
وإن من يقتر على نفسه ويقسو عليها بإفراط لصالح وريثه ،
إنما هو مخبول ما فى ذلك شك »

Quo mihi fortunam, si non conceditur uti?

parcus ob heredis curam nimiumque severus

adsidet insano. (12-14)

ويجدر بالذكر أن هوراتيوس قد تناول الفكرة نفسها في القصيدة الغنائية التي وجهها إلى توركواتوس :

« كل الأشياء التي كنت تنوى أن تمنحها لنفسك الأثيرة لديك ،

سوف تفر إلى يدى وريثك الجشعتين. »

**cuncta manus avidas fugient heredis, amico**

**quae dederis animo. (Od. iv, 7, 19-20)**

يحذر هوراتيوس هنا توركواتوس من القسوة على نفسه (**severus**) من أجل ورثته، ويبدو أنه لم يُرزق بالذرية ، فإن قضى نحبه على هذا النحو ولم يتمتع بما لديه من ثروة فإنها ستئول إلى وريث **heres** ليس من صلبه .

وربما يشير هوراتيوس هنا بكلمة **severus** إلى أن أسرة توركواتوس كانت مضرب الأمثال في قسوة الآباء ، فكما ذكرنا أن توركواتوس الجد الأكبر قتل ابنه في ميدان المعركة لعدم طاعته . ويروى شيشرون أن توركواتوس الإبيقورى ( قنصل عام ١٦٥ق.م.) ، قد عاقب سيلانوس ابنه بالتبنى فقام الأخير بقتل نفسه ، فرفض توركواتوس حضور جنازته وقضى يومه بالمنزل[٣٥] . وهكذا كانت هذه العائلة مثالاً لقهر عاطفة الأبوة تجاه الأبناء والتصرف بقسوة إذا ما دعت الضرورة أو الواجب لذلك[٣٦] .

إن البخل والقسوة على النفس يعادلان الجنون (**adsidet insano, 14**) ويحتاجان لتدخل ساحة القضاء[٣٧] . فلماذا إذن المخاطرة بالسمعة من أجل سلوك غير حكيم ؟[٣٨] .

والعلاج الناجع لهذه الحياة الصارمة بالطبع هو نسيان الهموم بحديث بين الأصدقاء مع احتساء أقداح الخمر (٩-١٥) . ولذلك فإن هوراتيوس يمدح بعد ذلك الخمر (١٦-٢٠) ، حيث يجسد حالة الثمالة بأسلوب جذاب يُقارن بما جاء في أنشودة مدح كأس الخمر[٣٩] . فالثمالة تفضح الأسرار (**recludit**) ، وتحقق الآمال (**spes iubet esse rata**) ، وتطرد الهموم (**onus eximit**) ، وتعلم الفصاحة (**addocet artem-facere desertum**) ، وتحرر الناس من الفقر المدقع (**contracta paupertate solutum**) )، وبإيجاز فإن الخمر غنية بكل المميزات التي تستحق المديح.

ثم يعود هوراتيوس مرة أخرى إلى التأكيد على إشرافه على الحفل وأنه قام بكل ما في وسعه لإعداد سهرة جذابة . وهو هنا يتبنى لغة الأيديل [٤٠] ويستخدم لهجته فى إصدار الأوامر أثناء إشرافه على الاحتفال . ويبدو ذلك جليًا من تكراره البلاغى (anaphora) للحرفين ...ne... ne... ne... ne... ut مما يضفى إسهابًا amplificatio خفيف الظل وهو يتحدث عن الواجبات الملقاة عليه كمضيف (٢١-٢٦)[٤١].

ولكى يستحث هوراتيوس توركواتوس على الحضور ، تراءى له أن أكثر حافز لإقناعه هو رؤية أصدقاء قدامى يشاركونه الميول نفسه ، مثل بوترا وسبتيكيوس وسابينوس ، كما أن هوراتيوس سمح له أيضًا بدعوة بعض الأصدقاء الآخرين (٢٦-٢٩).

وينهى شاعرنا هذه الرسالة بتكرار طلبه لتوركواتوس بالاستراحة من عناء العمل، والتخلى عن مبدأ أسرته الذى ينادى بأن «الواجب قبل المتعة» . ثم يلمّح هوراتيوس إلى ما صار إليه أمر توركواتوس من إرهاق فى العمل ، لأنه بعد أن ينهى عمله بساحة القضاء يجد كثير من العملاء فى انتظاره ينشدون استشارته القانونية ويجلسون فى ساحة الانتظار بالمحكمة ؛ ولهذا يحضه هوراتيوس على الهرب منهم من باب خلفى (٣٠-٣١).

وتظهر الرسالة الخامسة أن هوراتيوس يعيش حياة بعيدة كل البعد عن حياة التنعم والبلادة التى جعلته يشبه نفسه من قبل بخنزير فى قطيع إبيقوروس فى الرسالة الرابعة . فالوليمة ليس بها أية مظاهر من مظاهر الإسراف والترف ، والطعام الوحيد الذى ذكر فيها هو الخضروات التى سيقدمها فى صحون متواضعة ، كما أن الخمر لن يكون معتقًا أو ذا جودة عالية .

ولا يبدو على هوراتيوس أنه ينفق ماله بإسراف ما ، بل يبدو أنه يتصرف بحرص. فالمنزل والمائدة نظيفان ، والمدعوون الآخرون تم اختيارهم بعناية ، وقد لا يحضر أحدهم ، وهو سابينوس ، إن حال بينه وبين الحضور عشاء أفضل وصحبة فتاة[٤٢]. وتهدف هذه الإشارة إلى شد الانتباه لعدم وجود فتيات فى عشاء هوراتيوس .

ولقد جاء مديح هوراتيوس لشرب الخمر حتى الثمالة ebrietas بعيدًا عن المجون والخلاعة ، فهى تمده فقط بالإلهام وتحرره من الهموم ، فالخمر تشكل جزءًا من

مناقشة أخلاقية تبدو أهميتها فى أنها تحتل قلب الرسالة (١٤-٢٠) ، كما أن الانغماس فى هذه المتعة (أى الخمر)، يعد ملائمًا فقط فى المناسبات الخاصة . ولهذا الغرض اختار هوراتيوس التوقيت المناسب لمأدبته ، فهى تبدأ من الغروب فى اليوم السابق على يوم الأجازة . وحيث إن توركواتوس كان يعمل طوال النهار فإن بإمكانه أن يضع آماله جانبًا ، وأن يطرح كذلك همومه خلف ظهره وأن يسلم نفسه لمتع الحاضر ويطيل من وقتها لتستمر طوال الليل .

ويمكننا أن نعتبر أن هذه الرسالة تعليقًا على الرسالة الرابعة ، حيث إنها تظهر كيف يمكن لرجل الأعمال أن يضمن لنفسه بضع ساعات يتبع فيها مبادئ إبيقوروس كما شاعت بين الرومان. ويأتى عيد ميلاد أوغسطس كمناسبة تبيح لهما السهر حتى الصباح ، وخلف ذلك كله تكمن فكرة أن السلام ، الذى يجعل تكرار مثل هذه المناسبات أمرًا ممكنًا يُعد هبةً ومنحةً من أوغسطس(٤٣) .

إن يتح لك الاضطجاع كضيف على أرائك أرخياس[٤٤] ، وإن لا تساورنك
الخشية من تناول عشاء مكون من جميع الخضروات فى طبق متواضع ،
فإنى سأنتظرك يا توركواتوس فى منزلى عند غروب الشمس .
ستحتسى خمراً عُصرت وتمت تعبئتها إبان القنصلية الثانية لتاوروس[٤٥]،
بين مدينة مينتورناى ذات المستنقعات ، ومدينة بترينوم الواقعة قرب سينويسا .
فإن يك لديك ما هو أفضل من هذا ، فارسل فى طلبه أو ارضخ للأمر .
إن (نار) مدفأتى مشتعلة منذ أمد طويل وحتى الآن ، وأثاثى نظيف ومرتب لأجلك.
انبذ إذن الآمال الواهية والصراع على الثروة ، وقضية موسكوس[٤٦] :
فغداً يوم الإحتفال بميلاد قيصر[٤٧] ،
مما يعطينا رخصة للنوم (حتى ساعة متأخرة) من النهار ،
ولسوف يكون مسموحًا لنا دونما غضاضة،
أن نطيل ليلة صيف بحديث شجى متصل بين الأصدقاء .
فما جدوى الثروة بالنسبة لى، إن لم يكن مسموحًا لى التمتع بها ؟
وإن من يقتر على نفسه ويقسو عليها بإفراط لصالح وريثه ،
إنما هو مخبول ما فى ذلك شك.
سأبدأ بالشراب ونثر الزهور ، وسأتحمل حتى لو ظننت أنت أننى أحمق .
ترى أى أمر لا يحققه شرب الخمر ؟
إنه يكشف الأسرار ، ويأمر الآمال فتصير حقيقة واقعة ،
ويدفع الجبان إلى ساحة القتال ، ويطرد الهموم من القلوب الواجفة المضطربة ،

ويعلم الفنون الجميلة،
فمن ذا الذى لا تجعله أقداح الخمر المنزعة فصيحًا ؟
ومن ذا الذى لا تجعله (الخمر) حراً رغم وقوعه أسيراً للفقر المدقع ؟
هذا ما هو مطلوبٌ منى فعله عن طيب خاطر ، وأنا الرجل المناسب لذلك ،
وهو ألا يوجد غطاء فراش متسخ أو منديل مائدة قذر يجعل الأنف يشمئز ،
وأن يغدو كل من الإبريق والطبق ( نظيفان كالمرآة) ، بحيث ترى فيهما صورتك ،
وألا يوجد أحد ينقل الكلمات التى قيلت بين الأصدقاء المخلصين ويفشيها على الملأ ، ،
وأن يلتقى النظير بنظيره ويرتبط به ،
سأستضيف معك بوترا وسبتيكيوس وسابينوس،
إن لم يحل بين الأخير وبين الحضور عشاء أفضل وفتاة أجمل .
وهناك مكان به ظل ظليل وارف ،
إلاّ أن رائحة الماعز الكريهة فيه تنفر منه بشدة جمهور المدعوين .
عاود الكتابة لى (من فضلك) عن عدد (المدعوين) الذين ترغب ( فى استضافتهم معك).
وبعد أن تغض الطرف عن شئونك ، فإن لك أن تتهرب
من عميلك الذى ينتظر لقاءك فى ساحة دارك.

# الهوامش

(١) E. Mayer, op. cit., p. 142.

(٢) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 61.

(٣) R. Mayer, op. cit., p. 143.

(٤) numquid tibi videtur de voluptatibus suis cogitavisse? (Cic., de Fin., i, 7, 24).

(٥) "reus veneficii fuit, cuius causam ex primis tunc oratores egerunt Torquatus hic, de quo nunc dicit, cuius extat oratio et Asinius Pollio". (Proph.).

J.S.C. Eidinow," Horace's Epistle to Torquatus (Ep.i, 5)", CQ 45 (1995), pp. 191f.

(٦) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 62.

(٧) .J.S.C. Eidinow, op. cit., p. 193.

(٨) A. Bourgery, " A propos d' Horace", RPh 9 (1935), pp. 130 f.

(٩) quae cum iam accubanti in convivio esset data sicut erat signata sub pulvinum subiciens, 'in crastinum,' inquit, 'differo res severas'. (Nep., Vit. Pelop., iii, 1-3).

(١٠) J.S.C. Eidinow, op. cit., p. 193.

(١١) Hor., Od., i, 31, 15-16 ; Epod., ii, 58.

(١٢) Cic., ad Fam., vii, 26, 2.

(١٣) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 62.

(١٤) Sed tamen nonne reprenderes, Epicure, luxuriosos ob eam ipsam causam quod ita viverent ut persequerentur cuiusquemodi voluptates, cum esset praesertim, ut ais tu, summa voluptas nihil dolore?atqui reperiemus asotos primum ita non religiosas ut edint de patella, .... ( Cic., de Fin., ii, 7, 22).

(١٥) ibid., ii, 8, 23-24.

(١٦) O lapathe, ut iactare nec es satis cognitus qui sis! in quo Laelius clamores σοφός ille solebat edere, compellans gumias ex ordine nostros. Praeclare Laelius et recte σοφός ...." ( ibid., ii, 8, 23-24)

(١٧) "Epicurus voluptatis assertor omnes libros suos replevit holeribus et pomis, et vilibus cibis dicit esse vivendum..."(Cic., Tusc., 5, 89)

(١٨) J.S.C. Eidinow, op. cit., p. 194.

(١٩) Hor., Od., i, 20.

(٢٠) ibid., iii, 21, 1.

(٢١) Liv., viii, 11, 11; Cic., Sull., 32.

(٢٢) Hor., Od., iv, 7, 23.

(٢٣) كان Titius Statilius Taurus شريك أوغسطس في القنصلية عام ٢٦ ق.م.

(٢٤) R.G.M. Nisbet, "Notes on Horace, Epistles i, " CQ 9 (1959), pp.73f.

(٢٥) "vide ne ista sint Manliana vestra aut maiora etiam si imperes quod facere non possim . ( Cic., de Fin., ii, 32, 105); cf. Liv., 8, 7; 8-22.

(٢٦) cf. Cic., Fl., 6, 14; ut hunc iudicio arcesseret.

(٢٧) J.S.C. Eidinow, op. cit., p. 195.

(٢٨) تعد كلمة المدفأة focus مجازًا مرسلاً للمنزل بأكمله .

(٢٩) R. Mayer, op. cit., p. 138.

(٣٠) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 63.

(٣١) R. Mayer, op. cit., p. 138.

(٣٢) Sen., Con., ii, 5, 13; Tac., Ann., iv, 43, 5.

(٣٣) R. Mayer, op. cit., p. 138.

(٣٤) J.S.C. Eidinow, op. cit., p. 196.

(٣٥) Cic., de Fin., i, 7, 24.

(٣٦) J.S.C. Eidinow, op. cit., pp. 196 f.

(٣٧) cf. Ep., i, 1, 101-103.

(٣٨) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 63.

(٣٩) Hor., Od., iii, 21, 13-20.

(٤٠) الأيديل aedilis هو الموظف المسئول عن الإشراف procuratio على المنشآت العامة والاحتفالات ، بالإضافة إلى المحافظة على النظام والنظافة munditiae ؛ وكان عليه تنظيم دخول أعضاء مجلس الشيوخ المباني ومنع العامة من الوصول إليهم .

(٤١) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 63.

(٤٢) قد يكون سابينوس هذا هو صديق أوفيديوس ومؤلف مجموعة من الأشعار الجنسية.

(٤٣) M.J.McGann, op. cit., pp. 44ff.

(٤٤) أرخياس Archias : طبقًا لبورفيريو وأكرو هو صانع أثاث قصير القامة وكان يقوم بعمل أثاثات تتسم بالبساطة .

(٤٥) تاوروس Taurus : هو قنصل عام ٢٦ق.م. وفي ذلك العام صب سكان مدينة مينتورناي الخمر من البراميل الضخمة dolium في أمفورات (قنينات) amphorae .

(٤٦) موسكوس Moschus : هو معلم بلاغة من برجامون ، وقد اتُهم بدس السم لأحد الأشخاص ، وقام بالدفاع عنه كل من توركواتوس ، وأسينيوس بوليو .

(٤٧) nato Caesare festus : عيد ميلاد أوغسطس وهو يوم الثالث والعشرين من سبتمبر .

## الرسالة السادسة

تهدف الرسالتان الرابعة والخامسة إلى دعوة الأصدقاء للحضور إلى هوراتيوس والاستمتاع بمباهج الحياة معه . أما الرسالة السادسة فهى من النظرة الأولى تظهر اهتمامًا بالفلسفة ، كما أنها بعكس الرسائل السابقة ، لا تمت إلى المراسلات الشخصية فى شىء سوى مخاطبة المرسل إليه فى بدايتها ونهايتها ، أما متنها فلا يحتوى أية إشارة إليه(١) .

ولقد وجه هوراتيوس هذه الرسالة إلى نوميكيوس وهو شخصية غير معروفة لنا، ولعلها شخصية من نسج خيال هوراتيوس ، وقد جاء اسمه لإضفاء الصبغة الرسائلية على القصيدة(٢) .

استهل هوراتيوس الرسالة بمبدأ فلسفى وهو «لا تتعجب» "Nil admirari" وهو مبدأ نادت به الفلسفات الإغريقية فى سعيها لإدراك «الحياة السعيدة » vita beata . ويبدو أن هوراتيوس قد استعار التعبير nil admirari من التعبير البيثاجورى(٣) «لا تتعجب! » μηδὲν θαυμάζειν ، هذا التعبير الذى نجد له مايقابله فى المغزى الأخلاقى فى الفلسفات الأخرى مثل تعبير «انعدام الرهبة » ἀθαμβία عند ديموكريتوس(٤) والرواقيين ، وتعبير « الطمأنينة أو انعدام القلق» ἀταραξία عند إبيقوروس.

ولقد قصد الفلاسفة من إرساء مبدأ « انعدام التعجب » ἀθαυμαστία راحة العقل والنفس بالتحرر من الانفعالات وكل ما يؤرق النفس البشرية ، وهو ما وصفه الفلاسفة بأنه « الخير الأسمى summum bonum »، وهذا الخير لا يناله فى رأيهم إلا من اتبع مناهجهم الفلسفية(٥) .

إن العزلة التى زكّاها هوراتيوس فى الرسالة الرابعة تظهر هنا فى إطار جديد وبشكل أكثر عمومية ، فهناك أصبح هوراتيوس أشبه بخنزير فى قطيع إبيقوروس ، أما هنا فقد وضع نصب عينيه مبدأً ذائع الانتشار فى المدارس الفلسفية ، وهو مبدأ يمكن ممارسته فى الحياة اليومية ، ألا وهو « عدم العجب من الأشياء »[٦] .

استهل هوراتيوس الرسالة بهذا المبدأ سالف الذكر للإشارة إلى فضيلة الاعتدال، فهو يدعو من البداية إلى الاعتدال «الذى يمكن أن يجعل المرء سعيداً وأن يبقيه كذلك.»

....... **quae possit facere et servare beatum. (2)**

ثم ينتقل هوراتيوس من إعلان تقديره لحالة صفاء العقل التى نادى بها إبيقوروس (١-٢) ، إلى الحديث عن بعض الظواهر الكونية والطبيعية التى تهم البشر ، مثل الشمس والنجوم وتعاقب الفصول فى مواقيت منتظمة ، ويرى كتابع للمدارس الفلسفية أنه لا ينبغى أن يساوره الخوف من مثل هذه الظواهر الكونية (٣-٤)[٧] . ثم يسأل نوميكيوس عن آرائه الشخصية ، وذلك من خلال سلسلة من الأسئلة البلاغية ، عن هبات الأرض والبحر والأثرياء من البشر (٥-٨) . ويعلق هوراتيوس على هذه الأسئلة بالتحذير من الوقوع فى رذيلتى : الإفراط فى الإعجاب بالأشياء **admiratio**، والأمل **spes** فى الحصول عليها، أو الخوف منها **pavor**، وهو ما يسبب قلقاً **molestus** للإنسان (٩-١٤)[٨] .

فالاعتدال فضيلة بين رذيلتين ، حتى الفضيلة يجب اتباعها باعتدال :

**« فليحمل الحكيم إذن لقب الأحمق ، وليحمل العادل لقب الظالم،**

**لو أنه اتبع الفضيلة ذاتها بأكثر من الحدود الواجبة لها . »**

**insani sapiens nomen ferat, aequus iniqui,**

**ultra quam satis est Virtutem si petat ipsam.**

**(15-16)**

فالمغالاة قد تحدث حتى عند اتباع الفضيلة ، أو بالأحرى فإنه على الحكيم الرواقى تجنب المغالاة فى اتباع الفضيلة **virtus**[٩] .

وخصص هوراتيوس الجزء الثانى من الرسالة (١٧-٢٧) للسخرية من افتتان البشر بحب المجوهرات والملابس الفاخرة (١٧-١٨) ، وحب الشهرة (١٩) ، والمناصب واستثمار الأموال (٢٠-٢١) ، والمكانة الاجتماعية (٢٢-٢٣) ، وبإيجاز فإن البشر مفتونين mirabiles بنزواتهم . وهكذا فإنه يعدد حماقات البشر ، وصراعهم على الثروة والشهرة ، ثم يحذرهم من سرعة زوال الأشياء ، وأن الموت سيف مسلط على رقاب البشر (٢٤-٢٧) . ولهذا يدعو نوميكيوس إلى أن يتصور الحد الذى وصل إليه كل من نوما وأنكوس ، ملكا روما ، ويوقن من أن الملك لم يعصمهما من الوقوع فريسة للموت [١٠] :

« فلا يبقى أمامك ، على أية حال ، سوى أن تذهب إلى حيث (المصير)
الذى وصل إليه كل من نوما وأنكوس.»

Ire tamen restat Numa quo devenit et Ancus. (27)

وبعد التحذير من الرغبة الشديدة فى الاستحواذ على مباهج الحياة ، فإن هوراتيوس يغير مدخله من الحديث العام إلى التخصيص ، ومن ذكر السلبيات إلى الإيجابيات (٢٨-٢٩)، حيث ينصح من لديه علة جسدية بالبحث عن علاج ناجع له ، ومن هذه النصيحة الطبية ينتقل إلى لب نصيحته إلى نوميكيوس :

« فلا ريب أنك ترغب فى أن تحيا معافى(فى جسدك)،[١١] : ومن لا يرغب فى ذلك ؟
ولكن إذا كان بإمكان الفضيلة وحدها أن تهب هذه (النعمة) ،
فكرس نفسك لها وأنت فى عنفوان قوتك ، بعد نبذ الملذات الحسية.»

... vis recte vivere : quis non ?
si Virtus hoc una potest dare, fortis omissis
hoc age deliciis ... (29 - 30)

وهكذا فإن الفضيلة virtus هى الدواء ، ولكن الفضيلة يجب أن تكون قابلة للتطبيق :

« ... هل تظن أن الفضيلة مجرد أقوال ،
وأن الغابة مجرد قطع من الأخشاب؟»[١٢]

... Virtutem verba putas et
lucum ligna ... (31- 32)

إن رفض الفكرة الصارمة للفضيلة الرواقية ، يقود الشاعر إلى الحض على نعم أخرى ولكنها مناقضة للكلام السابق (٣٢-٦٦) حيث يعلق بسخرية على الاهتمامات المتنوعة للبشر . فكل إنسان يقف بدرجة متفاوته أمام مبدأ انعدام التعجب nil admirari ، ويقول لو أن إحدى هذه الاهتمامات تجعل المرء سعيداً فإن عليه أن يتبعها بقدر استطاعته ، فهناك من يسعد باقتناء المال:

«وعلى ذلك، فإن كانت الثروة وحدها يمكن أن تجعل المرء سعيداً، وأن تبقيه كذلك،

فلتكن أنت أول من يعاود السعى وراء هذا الهدف ، ولتكن آخر من يقلع عنه»

**si res sola potest facere et servare beatum,**

**hoc primus repetas opus, hoc postremus omittas.**

**(47-48)**

وهناك من كان النجاح السياسى سبباً فى سعادته (٤٩-٥٠) :

« وإن كانت الأبهة والحظوة كلاهما يظهران المرء سعيداً.»

**Si fortunatum species et gratia praestat, (49)**

وهناك من يحقق له الطعام السعادة (٥٦-٦٤) :

« فإذا كان من يأكل طعامًا فاخرًا هو الذى يعيش حياة هانئة»

**Si bene qui cenat bene vivit,.... (56)**

وهناك من تكون سعادته فى الحب والمرح :

« فإذا لم يكن هناك شيء ممتع بغير الحب والمرح

– وفقًا لرأى ممنرموس – فلتحيا إذن بين الحب والمرح»

**si, Mimnermus uti censet, sine amore iocisque**

**nil est iucundum, vivas in amore iocisque. (65-66)**

وبالرغم من نغمة التهكم التى تسود عبارات هوراتيوس عن تكالب البشر على الماديات بهدف تحقيق السعادة ، وسخريته من أن مبدأ عدم الافتتان بالأشياء أمر صعب التحقيق ، لأنه يصل بالمرء إلى الدرجة التى تجعل الشيء هو الذى يتحكم فى الإنسان ، إلا أن هوراتيوس حرص على إظهار خصوصية كل إنسان ، إذ إن لكل إنسانٍ طبيعته الخاصة . فلو أن رجلاً وجد سعادته فى أن يكرس نفسه لشيء ما فلندعه يفعل ذلك(١٣) . وهو بذلك يحاكى إبيقوروس الذى يرى أن الطموحين من محبى المناصب والمجد السياسى τοὺς φιλοτίμους καὶ φιλοδόξους لابد لهم من اعتراك الحياة السياسية(١٤) .

وينهى هوراتيوس الرسالة بالإشارة إلى الاهتمامات الخمس جالبة السعادة ، وهى: الفضيلة ، المال ، الجاه ، الطعام ، الحب والمرح . ويدعو مراسله إلى اتباع مبدأه المذكور فى السطر الأول ، وهو عدم الافتتان بأى شيء nil admirari ، على اعتبار أن هذا هو السبيل الوحيد لبلوغ السعادة :

« وداعًا إذن وعش فى صحة وسلامة! وإن كنت تعرف شيئًا أفضل من تلك المبادئ ،

فأخبرنى به وكن صريحًا وأمينًا، أما إذا لم تكن تعرف، فاستمتع معى إذن بهذه المبادئ»

**Vive, vale! si quid novisti rectius istis,**

**candidus imperti; si nil, his utere mecum. (67-68)**

والاهتمامات الخمس المذكورة فى الأبيات ٢٨-٦٦ لا تخص هوراتيوس . بل تخص نوميكيوس ، ولهذا استخدم اسم الإشارة istis ، فلعله كان يهتم ببعضها أو على الأقل ينظر إليها بعين الاعتبار . ولهذا فهو يدعوه أن يجعل مبدأ nil admirari مرشداً له فى الحياة من أجل بلوغ الحياة القويمة recte vivere(١٥) .

عدم الانبهار بشيء ما يعتبر تقريبًا هو الشيء الوحيد يانوميكيوس ،
الذى يمكنه أن يجعل المرء سعيداً ، وهو الشيء الوحيد الذى يبقيه كذلك،
فهناك من لايداخلهم أدنى خوف .
عندما يتطلعون إلى هذه الشمس وإلى النجوم والفصول المتعاقبة فى مواقيتها المنتظمة :
فما هو رأيك فى هبات الأرض ؟
وما رأيك فى (هبات) البحر الذى يثرى العرب القاصين عنا والهنود ؟
وما هو رأيك أيضًا فى العروض المسرحية والتصفيق وأفضال الرومانى الودود؟
وأية طريقة وأية مشاعر وأية عيون تعتقد أنها واجبة للتأمل فى هذا الصدد؟
إن من يخشى نقيض هذه الأمور يعتريه العجب منها،
بنفس القدر الذى ينبهر به من هو راغب فيها :
ذلك أن الخوف يستبد بكل منهما ويقض مضجعه،
أما الرؤية المباغتة فهى تجعل الرعب يستبد بكليهما فى ذات الوقت.
فليفرح المرء إذن أو ليحزن ، فليتمن أو ليخاف ،
فما الفائدة من أن يرى المرء أى شيء ، أفضل أو أسوأ من أمله ،
إن نزع منه الإبصار وإن يشل كل من عقله وجسده ؟
فليحمل الحكيم إذن لقب الأحمق ، وليحمل العادل لقب الظالم،
لو إنه اتبع الفضيلة ذاتها بأكثر من الحدود الواجبة لها ،
اذهب الآن وانظر بافتتان إلى المشغولات الفضية ،
والتماثيل المرمرية العتيقة ، والسبائك البرونزية والأعمال الفنية ،

ولتبهر بالأحجار الكريمة ، والصبغات الفينيقية ،
وليستخفك الطرب لأن ألف عين تتطلع إليك وأنت تتحدث ،
توجه بنشاط فى الصباح إلى السوق واقصد دارك فى المساء ،
لكى لا يحصد موتيوس قمحًا أكثر منك ،
من الأرض التى آلت إلى حوزته ، ويا له من عار وشنار،
حيث إنه انحدر من نسل أبوين شديدى الوضاعة ،
فهو خليق أن ينظر هو إليك بانبهار ، أكثر من أن تنظر إليه أنت بانبهار .
إن أى شىء كامن تحت الأرض سوف يخرجه الزمن إلى الوجود ،
كما أن (الزمن) سوف يوارى ما هو واضح ولامع الآن ويخفيه .
فعندما يرمقك كل من رواق أجريبا وطريق أبيوس[16] بإعجاب ،
بوصفك إنسانا مشهوراً ،
فلا يبقى أمامك ، على أية حال ، سوى أن تذهب إلى (المصير)
الذى وصل إليه كل من نوما وأنكوس[17] .
إن يُصب صدرك أو كليتاك بداء عضال ، فابحث عن دواء لمرضك .
فلا ريب أنك ترغب فى أن تحيا معافى (فى جسدك)؛
ومن لا يرغب فى ذلك ؟ ولكن إذا كان بإمكان الفضيلة وحدها أن تهب هذه (النعمة)،
فكرس نفسك لها وأنت فى عنفوان قوتك ، بعد نبذ الملذات الحسية
هل تظن أن الفضيلة مجرد أقوال ، وأن الغابة مجرد قطع من الأخشاب؟
خذ حذرك حتى لا يحتل غيرك الميناء ، وحتى لا تفقد أعمالك فى كيبيرا وبيثينيا؛
هب أنك تحظى بألف موهبة ، ومواهب أخرى (متنوعة) بنفس العدد ،

وهب أن بحوزتك ألفًا ثالثة، وأن لديك الجزء الذى يكمل حظك من هذا العدد الضخم.
فإن المال صاحب الجلالة ، دون شك هو الذى يمنحك زوجة ذات دوطة ،
وسمعة حسنة ، وأصدقاء ، وذرية (مباركة) ، ووسامة وبهاء.
كما أن ربة الإقناع والربة ڤينوس إنما يغدقان نعمهما على الرجل ذى الثراء الواسع.
إن ملك كابادوكيا[18] ثرى(بما يملك)من عبيد ولكنه يفتقر إلى المال،فلاتكونن على شاكلته.
كما أن لوكوللوس[19] - كما يقولون - قد سُئل (ذات مرة) عما إذا
كان باستطاعته أن يعطى مائة عباءة لخشبة المسرح،
فقال : "كم (عباءة) أستطيع أن أعطى ؟ إننى على أية حال سأبحث ،
وسأبعث لكم بقدر ما أملك ، وهو كثير."
وبعد قليل كتب إليهم إن لديه خمسة آلاف عباءة بمنزله ،
فخذوا بعضها أو خذوها جميعًا .
فإن المنزل الذى لا يبقى فيه متاع يزيد عن الحاجة لمنزل فقير لا يساوى شرور فقير،
وهو منزل تدخل فيه الغفلة على السيد ويستفيد منه اللصوص .
وعلى ذلك ، فإن كانت الثروة وحدها يمكن أن تجعل المرء سعيداً ، وأن تبقيه كذلك ،
فلتكن أنت أول من يعاود السعى وراء هذا الهدف ولتكن آخر من يقلع عنه .
وإن كانت الأبهة والحظوة كلتاهما يظهران المرء سعيداً ،
فلنشتر عبداً ليخبرنا بأسماء ( من لانعرفهم من المواطنين) ،
وليسترعى انتباهنا بلكزنا برفق فى جانبنا الأيسر،
وليمكننا من الإشاحة بذراعنا الأيمن ونحن نعبر الطرقات :
أما هذا فرجل ذو نفوذ كبير فى قبيلة فابيوس ، وأما ذاك فنفوذه فى قبيلة فيليوس ،

وأما هذا الرجل فسوف يمنح شارات السلطة لمن يحب،
وسوف يسلب الكورول[20] المرصع بالعاج ممن يشاء.
فامنح إذن ( لقب) «الأخ» و«الأب» لكل شخص حسب سنه ،
وابسط رعايتك هكذا كرجل مهذب على كل واحد منهم .
فإذا كان من يأكل طعامًا فاخرًا ، هو الذى يعيش حياة هانئة ،
فإن هذا هو نور النهار الذى يجعلنا نرى الأشياء بوضوح ،
دعنا نذهب إذن إلى حيث تقودنا شهيتنا ، ودعنا نصطاد الأسماك ونقتنص الفرائس،
مثلما فعل ذات مرة جارجيليوس[21] ،
الذى اعتاد أن يأمر عبيده أن يمروا فى الصباح الباكر،
ومعهم شباك الصيد والحراب عبر السوق المزدحم والحشود من الناس ،
على أن يحمل بغلاً واحداً من بغاله الكثيرة، أثناء العودة وعلى مرأى من الناس،
وخنزيراً بريًا كان قد اشتراه .
دعنا إذن نغتسل ومعدتنا متخمة بما هو عسير الهضم ،
ضاربين صفحًا عما هو لائق وما هو غير لائق ،
وجديرين بأن ( تدون أسماؤنا) فى سجلات ( المحظوظين من مواطنى) كايرى[22] ،
مثلنا فى ذلك مثل بحارة أوديسيوس ، (ملك) إيثاكا ، الأشرار ،
الذين كانت المتعة المحرمة لديهم أفضل من وطنهم ومسقط رأسهم.
فإذا لم يكن هناك شىء ممتع بغير الحب والمرح .. ووفقًا لرأى ممنرموس[23]،
فلتحيا إذن بين الحب والمرح . وداعًا إذن وعش فى صحة وسلامة .
وإن كنت تعرف شيئًا أفضل من تلك المبادئ ، فاخبرنى به وكن صريحًا وأمينًا؛
أما إذا لم تكن تعرف فاستمتع معى إذن بهذه المبادئ .

# الهوامش

(١) M.J. McGann, op. cit., p. 46.

(٢) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 65.

(٣) Plut., de Aud., 13.

(٤) Strab., i, 3, 21; cf. Cic., de Fin., v, 29-87.

(٥) H.R. Fairclough, Horace : Satires, Epistles and Ars Poetica, L.C.L. (1926), p. 284.

(٦) M.J. McGann, op. cit., p. 46.

(٧) تحدث لوكريتيوس عن الظواهر الكونية وقال إنها لا تقلق الإبيقورى

.(Lucr., v, 1183)

(٨) جمع هوراتيوس بين « الأمل والخوف » فى أكثر من موضع فى أشعاره (,Od., ii, 10, 3; Ep., i, 18 99; i, 4, 12) ، ونجد أن هذين العنصرين يتطوران إلى الحسد والغيرة. وقد ناقش شيشرون فكرة الإصابة بالرعب من الأشياء (.Cic., Tusc., iv, 7, 16ff) ، كما تحدث عن الخوف الناتج عن الرؤية المفاجئة

(Cic.,Tusc. iii, 13, 28, v, 28, 81) improvisa species.

(٩) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 66.

(١٠) M.J. McGann, op. cit., p. 46.

(١١) تعبير هوراتيوس vis recte vivere يوازى عبارة أفلاطون :

Tís γαρ. ου βουλεται ευ πραττειν -(Plat., Euth., 278e)

كما أن كلمات أفلاطون تساوى أيضًا التعبير العيش فى صحة جيدة recte valere ، وهى الحياة التى يرغبها الرجل العليل

(١٢) تُقارن هذه الكلمات بما قاله بروتوس قبيل انتحاره .(Dio Cass., 47-9)

(١٣) Cf. Plut., περι ευθ., 473 a

(١٤) Epic., Fr. 555 US.

(١٥) M.J. McGann, op. cit., p. 47f.

(١٦) يقع رواق أجريبا بالقرب من البانثيون ، وقد افتُتح عام ٢٥ ق.م. وقد ذكره هوراتيوس مقرونًا بطريق أبيوس Via Appia لأن كليهما كان من مظاهر العالم المتحضر آنذاك .

(١٧) نوما Numa : هو ثانى ملوك روما ، وأنكوس Ancus هو رابع ملوكها السبع.

(١٨) ملك كابادوكيا : هو أريوبارزانيس Ariobarzanes ، وقد وصفه شيشرون بأنه ملك فقير جداً (erat rex perpauper, ad Att., 6.3) ، وتقع كابادوكيا فى أقصى شرق أسيا .

(١٩) لوكوللوس Lucullus : هو لوكيوس ليكينيوس لوكوللوس ، الذى انتصر على ميثراداتيس ، وكان ذا ثراء فاحش ، وقد كتب بلوتارخوس سيرته ، وقد اتخذ منه هوراتيوس نموذجاً للأثرياء الرومان الذين لا يعرفون مدى ثرائهم.

(٢٠) الكورول : هو كرسى بلا ظهر قابل للطى مرصع بالعاج عادة ، ويُعد الجلوس عليه امتيازاً خاصاً لبعض كبار رجال الدولة .

(٢١) جارجيليوس Gargilius : هو مواطن رومانى كان يحاول أن ينال شهرة بأنه صياد ماهر .

(٢٢) كايرى Caere: هى مدينة إتروسكية قديمة كان مواطنوها محرومين من حق الحماية (Gell., 16.3) .

(٢٣) ميمنرموس Mimnermus : هو شاعر إليجى مشهور من كولوفون ، عاش فى القرن السادس قبل الميلاد ، وعاصر سولون ، وقد كتب العديد من الأشعار الجنسية . وقد حُفظت مؤلفاته لقرون عديدة إلى أن أحرق الرهبان البيزنطيون جميع الأشعار الإغريقية الجنسية ، وقد وصلتنا منه بعض الشذرات .

# الرسالة السابعة

يعتقد الأستاذ ر.س. كيلباتريك أن كل رسالة فى هذا الكتاب كانت لها بمفردها فكرة أساسية ، تكونت لدى الشاعر من خلال مناسبة خاصة مرتبطة بصديق من أصدقائه . حيث يبدأ شاعرنا فى كتابة السطور الأولى من القصيدة ، ثم تتطور القصيدة بمضى الوقت لتأخذ الشكل الرسائلى ، إلا أنها فى بداياتها قد نبعت من موقف درامى[١] . ولأن هذه الرسائل تنبع من مواقف حقيقية ، ولم تصدر عن محض خيال الشاعر ، فقد جاءت مليئة بمشاعر هوراتيوس الإنسانية الفياضة ، ومعبرة عن مفهومه للإنسان الخيّر والحكيم فى الوقت نفسه **vir bonus et sapiens** . ولقد ذكرنا فى المقدمة[٢] أن هوراتيوس قد استخلص أحسن ما كتب فى هجائياته وغنائياته وأعاد تشكيله مرة أخرى فى نوع أدبى جديد هو الرسائل . ولعل أهم ما يحسه القارئ فى الكتاب الأول من الرسائل ، الذى هو موضوع الدراسة ، هو مالدى الشاعر من حس سليم فى التعامل مع المرسل إليه ، ثم الانطلاق إلى دعوة الإنسان بصفة عامة من كل الأعمار ومن كل الطبقات الاجتماعية فى لباقة وذكاء ملموسين ، كالعهد به دومًا .

وقد ظهرت حصافة الشاعر ولباقته فى نقده للمجتمع الإنسانى ، وذلك منذ القصيدة الأولى من هجائيات الكتاب الأول ، حيث يقول إن على المرء أن يتغاضى عن هفوات الأصدقاء ، وأنه لاينبغى اعتبار كل الآثام بالضرورة جرائم :

« يا للحسرة ، كيف نسن هكذا ، دون ترو وضد أنفسنا،
قانونًا غير عادل ! إذ إنه لا يوجد إنسان دون نقائص ،
والأفضل (بيننا) ،هو الذى لم يثقل من الرذائل إلا بأقل قدر . »

**quam temere in nosmet legem sancimus iniquam!**

**nam vitiis nemo sine nascitur : optimus ille est,**

**qui minimis urgetur. (Sat. I, 3, 67-69)**

وقد كتب هوراتيوس هذه الرسالة بمناسبة أنه كان قد وعد راعيه مايكيناس بأنه سوف يقضي بضعة أيام في الريف ، لكن شاعرنا لم يكن عند كلمته ، حيث بقى هناك بعيداً عن صديقه ، الذي لابد وأنه قد شعر بافتقاده طوال شهر أغسطس . وبرر الشاعر بقاءه هذه المرة في الريف بأنه قد خشي العودة[٣] إلى مدينة روما في فصل الصيف حتى لا يسقط صريع المرض ، وأنه لا يعتزم العودة إلا بعد أن ينقضي موسم الأوبئة في مدينة روما وذلك بحلول شهر سبتمبر . وهنا يبرز السؤال الذي يطرحه الأستاذ م. ج. مكجان : هل كان هوراتيوس ناكراً لجميل راعيه وصديقه مايكيناس ولما يسبغه عليه من عطايا ومنن ؟ هذا السؤال هو لب الموقف الدرامي لهذه الرسالة[٤] ، الذي يتجلى في وجود نوع من الحوار الدرامي داخل النص[٥] ، يطرح الشاعر من خلاله أفكاره في سلوك إنساني ينبض بالحياة ، وهذا الحوار الدرامي الفلسفي يُعد قاسماً مشتركاً بين رسائل هوراتيوس ورسائل شيشرون[٦] .

ويمضي هوراتيوس في تبرير موقفه السابق تجاه راعيه ، وهو الموقف الذي أثار التساؤل الذي ذكرناه حول مدى عرفان الشاعر بالجميل تجاه مايكيناس ، حيث يستخدم مثلاً من الحياة الواقعية ليعطي أثراً معاكساً لمضمون هذا المثل ذاته exemplum ex contrario . فعندما يحكي هوراتيوس قصة الرجل الكالابري[٧] الذي يقدم إلى ضيفة الأشياء التافهة والحقيرة التي لايصح أن تُقدم من مضيف إلى ضيفه ، الذي لا يرغب بدوره فيها ، فإن الشاعر هنا يريد إبراز خطأ هذا الكالابري مرتين : الأولى عند إصراره على تقديم هديته وإلحاحه في ذلك ، والمرة الثانية بسبب تقديمه لهدية متواضعة غير ذات قيمة . ومن الممكن أن نفترض هنا ، وهو افتراض راجح ، أن هوراتيوس يريد بهذه القصة أن يبرأ راعيه مايكيناس في معاملته معه من هذين الخطأين ، كراع يسبغ عليه عطاياه[٨] . وينطلق الشاعر من هذا المثل برشاقة في الأسلوب ، ليعلق عليه بمهارة وذكاء وسعة أفق، فيتحدث عن المسرف prodigus الأحمق الذي لا يعطي فقط ما تعافه نفسه . ومما يستحق الذكر أن كلمة prodigus لا تصف هذا المضيف الكالابري بذاته ، بل يطلقها هوراتيوس على كل من يهب هدية حتى ولو كانت ذات قيمة ، ولكنه بسلوكه في العطاء يجعل منها شيئاً زرياً ، وذلك حين يعطيها وهو لايدرك قيمتها ، أو حين يهبها لمن لايستحق . مثل هذا المسرف الأحمق

لا بد وأن يُقابل عطاؤه بالجحود والنكران [٩] . ونلمس سخرية هوراتيوس ونكاءه المعهودين حين يقول واصفًا صاحب العطاء :

« وهو على أية حال يجهل كل الجهل التمييز بين قطع العملة النقدية وبين فيش (القمار)» (٢٣) .

وهنا أيضًا نجد إشارة إلى ما ورد في الهجائيات من قبل :

« فلتكن حذرًا ، لا سيما وأنت تختار الجديرين (بصداقتك) »

**praesertim cautum dignos adsumere,**

**(Hor., Sat., i, 6, 51)**

والحديث هنا بالتأكيد يراد به مايكيناس ، فهو بخبرته وأيضًا حكمته (٢٢) **vir bonus et sapiens** يعرف أين يصنع معروفه، والشاعر يريد أن يقول إن راعيه بسخائه وكرمه في رعايته له ، قد برهن على جدارته بهذا الكرم وأنه أهل لأن يُصنَع فيه المعروف ، كما أنه سوف يثبت هذا على الدوام ، بعرفانه الدائم بالجميل في المستقبل كما كان في الماضي :

« (لذا) سوف أظهر نفسي جديرًا أيضًا بشرف خدمتك» (٢٤).

ويرى الأستاذ ك. ج. ريكفورد **K.J. Reckford** أن هوراتيوس بحديثه هذا ، وفي هذا التوقيت بصفة خاصة ، قد أراد أن يعلي من مكانة مايكيناس السياسية ، وذلك بسبب ما تردد عن سوء تقدير الأخير في تصرفه الأخرق حيال مؤامرة مورينا **Murena**[١٠] .

وقد رأى شيشرون من قبل أن العرفان بالجميل **gratia** يُعد شيئًا ضروريًا ، بل ليس هناك واجب إنساني يمكن أن يُقدم عليه :

« في الحقيقة ، لا يوجد واجب أكثر ضرورة من امتنان يجب التعبير عنه»

**nullum enim officium referenda gratia magis**

**necessarium est.** **(Cic., de Off. i, 15, 47)**

وذلك لأن نكران الجميل وعدم تقديم واجب الشكر لمن أعطى ، هو أمر من شأنه أن يفسد العلاقات الاجتماعية بين الناس وعلى رأسها علاقة الصداقة(١١) .

ومن قبل ناقش شيشرون أيضا الأضلاع الثلاثة لعلاقة الصداقة أو الرعاية التى يتخللها تبادل العطاء بين الناس ، وهذه الأضلاع الثلاثة هى الشخص الذى يعطى والشخص المتلقى للهبة أو الهدية ، ثم يأتى فى الختام الشيء نفسه أو الهدية نفسها. فالأول يجب أن يقدم هداياه فى مراعاة لمشاعر الآخرين ، ولا يقدمها أبدًا فى أسلوب مندفع يلزم المتلقى بقبولها رغمًا عنه وإن كره قبولها :

«كثيرون فى الحقيقة يتصرفون باندفاع كبير دون أى قدر من التفكير (الحصيف)، كما لو كانوا قد اندفعوا ضد الجميع تحت تأثير مرض داهم أو ريح عاصف، ونتيجة ذلك أن فعل الخير الذى لابد من وجوده لايكون عظيمًا على قدر عظمة الخير الناجم عن إمعان فى التفكير، والذى تم إنجازه بتمهل وثبات دائم .»

**multi enim faciunt multa temeritate quadam sine iudicio, vel morbo in omnes vel repentino quodam quasi vento impetu animi incitati; quae beneficia aeque magna non sunt habenda atque ea quae iudicio, considerate constanterque delata sunt.**

**(Cic., de Off., i, 15, 49)**

كما أنه ينبغى على صاحب العطاء أيضًا أن ينتقى من يوجه إليه عطاءه ، بشرط أن يكون شخصًا يتمتع بالكرامة واحترام النفس **dignitas**، وأن يكون متمتعًا بالفضائل الإنسانية الأساسية ، مثل : التواضع **modestia** ، التحكم فى النفس **tem-perantia** والعدالة **iustitia (Cic., de Off., i, 15, 45-46)** .

ولاشك أن هوراتيوس كان يحمل فى عقله هذه المعانى الشيشرونية وهو يتحدث إلى مايكيناس ، مذكرًا إياه بالمبادئ الراسخة لعملية الكرم والعطاء . وأن هذه المبادئ والفضائل هى التى تحكم علاقتهما معا(١٢) .

وهنا يقول هوراتيوس واصفًا نفسه، وفى الوقت نفسه مخاطبًا راعيه مايكيناس:

« لطالما مدحتنى لتواضعى واعتدالى ، ولقد سمعتنى فى حضورك
(وأنا أناديك بلقب) الملك والأب ، وفى غيابك لم أكن ضنينًا عليك
أبدًا بكلمات (المديح) . » (٣٧-٣٨)

تلكم كانت المشاعر الإنسانية التى تقف خلف سرد هوراتيوس لقصة المضيف الكالابرى .

ويمضى هوراتيوس فيروى لنا قصة الفأرة التى انسلت إلى داخل صندوق الغلال، ثم أكلت كثيراً ومن ثم ازداد حجمها ، فلم تستطع الخروج من هذا الصندوق ، وكان الثمن الذى لابد من بذله هو فقدان حريتها . وكانت الطريقة الوحيدة المتاحة أمامها لاستعادة حريتها والخروج من ورطتها ، هى أن تضن على نفسها بما حولها من وفرة فى الطعام ، وأن تقلع عن الإفراط فى مزيد من الطعام من الغلة التى حولها كى ينقص وزنها ، وتستطيع الخروج نحيفة كما كانت ؛ فهى بلا شك لن تستطيع الخروج إذا ما احتفظت بسمنتها التى هى عليها الآن . وهذه القصة تتشابه مع قصة المصارع التى وردت فى الرسالة الأولى ، والذى كان عليه أن يعتزل اللعب ، قبل أن تهن قوته وتقل مهارته ، فيُجبر على ترك المضمار حين تتقدم به السن .

ثم يمضى الشاعر معلقًا على هذه القصة السابقة قائلاً إنه كان مخلصًا فيما حكاه، وأنه على استعداد أن يتخلى لمايكيناس عن كل ما أعطاه إياه من عطايا **cuncta resignare** . ثم ينكر أيضًا أنه واحد من هؤلاء الذين تمتلئ بطونهم بالشهى من الطعام حتى يعجزون عن النوم، ذلك النوم الهادئ الذى يستمتع به الفقراء . وهو أيضًا غير مستعد لأن يضحى بحريته وسكينته النفسية[١٣] ، حتى وإن كان المقابل هو ثروة العرب ، فهو يبرأ نفسه من الجشع والطمع فى علاقته بمايكيناس[١٤] . ولكنه يوضح أيضًا أنه لا يعانى من ضغينة فى هذه العلاقة ، بل هو يعرض ما يريد عن طيب خاطر :

« اختبرنى لترى إن كان بمقدورى أن أرد إليك ،
وأنا سعيد مغتبط ، هداياك . » (٣٩)

ولعلنا نلحظ أن هوراتيوس لا يريد أن يلوم نفسه من خلال هذه القصة ، فهو يبرأ نفسه كما رأينا من النهم فى الطعام إلى أن يصل إلى الإصابة بالسمنة ، فالشاعر يؤكد على أنه يتلقى عطايا مايكيناس فى اعتدال **verecundum** ، وهو معنى اتضحت أهميته فى ضوء ما ذكرناه عن المبادئ الشيشرونية للعطاء[١٥] ؛ وهذا هو الغرض المجازى من رواية القصة . ويؤكد هوراتيوس من خلال البيت (٣٥) وما بعده ، أنه يتميز بالاعتدال فى تلقيه لعطايا مايكيناس ، كما هى عادته فى حياته كلها : فهو يرفض أن يحسد الغنى على طعامه الشهى ولا الفقير على نومه الهادئ، بل هو يفضل على هذا كله ما ينعم به تحت رعاية مايكيناس ، التى حققت له السعادة كما يقول . وهكذا يبرهن الشاعر على أنه متلق يتمتع بالاعتدال **modestia** والكرامة **dignitas** ، فيصبح بذلك نموذجاً للرجل متلقى العطاء فى المثلث الذى ذكرناه .

وفى لباقة وذكاء واضحين يسوق لنا هوراتيوس سبب هذا العرض بالتخلى عن شىء أعطاه له مايكيناس ، وذلك من خلال روايته لقصة من التراث الأسطورى الإغريقى ، وهى قصة تليماخوس بن أوديسيوس ، الذى اعتذر فى ذكاء ولباقة عن قبول هدايا مينيلاوس كعربون لصداقتهما[١٦] :

« إن إيثاكا ليست بالمكان المناسب للجياد ،

حيث إن طرقها ليست ممتدة ومنبسطة ،

كما أنها ليست غنية بالكلأ الوفير. ولذا فسوف أترك لك ، يا ابن أتريوس ،

هداياك التى تناسبك أنتَ أكثر منى » (٤١-٤٣)

وهوراتيوس هنا يريد أن يتحرر من التزامه الأخلاقى تجاه مايكيناس ، حيث يشعر أنه ملزم بأن يسعده برفقته ، وذلك لقاء ما يتلقاه منه من عطايا وهدايا . وحيث إن الشاعر لا يريد أن تحدث بينهما ضغينة ، فقد ساق هذا المثل **exemplum** الأسطورى. ويركز هوراتيوس هنا على كلمة **aptus** «ملائم» ، وهذه الكلمة كما يقول الأستاذ م.ج.مكجان ، هى مفتاح الغرض من سرد القصة ، أى ضرورة ملاءمة الهدية لمن يتلقاها . ورغم وجود هذه الفكرة نفسها لدى هوميروس إلا أن كلمة **aptus**

فى النص اللاتينى ليس لهـا كلمـة مناظرة فى النص اليـونانى[١٧] . وبذلك أبرز هوراتيوس هذه الفكرة ، وأيضاً خلُصَ منها إلى مبدأ أخلاقى عام . وفى الإلياذة يصور لنا هوميروس تليماخوس وهو يتحدث مخاطباً مينيلاؤس :

« فلتكن أية هدية تمنحها لى بمثابة تذكار ،

غير أننى لن آخذ الخيول معى إلى إيثاكا ، بل سوف

أتركها لك هنا كى تكون قرة عين لك، فأنت سيد السهول المنبسطة. »

δωρον δ' οττι κε μοι δοιης, κειμηλιον εστω.

ιππους δ' εις Ιθακην ουκ αξομαι, αλλα σοι αυτω

ενθαδε λειψω αγαλμα. συ γαρ πεδιοιο ανασσεις ευρεος,

(Hom., Od., iv, 600 - 603)

ثم يردف تليماخوس قائلاً :

« لكن فى إيثاكا ، لاتوجد طرق رحبة ولا مروج منبسطة ،

إنها مرعى للماشية ، أكثر من كونها مرعى للخيول ،

ذلك أنه لا يوجد في الجزر من هو فارس خيال ولا من هو صاحب مراع غنية شاسعة، »

εν δ Ιθακη ουτ αρ δρομοι ευρεες ουτε τι λειμων.

αιγβοτος, και μαλλον επηρατος ιπποβοτοιο.

ου γαρ τις νησων ιππηλατος ουδ ' ευλειμων,

(605 - 607)

وهنا يرد مينيلاؤس قائلاً له :

« سوف أهديك إذن طاساً (لمزج الخمر بالماء)آية فى الفن فى صنعها ،

فلقد صيغت بأسرها من الفضة ، بيدَ أن حوافها قد طُليت بالذهب ،

إنها من إبداع الإله هيفايستوس. »

δωσω τοι κρητηρα τετυγμενον. αργυρεος δε

εστιν απας, χρυσω δ ' επι χειλεα κεκρααντι,

εργον δ' Ηφαιστοιο. (615 - 617)

فلم يكن الأمر بالنسبة لتليماخوس متعلقًا فقط بضرورة رد الهدايا التى سبق وأن تلقاها بالفعل من مينيلاؤس كعربون للصداقة بينهما ، ولكنه كان يريد بدوره أن يختار الهدية التى تناسبه فى أسلوب لبق ولائق أيضًا على أساس مبدأ ضرورة ملائمة الهدية لمن تهدى إليه . ولذا فإن مينيلاؤس من جهة يقدم إلى تليماخوس ما يعتبره شيئًا جديراً به dignum ، وهو ثلاثة جياد ممتازة وعربة حربية . ولكن هذه الهدية لا تلائم المتلقى الذى ذكر أسباب ذلك وهى أن إيثاكا ليست بها طرق معدة للخيل السريعة . ولم يخش الشاب تليماخوس أن يبدى رأيه فى أمانة وصراحة لمضيفه مينيلاؤس لأن لديه الثقة فى أن مينيلاؤس ، هذا الرجل الكبير صاحب الخبرة والدراية ، لديه النظرة الفاحصة الصحيحة وسوف يثق فى منطقه وعقلانية موقفه ، حين يطلب هدية أخرى غير التى قُدمت له ، لكنها أكثر ملاءمة له وإن كانت أصغر حجمًا ، ولكنها تلائم أيضًا قدْر مينيلاؤس واهبها . إذ يطلب تليماخوس تذكاراً من بيت مينيلاؤس العريق، وهنا يرد مينيلاؤس رداً يبرهن على أنه قد تفهم موقف ضيفه، ويعجب بلباقته التى تفوق سنه . ولا شك أن الشاعر أراد عن طريق الإشادة بشخصية مينيلاؤس فى هذا المثل ، أن يطرى شخصية راعيه مايكيناس . وكذلك فهى تمثل أمل الشاعر فى تفهم مايكيناس لما يشعر به هوراتيوس وتفهمه أيضاً لعلاقتهما معاً ، وإحساسهما المشترك(١٨) بما هو ملائم: ولذا فقد أصبح البديل هو كأس من الفضة ورثه مينيلاؤس عن آبائه ، ذو إطار ذهبى ، صنعه الإله هيفايستوس نفسه ؛ ولا شك أن هذه القصة تساهم فى تثبيت رابطة الود بين الصديقين .

ومن هنا نفهم قول هوراتيوس :

« إن الهدايا البسيطة تناسب الرجل البسيط .» (٤٤)

أى أن هدايا مايكيناس وعطاياه السخية ، وكذا مدينة روما والحياة فيها ، لم تعد تناسب شاعرنا بعد اليوم ، فهو شخص ذو مكانة بسيطة ، كما يقول . وبنفس القدر

توزن احتياجاته وقـدرته عـلى الاستمتاع بالحيـاة. والملاحـظ أن الصفات **parvum** و **vacuum** و **imbelle** تأتى على طرف نقيض مع الصفة **regia**[١٩] :

« وبالنسبة لى الآن فإن روما الإمبراطورية (ذات الطول والسلطان) لا تبهجنى ،

بل تبهجنى تيبور الهادئة أو تارنتوم الآمنة . » (٤٤-٤٥)

والقارئ للبيتين السابقين يدرك أن هوراتيوس لا يريد فى حقيقة الأمر المقارنة بين هدايا مينيلاوس وهـدايا مايكيناس ، كما أنه لا يريد أن يوحى بأن هـدايا مايكيناس لم تعد تلائمه ، وإنما المقارنة التى يريدها هى بين هذه الهدايا ومدى الاستمتاع بها وبين الحياة الصاخبة فى مدينة روما . ونجد الدليل على ذلك فى القصة التالية وفى مغزاها الأخلاقى ، هذه القصة التى نجد فيها مزرعة صغيرة فى الريف تلعب دوراً مهماً ، وذلك مثل مزرعة الشاعر السابينية التى أهداه إياها مايكيناس . والتى لعبت دوراً حقيقياً ومهماً فى حياته الواقعية . وتتناول القصة العلاقة بين السياسى البارز ماركوس فيليبوس[٢٠] ، وبين أحد العبيد المعتقين الذى كان يعمل بالمزادات فى مدينة روما ويدعى فـولتيوس مينا[٢١].

وفحوى هذه القصة هو أنه بينما كان فيليبوس عائداً إلى منزله متعباً من كثرة العمل ، لفت نظره رجل (مينا) ، كان يجلس مسترخياً فى محل الحلاق الخاوى من الزبائن ، وهو يقلم أظافره فى دعة . فأرسل فيليبوس أحد عبيده ليستطلع أمر هذا الرجل ، وبعد ذلك حاول دعوته على العشاء . ورغم أنه فى البداية لم ينجح فى اجتذابه إلى منزله ، إلا أن مينا يأتى فى النهاية بسبب الإلحاح فى تكرار الدعوة . ويتحدث مينا بحرية أمام فيليبوس ، ويصبح بمرور الوقت من المترددين على منزله بانتظام ، ثم يقبل دعوته إلى رحلة فى الريف. وهناك يُفتن مينا بجمال الريف ويقنعه فيليبوس ، بعد أن يهديه مبلغاً من المال ، بأن يشترى مزرعـةً هنـاك . ولكن النتيجـة جاءت مدمـرة ، إذ أصبح ساكن المدينة ، أى مينا ، الذى كان دوماً نظيف الملبس حليق الذقن ، أنيقاً فى مظهره ، أصبح يهمل حلاقة لحيته إلى أن امتلأت ذقنه بالقشور ، وذلك لأنه قد انهمك فى العمل دون توقف بدافع المكسب المادى وحب الامتـلاك والإنماء . ولقد وقع مينا فريسة للطمع والجشع وهكذا دُمرت حياته، لكنه لم يطق هذه الحياة ، وبعد طول معاناة ،

يعود مينا إلى فيليبوس غاضبًا محتجًا على الثراء الذى أصبح يرفل فيه ، ويرجوه متوسلاً أن يعيده إلى حياته السابقة :

« ردنى إلى حياتى السابقة. »

vitae me redde priori (95)

ثم يعلن هوراتيوس للقارئ عن غرضه الأخلاقى من سرده لهذه القصة ، فيقول مختتمًا هذه الرسالة :

« إن من شاهد لمرة واحدة إلى أى مدى تتفوق

الأشياء التى عزف عنها ، على الأشياء التى كان ينشدها ،

فإنه سيعود فى الوقت المناسب وينشد من جديد الأشياء التى تخلى عنها وتركها،

وإنه لمن الصواب أن يقيس كل امرئ نفسه بمعياره الشخصى وبمقدار إمكاناته. »

(٩٦-٩٨)

ويريد الشاعر أن يقول إن كل إنسان عليه أن يختار الحياة الملائمة له نفسه والتى تحقق له السعادة ، وعلى الشخص الذى أدخل نفسه فى حالة أسوأ من تلك التى كان عليها ، أن يرجع إلى حالته الأولى ، فهى الأفضل له طالما أنها تحقق له السعادة والاتساق والتوافق مع النفس . وهذه الفكرة كما يقول الأستاذ م.ج.مكجان لها صلة بالقصة التى وردت من قبل عن الفأرة التى دخلت صندوق الغلال ، ففى الحالتين على المرء أن يتخلى عن الميزات المادية فى مقابل استرداد الحرية الشخصية ، والعودة إلى ما يألف ويعتاد من الحياة التى تسعده[٢٢] .

وهذه القصة نفسها تعكس مظاهر بعينها فى علاقة هوراتيوس بمايكيناس ، حيث إن بطلها مينا ينتمى إلى نفس المستوى الاجتماعى الذى نشأ فيه هوراتيوس ، فهو عبد معتق ، وحيث إنه حصل أيضًا من راعيه على مزرعة فى الريف مثل هوراتيوس؛ فإسقاط الشاعر هذه القصة إذن على نفسه يصبح أمرا ذا مغزى[٢٣] .

لكن يجب على القارئ أن يلاحظ أن دوافع فيليبوس وتصرفاته فى مطاردة مينا وملاحقته من أجل أن تنشأ صداقة بينهما ، كانت وليدة الصدفة البحتة ، وبدافع

الفضول والاطلاع على حال شخص يجلس في دعة يقلم أظافره في حانوت الحلاق؛ لقد فرض فيليبوس نفسه على مينا فرضًا . ولكن في علاقة صداقة الشاعر بمايكيناس فالأمر يختلف ، فالمثل هنا معاكس ، فقد كانت صداقة وقورة وملائمة ولم تكن أبدًا وليدة الصدفة ، كما يؤكد هوراتيوس في الهجائيات ، حيث يقول مخاطبًا مايكيناس :

« ليس بوسعي أن أنطق بهذا القول : " إنني سعيد لأنني

حظيت بك كصديق بمحض الصدفة"،

فحقيقة الأمر ، أن الصدفة ليست هي التي قادتك إلى طريقي . »

felicem dicere non hoc

me possim, casu quod te sortitus amicum:

nulla etenim mihi te fors obtulit; (Sat. i, 6, 52-54)

ففي الحقيقة أن كلاً من ڤيرجيليوس وڤاريوس قد تحدثا عنه حديثًا طيبًا ، ثم قدماه بعدها إلى مايكيناس . وظهر شاعرنا أمامه بمفرده لأول مرة ، حيث تحدث بتلعثم وكان آنذاك قليل الكلام ، وبالمثل كان مايكيناس متحفظًا قليل الكلام . وبعد حوالي تسعة أشهر من هذه المقابلة الأولى ، دعاه مايكيناس ليكون ضمن زمرة أصدقائه(٢٤) .

إن اختيار مايكيناس لهوراتيوس إنما يحمل في طياته شهادة منه على إدراكه لميزات الشاعر ومؤهلاته الأخلاقية . والسؤال الذي يلح الآن هو : ما هو غرض هوراتيوس من الإيحاء بوجود مثل هذا التماثل في العلاقتين ؟ من الواضح أن الشاعر يريد أن يعرض لنموذجين من علاقات الصداقة ، حتى يعطي لنا نموذجًا يُحتذى فيما يجب أن تكون عليه هذه العلاقة الإنسانية الضرورية في حياة الناس، على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية ، وهو أيضًا يلقي الضوء على شخصية مايكيناس، كراعٍ أدبي ، ومميزاتها الأخلاقية .

فبينما لاحظنا في القصة التي وردت أن فيليبوس ، هذا السياسي الكبير ، حين وجه الدعوة لڤولتيوس مينا ، لم يصدق الأخير في بداية الأمر ، بل أصابته الدهشة، واعتذر بدافع القلق عن قبولها ، خاصة أنه لم يفهم ما وراءها . ثم لاحظنا أن فيليبوس

لا يستسلم لهذا الصدود من جانب الرجل ، فيقوم فى صباح اليوم التالى بتكرار المحاولة بنفسه . ويحاول مينا التخلص من الموقف بتقديم الاعتذار ، غير أنه يضطر للقبول فى نهاية الأمر ويذهب إلى العشاء مرتبكًا(٢٥). ولكن هذا الارتباك لا يستمر طويلاً . ونجده أثناء العشاء يتحدث فى استرسال ودون تحفظ ، ودون فاصل توقف ، ويبدو لنا وقد أصبح رفيقًا دائمًا لفيليبوس ، يتسلى به الأخير على مائدة طعامه ، ويرضى بمسامرته لفضوله لمعرفة تفاصيل حياة واهتمامات شخص أقل منه فى مستواه الاجتماعى من جميع الجوانب .

ويؤكد الأستاذ و.هيلتبرونر O.Hiltbruner أن هذا المثل المعاكس لشخصية مايكيناس يأتى على منوال مثل المضيف الكالابرى ، من أجل إبراز ميزات مايكيناس كراع للشاعر وصديقه . وكان هوراتيوس يريد القول إنه لم يحدث قط أن سخر منه مايكيناس أو استخف بوضعه الاجتماعى ، وأنه لم يرد أن يسلبه حياته الخاصة الهادئة ، كما فعل فيليبوس مع مينا ، وإنما كانت علاقتهما على مستوى إنسانى رفيع(٢٦) .

ففى قصة فيليبوس مع فولتيوس مينا ، كما يقول الأستاذ ر.س. كيلباتريك نجد أن طرفى العطاء أو بالأحرى طرفى علاقة الصداقة ، كلٌ منهما مسئول عن انهيار هذه العلاقة. وذلك لأن دوافع فيليبوس لم تكن دوافع إنسانية ، فقد فرض نفسه دون شك على الطرف الآخر ، وكان يتلذذ وهو يرى مينا محملاً بهداياه عائداً بها(٢٧) . ويعلق شيشرون تعليقًا ذكيًا على مثل هذا النوع من إسداء المعروف للناس:

> «فى حقيقة الأمر ، هناك شيء ما يجب أن ننتبه إليه فى المقام الأول ، وهو ألاّ يكون السخاء ضاراً بهؤلاء الناس الذين سوف يبدو لهم هم أنفسهم أن العطاء فى مصلحتهم . وألاّ يكون ضاراً كذلك بالآخرين . ومن هنا يجب ألا يكون العطاء السخى أعظم من وسائله ، بل ينبغى أن يوهب لصالح كرامة الشخص الذى ينال العطاء.»

**videndum est enim, primum ne obsit benignitas et iis ipsis, quibus benigne videbitur fieri, et ceteris, deinde ne maior benignitas sit, quam facultates, tum ut pro dignitate cuique tribuatur . (Cic., de Off., i, 14, 42)**

ولاشك أن مينا أيضًا قد فسد نتيجة معاملة فيليبوس له وأصبح فاقدًا السيطرة على نفسه فتملكه الطمع ، كما ذكرنا ، وفقد تواضعه واعتداله **modestia** ، وراح يجرى وراء الثروة والنجاح :

**«(ووطن نفسه) على الموت فى سبيل رغباته ، وخطا نحو الشيخوخة بسبب رغبته الشديدة فى التملك .»(٨٥)**

ولكن يُذكر لمينا هنا أنه لم يستسلم للفشل ، بل نجح فى أن يعود إلى حياته الأولى والخروج من المأزق الذى كاد يفقده صوابه .

وقد عبر شيشرون عن نفس المغزى الأخلاقى الذى أراده هوراتيوس من سرد هذه القصة فى كتابه عن الواجبات:

**« على أية حـال ، فإنه يجب على كل شـخص أن يحافظ على صـفاته الشـخصـيـة التى يجب أن تصـان بالكامل، ولا أعنى بذلك نـقائصـه ورذائله الشخـصية بل خـصاله التى يمكن صـونها وحفظهـا على نحو أكثر سهولة ويسرا ، وهو الأمر الذى ننشده أكثر من سواه . وهكذا فى الحقيقـة فإن هناك شيئًا يجب أن يُفعل ، وهو ألا نكافـح فى سبيل فعل أمر ضـد الطبيـعة الإنسانيـة (العامة)، تـلك الطبيعـة ، التى يمكننا عند الحفـاظ عليها أن نتـسق مع شخصيتنا الذاتية ، وحـتى لو كانت هناك أهداف أخرى أهم وأفضل ، فـإنه يظل من الضرورى على أية حال أن نقيس اهتماماتنا بمقياس لا يجافى طبيعتنا » .**

**Admodum autem tenenda sunt sua cuique non vitiosa, sed tamen propria, quo facilius decorum illud, quod quaerimus , retineatur, Sic enime est faciendum, ut contra universam naturam nihil contendamus, ea tamen conservata prupriam nostram sequamur, ut, etiamsi sint alia graviora atque meliora, tamen nos studia nostra naturae regula metiamur.(De Off., i, 31, 110)**

ويأتى الحديث عن حياة المدينة وحياة الريف فى الرسالة السابعة كى يوضح لنا خصائصهما فى تفصيل ، وأيضًا فى معالجة أخلاقية فلسفية ، عبرت لنا عن مشاعر هوراتيوس تجاه هذين النوعين من الحياة الإنسانية ، الأمر الذى يذكرنا بما كتبه الشاعر فى هجائياته عن نفس هذه الفكرة قبل عشرة أعوام من كتابة هذه الرسالة . ويخبرنا الأستاذ ن . رود N.Rudd أن الهجائية السادسة من الكتاب الثانى كانت قصيدة عبر فيها هوراتيوس عن أمنياته أن يترك حياة المدينة الصاخبة المليئة بالقلق إلى حياة الهدوء والدعة فى الريف (٢٨) ، تلك القصيدة التى تضرع فيها الشاعر إلى الإله مركوريوس كى يسمح له بأن يحتفظ بما يملكه الآن من أشياء ، وأن يتحقق له التحرر من الشعور بالحسد تجاه أى إنسان آخر :

« حسنًا ، يا ابن مايا ، إننى لا أسألك شيئًا أكثر من

أن تجعل هذه العطايا التى فى حوزتى تدوم لى . »

**bene est. nil amplius oro,**

**Maia nate, nisi ut propria haec mihi munera faxis.**

**(Sat., ii, 6, 4-5)**

وفى هذه الهجائية أيضًا يرسم لنا الشاعر صورةً لحياة المدينة ، تلك الحياة التى أتاحت له هدية مايكيناس ، أى المزرعة السابينية فى الريف ، أن يتركها فرارًا من مضايقاتها :

«فلا تجوال مقيت بالمدينة يهلكنى ولا ريح الجنوب المحملة بالرصاص،

ولا الخريف الممرض، (الذى يُعد بمثابة) غنم من مغانم ليبيتينا ، ربة الموت.»

**nec mala me ambitio perdit nec plumbeus Auster**

**autumnusque gravis, Libitinae quaestus acerbae.**

**(Sat., ii, 6, 18-19)**

وفى نظر الشاعر تعد المدينة بما فيها من مساوئ سببًا فى إهدار الوقت والجهد ولا توفر للإنسان فرصة التأمل ، وذلك بالمقارنة بمباهج الريف ومميزاته التى تمكنه من قراءة الكلاسيكيات ، وذلك كما ذكر فى مطلع الرسالة الثانية . وتهيئ له أيضًا فرصة النوم وقت الظهيرة ، وتهيئ له الفراغ otium بالتحرر من مسئوليات المدينة ومشاغلها ، التى تملأ جل الوقت negotium . ففى الريف توجد الفرصة الكاملة للتأمل والقراءة والكتابة والفكر العميق. ويختم هوراتيوس الهجائية السادسة من الكتاب الثانى بذكائه المعهود فيه ، فيروى قصة فأر المدينة وفأر الريف ، تلك القصة التى تضع فى تقابل واضح ، فكرتى « وقت الفراغ otium » فى مقابل « وقت العمل negotium » ، وصورة « الريف rus » فى مقابل صورة « المدينة urbs »[٢٩].

وفى نفس الهجائية لم يشر هوراتيوس صراحةً إلى أن صحته لم تعد تتحمل المجهود الذى تتطلبه الحياة فى مدينة روما ، ولكنه يعود ليبرر هذه الفكرة مرة أخرى هنا فى الرسالة السابعة[٣٠] . فشاعرنا الآن يبلغ من العمر خمسًا وأربعين سنة، وهو الآن يعيد تقييم حالته الصحية حيث أصبحت رئتاه ضعيفتين وأخذ شعره فى التساقط (قارن الأبيات ٢٥-٢٧) . كما أن الأبيات الثلاثة عشر الأولى من هذه الرسالة عبارة عن اعتذار لبق من الشاعر لراعيه مايكيناس . فهو عندما يذهب إلى شاطئ البحر عند تساقط الثلوج ، يجامل صديقه حين يتحمل هذا البرد. والقارئ لهذه الأبيات يشعر بثقة الشاعر العميقة فى تعاطف مايكيناس معه وتفهمه لاعتذاره لأنه مد إقامته فى الريف ، وذلك حتى لا يبدو الأمر قراراً متعمداً يهرب به من منغصات المدينة التى لم تعد صحته تقوى على تحملها .

وتعد الرسالة السابعة أول رسالة ضمن هذا الكتاب تتناول بعمق وشمول فكرة العلاقة بين الأديب وراعيه فى مظاهرها المختلفة ، وإن كنا نجد إشارة إلى نفس الفكرة فى نهاية الرسالة الأولى ؛ وسوف يعود هوراتيوس إلى الحديث عنها مرة أخرى فى الرسائل التاسعة والثالثة عشرة والرابعة عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة . إلاّ أن الأستاذ ر. س. كيلباتريك يرى أن الرعاية الأدبية واستقلالية الأديب فيها ، ليست هى موضوع هذه الرسالة السابعة بدرجة أساسية ، بل الموضوع الأساسى فيها هو درجة

ملاءمة طموحات الإنسان لإمكانياته الشخصية[٣١] ، هذا على الرغم من أن معظم النقاد قد رأوا الرأى الأول . غير أن الأستاذ ك. بوشنر K.Büchner، الذى أدرك أهمية أفكار مواضيع العطاء والتلقى والصداقة الحميمة بين الشاعر وراعيه ، يرى أن الفكرة الأساسية هى مثلث العطاء ، خاصةً أن الرسالة تبدأ بطلب العفو لغيابه بعيداً عن صديقه[٣٢] ، ولكننا نرى أن هوراتيوس، الشاعر الفنان ، صاحب الفكر الثرى والإحساس المرهف، ربما أراد أن يثير كل هذه القضايا الأخلاقية فى آنٍ واحد ، خاصةً وأنها ترتبط بشدة بعضها بالبعض .

لقد وعدتك أن أمكث فى الريف خمسة أيام ،
إلا أننى نكثت وعدى ، ومكثت هناك شهر أغسطس بكامله .
وعلى أية حالٍ إن شئت أن أعيش معافى وفى أتم صحة وعافية ،
فإن عفوك الذى تمنحنى إياه فى مرضى ، يامايكيناس ، سوف
تمنحه لى أثناء خوفى من الإصابة بالمرض ،
طالما أن باكورة ثمار التين وحرارة (الخريف) يكللان هامة المتعهد (بجمع الثمار)
وهامة معاونيه ذوى البشرة السمراء ،
وطالما يشحب وجه كل أب ووجه كل أم (ملهوفة) من جراء الخوف على أبنائهم .
وطالما أن (التكالب على) الواجبات الاجتماعية المنهكة وأعمال السوق التافهة ،
تجلب الحمى وتفض الأختام عن الوصايا .
لكن إذا كسى الشتاء حقول ألبا بالثلوج ،
فإن شاعرك سيتجه صوب البحر وسيعتنى بنفسه ، وسيقرأ وهو متدثر ،
وسيزورك مرة أخرى ، أيها الصديق العزيز ، مع (هبوب) الرياح الغربية ،
ومع أول طائر سنونو ، ذلك إن أذنت له بذلك .
لقد جعلت منى ثريًا ، ولكن ليس بالطريقة التى يأمر بها الكالابرى ضيفه أن يأكل الكمثرى (وذلك على النحو التالى ):
"كُلْ أرجوك" ،
" لقد (أكلت بالفعل ) منها ما يكفى."
"خذ معك إذن أية كمية تريدها ."
- "كلا ! شكراً لك."
" إن ما سوف تحمله منها إلى أطفالك الصغار ، إنما هو بمثابة هدايا
بسيطة تدخل البهجة إلى نفوسهم."
"إننى ممتن جداً لعرضك ، كما لو أنك قد أرسلتنى إليهم محملاً (بقدر وافر منها)".

"كما تشاء إذن! (على أية حال) إنك إن تتركها هنا فسوف تصبح اليوم طعامًا للخنازير."
إن المبذر والأحمق هو الذى يهب الأشياء التى يحتقرها ويكرهها ،
وإن هذا الحقل قد غل وسوف يغل على مدى السنين كلها محصولاً جاحداً ناكراً للجميل.
يقول الرجل الخير الحكيم إنه مستعد (لإسداء المعروف ) لمن يستحقه ،
وهو على أية حال يجهل كل الجهل التمييز بين قطع العملة النقدية وبين فيش (القمار).
(لذا) سوف أظهر نفسى جديراً أيضًا بشرف خدمتك ،
لكن إن أبيت أن أرحل بعيداً عنك إلى أى مكان ،
فعليك أن تعيد لى رئتى قويتين، وأن ترد لى شعرى الأسود(المنسدل) على جبهتى الضيقة،
وعليك أيضا أن تعيد لى متعة الحديث العذب ، وأن ترد لى الضحك ،
وأن ترد لى الشجن بين أقداح الخمر على هجر كينارا الماجنة[٣٣] .
ذات مرة انسلت أنثى ثعلب ضئيلة الحجم من خلال شق ضيق، إلى صندوق للغلال
وبعد أن أكلت (وشبعت ) طفقت تحاول مرة أخرى الخروج بجسدها الممتلئ ،
ولكن بلا جدوى ؛
فنادتها أنثى ابن عرس من بعيد (قائلة) : "إن ترغبى فى الهروب من هنا ،
فلتخرجى دون أن تصيرى نحيفة (مرة أخرى) من الشق الضيق الذى انسللت منه عندما كنت نحيفة."
وفيما يتعلق بى فلو أن هذه الصورة تمثل نوعًا من التحدى ،
فإننى أتنازل عن كل شىء ،
فلست أثنى على نوم الرجل الفقير ، بينما أنا متخم (من التهام) الطيور السمينة،
ولست أستبدل ثروة العرب بسكينة (أنعم فيها ) بكامل حريتى .
لطالما مدحتنى لتواضعى واعتدالى ، ولقد سمعتنى فى حضورك
(وأنا أناديك بلقب) الملك والأب ،
وفى غيابك لم أكن ضنينًا عليك أبداً بكلمات (المديح) .
اختبرنى لترى إن كان بمقدورى أن أرد إليك ، وأنا سعيد مغتبط ، هداياك
فنعم القول ( الذى نطق به) تليماخوس بن أوديسيوس الذى تحمل (المشاق):

إن إيثاكا ليست بالمكان المناسب للجياد ،حيث إن طرقها ليست ممتدة ومنبسطة ،
كما أنها ليست غنية بالكلأ الوفير.
ولذا فسوف أترك لك ، يا ابن أتريوس ، هداياك التى تناسبك أنت أكثر منى[٣٤].
إن الهدايا البسيطة تناسب الرجل البسيط ،
وبالنسبة لى الآن فإن روما الإمبراطورية (ذات الطول والسلطان) لا تبهجنى ،
بل تبهجنى تيبور الهادئة أو تارنتوم الآمنة.
لطالما دأب فيليبوس[٣٥] النشيط الشجاع والمشهور بقضاياه التي يترافع فيها ،
على أن يؤوب من عمله فى الساعة الثامنة تقريبًا ،
غير أنه الآن، بعد أن تقدم في السن، يشكو من أن كازيناى[٣٦] تبعد كثيراً عن ساحة السوق ،
ولقد استلفت نظره ، كما يقولون ، (وجود) رجل حليق الشعر ،
(يجلس ) في موقع ظليل خاوى عند الحلاق،
وهو ينظف أظافره برفق بسكين صغير .
(فهتف فيليبوس قائلاً) "أيا ديمتريوس" ، ( وكان هذا الصبى
معتاداً على تلبية أوامر فيليبوس بكل نشاط)
"اذهب واستفسر وخبرنى بعدها من أى منزل هو ، ومن يكون ،
وما هى منزلته ، ومن هو والده أو راعيه وسيده."
ذهب (ديمتريوس )إذن ثم عاد أدراجه وروى أن اسمه ـــولتيوس مينا[٣٧]
وأنه مناد فى المزادات ، ثروته ضئيلة وصفحته بيضاء نقية ،
ولقد أُثر عنه الاجتهاد فى العمل فى بعض الأحيان ، والتكاسل فى أحيان أخرى ،
واشتهر بالسعى وراء كسب المال وإنفاقه ،
وهو يجد متعته فى رفقة أصدقاء متواضعين وفى (امتلاك) سكن مستقر ،
وفى (مشاهدة) المسابقات والألعاب ، بعد الانتهاء من العمل ،
فى ساحة (مارس)[٣٨] . (فقال فيليبوس):
"إنه ليسعدنى حقًا أن يخبرنى (بلسانه) عن هذا الذى قلته لى ؛

أخبره أن يحضر عندى (لتناول) العشاء."
ولم يصدق مينا حقًا أذنيه ، بل انتابته الدهشة وظل صامتًا فيما بينه وبين نفسه .
أفهل عليه ( أى على مينا) أن يرد ، لقد اكتفى بأن يجيب
(على الداعى ) بقوله : لا ! شكراً."
(فقال فيليبوس ) :" أيرفض ذلك الرجل (دعوتى)؟
(وأجاب ديمتريوس) " أجل إن ذلك الوغد يرفض (دعوتك)
وفى ذلك فهو إما يستخف بك أو يهابك."
وفى الصباح التالى فاجأ فيليبوس ڤولتيوس بينما كان هذا يبيع
السلع الرخيصة ذات الذوق السقيم للعامة من ذوى القمصان ،
فبادره بالتحية أولاً .
غير أن ذلك الرجل اتخذ من عمله ومن القيود الوظيفية التى تكبله
مبرراً يعتذر به إلى فيليبوس ، لأنه لم يفد إلى منزله هذا الصباح[٣٩] ،
وباختصار لأنه لم يسبق له أن شاهده من قبل .
لاتحسبن أننى عفوت عنك على هذا النحو إلا إذا (قبلت)
تناول العشاء معى اليوم." (فأجابه قائلاً) : "كما يحلو لك."
(فرد عليه بقوله ) " : ستحضر إذن من الساعة التاسعة ،
فاذهب الآن واجتهد فى زيادة ثروتك" .
وعند حضور (ڤولتيوس ) فى وقت العشاء ، تحدث ما شاء له الحديث فيما
يجب التحدث عنه ، وفيما ينبغى التزام الصمت بصدده ،
وفى النهاية سُمح له بالانصراف ليستغرق فى النوم .
ولقد شوهد هذا الرجل (بعدها) كثيراً وهو يسرع بمثل اندفاع السمكة
نحو شص مخبأ بعناية كتابع فى الصباح وكضيف دائم الآن ، فهو مرغم
على الذهاب كمرافق (لفيليبوس) إلى ضاحية ريفية (بالقرب من روما) ،
بعد الإعلان عن (إقامة) الألعاب اللاتينية[٤٠] .

وبعد أن استوى راكبًا على ظهور الجياد ، لم يكف عن أن يلهج بالثناء على
التربة السابينية والطقس السابيني وكان فيليبوس يرقبه وهو يبتسم ،
وطالما أن (فيليبوس) كان يبحث لنفسه في كل مكان عن المتعة واللهو والتسلية،
فقد منح (مينا) سبعة آلاف سيستركيس ، كما وعده بإقراضه سبعة آلاف أخرى،
ثم أقنعه بأن يشترى مزرعة ، وقد اشتراها بالفعل .
ولكيلا أطيل عليك بقصة استطرادية أكثر مما ينبغي ،
فقد تحول (مينا) من شخص أنيق مرتب إلى رجل ريفي ،
واقتصرت ثرثرته على حرث الحقول وبساتين الكروم دون سواها ،
وعلى إعداد اخشاب شجر الدردار ، ( ووطن نفسه) على الموت في سبيل رغباته ،
وخطا نحو الشيخوخة بسبب رغبته الشديدة في التملك .
لكنه عندما فقد أغنامه عن طريق السرقة ، وخسر نعاجه بسبب مرض ألم بها ،
وعندما خيب المحصول أمله وأشرف ثوره على الهلاك من جراء(انهاكه) في حرث الأرض،
أمسك بزمام فرسه في منتصف الليل ، وهو محزون للخسارة التي أحدقت به ،
واتجه غاضبًا صوب منزل فيليبوس .
وبمجرد أن رآه فيليبوس مضطربًا أشعث الشعر ،
قال له : « أي ڤولتيوس ، إنك تبدو مرهقًا غاية الأرهاق ومتوترًا إلى حد كبير .»
فأجابه: «يحق لك يا سيدي، أن تنعتني بالبائس التعس، إن رغبت أن تضع لي اسمي الحقيقي.
لكن بحق روحك الحارسة وبحق يدك اليمني، وبحق الآلهة التي تحرس منزلك
فإنني أناشدك وأتوسل إليك أن تردني لحياتي السابقة.»
إن من شاهد لمرة واحدة إلى أي مدى تتفوق
الأشياء التي عزف عنها ، على الأشياء التي كان ينشدها .
فإنه سيعود في الوقت المناسب وينشد من جديد الأشياء التي تخلي عنها وتركها،
وإنه لمن الصواب أن يقيس كل امرئ نفسه بمعياره الشخصي وبمقدار إمكاناته.

# الهوامش

(١) R.S. Kilpatrick, "Fact and Fable in Horace Epistle 1.7", CPh Lxviii (1973), pp. 47-53, 47.

(٢) انظر أعلاه ، ص ص ٣-٤ .

(٣) انظر ترجمة الرسالة السابعة .

(٤) M.J. McGann, op. cit., p. 48.

(٥) E.Fraenkel, op. cit., p. 308.

(٦) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 48.

(٧) تقع مدينة كالابريا فى الجنوب الشرقى لإيطاليا .

(٨) M.J. McGann, op. cit., p. 48.
cf. R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 49.

(٩) M.J. McGann, op. cit., p. 49.
cf. R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 49.

(١٠) K.J. Reckford. " Horace and Maecenas", TAPA xv, (1959), pp. 195-208, 198..

(١١) R.S.Kilpatrick, op. cit., p.49.

(١٢) ibid. p. 50, cf. M.J. McGann, op. cit., p. 49.

(١٣) عند الإبيقوريين كان مصطلح ataraxia يعنى الخلو من الهموم الذى يؤدي إلى سكينة النفس، عن طريق الفهم الصحيح للأشياء ، قارن : د. أميرة حلمي مطر ، الفلسفة عند اليونان، دار النهضة العربية القاهرة (١٩٦٨) ، ص٣٨٦ .

(١٤) M.J. McGann, op. cit., p. 51.

(١٥) R.S.Klipatrick, op.cit., p. 51.

(١٦) ibid., p. 52.

(١٧) M.J.McGann, op. cit., p. 51-52.

(١٨) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 52.

(١٩) K. Büchner, " De Siebente Brief des Horaz", H. 75 (1940), p. 66.

(٢٠) يبدو أن ماركوس فيليبوس كان أحد المحامين البارعين فى عصر هوراتيوس.

(٢١) M.J. McGann, op. cit., p. 52.

(٢٢) ibid., p. 53.

(٢٣) K.J. Reckford, op. cit., p. 205.

(٢٤) Hor., Sat., i, 6, 56.

(٢٥) E.Fraenkel, op. cit., p. 338.

(٢٦) O. Hiltbruner, " Volteius Mena. Interpretationen zu Hor. epist. 1.7", Gymnasium xvii (1960), p. 299.

(٢٧) R.S. Kilpartick, op. cit., p. 52- 53 , K. Büchner op. cit., p. 77, cf. O. Hiltbruner, op. cit., p. 299 - 300.

(٢٨) N. Rudd, The Satires of Horace, Cambridge (1966), pp. 243-257.

(٢٩) J.P.V.D. Balsdon, Life and Leisure in Ancient Rome, New York, (1969), pp. 130-144.

(٣٠) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 49.

(٣١) ibid., p. 53

(٣٢) K.Büchner, op. cit., p. 78.

(٣٣) كينارا Cinara :هي فتاة لعوب كانت على علاقة بهوراتيوس في شبابه ، وقد تحدث عنها في أكثر من موضع (Od., iv, 1, 3-4; Ep., i,7, 28; i,14.3) .

(٣٤) رفض تليماخوس بن أوديسيوس الجياد والعربة التي قدمها له مينيلاوس كعربون للصداقة (Hom., Od., iv, 601 ff. ) .

(٣٥) فيليبوس Philippus هو لوكيوس ماركيوس فيليبوس ، قنصل عام ٩١ ق.م. وقد اشتهر كمحام لامع في عصره .

(٣٦) كاريناي Carinae : هي إحدى ضواحي مدينة روما .

(٣٧) ڤولتيوس مينا Volteius Mena : هو مينا Mena ، أو ميناس Menas ، والاسمان يستخدمان كتدليل للاسم الإغريقي مينودوروس Menodoros . وڤولتيوس مينا معتق إغريقي ، حصل على الاسم الروماني Volteius من سيده الذي أعتقه .

(٣٨) كامبوس مارتيوس Campus Martius (ساحة مارس) : هي أرض مستوية تقع على ضفاف نهر التيبر وكانت تستخدم في عقد الاجتماعات وإقامة الأنشطة الرياضية والتدريبات العسكرية وبعض ألعاب السيرك والمنافسات بين الشباب .

(٣٩) يعد ذهاب ڤولتيوس مينا إلى منزل فيليبوس في الصباح نوعاً من إظهار الاحترام والتقدير ، وذلك رداً على الدعوة التي وجهها إليه .

(٤٠) كانت الألعاب اللاتينية Feriae Latinae تقام سنوياً في يوم يتم تحديده والإعلان عنه ، وعادة ما يكون من بين الأيام الأخيرة من شهر أبريل أو الأولى من شهر مايو ، وفي هذا الوقت تتوقف كل الأعمال .

# الرسالة الثامنة

رأينا فى الرسالة السابعة أنها كانت تدور حول إرساء مبادئ بعينها ، أكد عليها الشاعر وحاول بكل قوة البرهنة على مدى أخلاقيتها ومدى صلاحيتها وملاءمتها للإنسان ، كى تنعم نفسه بالاتساق والتوافق الداخلى الذى يعتبر الشيء الوحيد الذى يؤدى بها إلى السعادة وراحة البال . لكننا هنا فى الرسالة الثامنة نجد هوراتيوس يعطى صورة لنفسه متناقضة[١] مع تلك التى رأيناها فى الرسالة السابعة ، ففى الرسالة السابعة كان قلقًا على صحته البدنية ولكنه لم يكن أبدًا خائفًا على صحة نفسه وأخلاقه ، فهو يبدو طوال الرسالة وقد عرف ما هو الأفضل بالنسبة له نفسه ، وقرر أن يحققه فى تصميم .

«إلا أننى أعيش حياة لا تتسم بالحكمة ولا بالبهجة .»

**nec recte nec suaviter; (4)**

يطالعنا الشاعر بهذا البيت في صدر الرسالة الثامنة، وهو يشرح سبب افتقار حياته إلى الحكمة وإلى السعادة النفسية، فينفى أن يكون السبب هو سوء حظه كمزارع (٤-٦)، ذاكرًا أسبابًا من مجال الزراعة. مما يذكرنا بتجربة ڤولتيوس مينا فى الرسالة السابقة، والتى أدت إلى تعاسته وهروبه، وكأنه يقدم لنا نوعًا من التعليق على قصة مينا أجلَّهَ إلى الرسالة الثامنة. لقد فشل مينا وشقىَ كفلاح لم يجن ثمار جهوده ولم يصبح ثريًا كما كان يريد. أما هوراتيوس هنا فينفى أنه يشقى لنفس الأسباب التى وردت فى قصة ڤولتيوس مينا، بل يؤكد أن سبب شقائه كامن داخله[٢] :

« بل لأننى أقل سلامةً فى عقلى من جسدى كله.»

**sed quia mente minus validus quam corpore toto(7)**

فالحديث فى الرسالة الثامنة عن السقم الروحى والنفسى ، وليس عن السقم الجسدى .

وربما أراد هوراتيوس هنا أن يوحى من خلال هذا المعنى أن هناك أيضًا - وراء مسألة انسحابه من الحياة فى مدينة روما ، والتى يشعر أن صحته الجسدية لم تعد تقوى على تحملها - علة روحية ونفسية داخلية دفعته إلى اللجوء إلى حياة الريف ، لكنها علة أبانت اهتزاز تمسك هوراتيوس بما يؤمن به من مبادئ (٣) :

«فأنا متقلب كالريح : أحب تيبور أثناء إقامتى بروما ، وأحب روما أثناء

إقامتى بتيبور.»

**Romae Tibur amem ventosus, Tibure Romam. (12)**

وهذا الاهتزاز يتجلى إذا ما تذكرنا البيت التالى الذى ورد فى الرسالة السابعة ، حيث يؤكد الشاعر فيه على ثباته على مبدأ واحد :

«وبالنسبة لى الآن فإن روما الإمبراطورية (ذات الطول والسلطان)

لا تبهجنى ، بل تبهجنى تيبـور الهادئة أو تارنتوم الآمنـة.» (٤٥)

وهكذا نجد الرسالتين السابعة والثامنة مع بعضهما تثيران لدينا شعوراً بالتناقض الداخلى فى شخصية هوراتيوس ، هذا التناقض الذى كان الشاعر قد أشار إليه فى الرسالة الأولى:

« فهل يتمكن أشخاص بعينهم أن يواظبوا على حب أشياء بعينها لمدة ساعة واحدة؟.» (٨٢)

وفى موضع آخر يقول :

« فماذا إذن لو اختلط علىّ الأمر وتضاربت آرائى مع بعضها،

بحيث أصبح عقلى يحتقر الآن ما كان يصبو إليه من قبل؟

ويرغب الآن مرة أخرى فيما كان يرفضه مؤخراً ؟

أليس هذا (عقلاً) متخبطًا ومتضاربًا فى كل أمور الحياة !» (٩٧-٩٩)

وتأتى الرسالة الثامنة لتؤكد هذا الاهتزاز النفسى وتجعلنا نشعر أن هوراتيوس قد فشل في تحقيق الاستقرار النفسى الداخلى(٤) .

ولكن فى ظل هذا القلق الذى يشعر به هوراتيوس ، لم يغفل واجبه الأخلاقى تجاه صديقه الشاب كلسوس ألبينوڤانوس ، وتأتى الكلمات الأخيرة فى الرسالة الثامنة تحمل تحذيراً لكلسوس :

« مثلما تتحمل أنت قدرك ، فإننا بنفس القدر سوف

نتحمل نحن مصيرك ياكلسوس »

ut tu fortunam, sic nos te, Celse, feremus.(17)

وتعد هذه هى المرة الثانية التى يحذر فيها هوراتيوس صديقه كلسوس ، حيث كان قد حذره فى الرسالة الثالثة ، التى تعد إرهاصاً للرسالة الثامنة ، وبأسلوب ساخر ، من انتحال مؤلفات الآخرين :

« ترى مـاذا يفعل كلسـوس لأجلى ؟ لقـد تلقى النصح ويجب أن يُنصَح كثيراً،

بأن يبحث عن إمكاناته الشخصية ،

وأن يمتنع عن مد يده لتلك الكتب التى ( سمح بوجودها فى مكتبة)

أبوللو (بتل) البلاتيوم ،

خشية أن يحدث مصادفة فى يوم ما (أن يعود) سرب الطيور

ليطالب باسترداد ريشه،

فيجد أن الغراب الصغير الذى جرد من ألوانه المسروقة يثير

السخرية ويبعث على الضحك .» (١٤-٢٠) .

وكما نرى من الأبيات السابقة ، كان التحديد واضحاً ووصلت نغمة الحديث إلى حد السخرية الصريحة والتهكم ، رغم أن هوراتيوس لم يغلف نصحيته بلباقته وذكائه المعهودين فيه عند نصح الآخرين . وربما يرجع هذا إلى الحرص على إظهار جدية هذا التحذير لأديب شاب يجب أن يخطو أولى خطواته فى حدود إمكاناته الشخصية، بدلاً

من اعتماده على إبداعات الآخرين . ولاشك أن هوراتيوس يثير هذه القضية الفنية على الدوام أمام عموم الأدباء الشبان(٥) .

ويفتتح الشاعر هذه الرسالة الثامنة بقوله :

« يا ربة الفن ، ردى البهجة وأعيدى تحقيق النجاح بجدارة - بناء على طلبى - إلى كلسوس ألبينوانوس، رفيق نيرون وسكرتيره .» (١-٢)

ويُذكر أن الشاعر قد تعمد توجيه هذا الخطاب إلى ربة الفن - وهو الأمر الذى ورد هنا فقط فى هذا الكتاب من رسائل هوراتيوس(٦) - كى يعطى جواً مناسبًا للقصيدة . فهنا ربما تكون الإشارة إلى نجاح كلسوس الأديب الشاب ، وهو الآن أيضاً يظهر ككاتب للأمير الشاب نيرون وسكرتيراً خاصًا له. كما أن ذكر ربة الفن هنا يذكرنا بلا شك بما ورد فى الرسالة الثالثة بشأن محاولة انتحال مؤلفات الآخرين. فالمبدع الأصيل عليه أن يحاول أن يتلقى الإلهام عند الإبداع عن ربة الفنون . وهكذا تأتى الرسالة الثامنة لتضع لبنةً فى بناء هذا الكتاب ، فى إطار الهدف الأخلاقى الذى أعلنه الشاعر فى الرسالة الأولى ، وهو دراسة الفلسفة ومحاولة نصح الآخرين بما تصلح به حياتهم وأخلاقهم(٧) .

ويرى الأستاذ ر.س.كيلباتريك أن نقد هوراتيوس لصديقه الشاب فى الرسالة الثامنة كان أكثر لباقةً مما كان عليه فى الرسالة الثالثة ، وهو بالفعل ما ذكرناه سالفًا . فهنا نرى أن هوراتيوس - بعد أن تضرع إلى ربة الفنون بأن تمنح كلسوس النجاح ككاتب - جعل من نفسه بعد ذلك المثل **exemplum** (فى الأبيات ٧٢-٧٣ ) ، وجعل النقد يطوله هو وليس كلسوس . ثم أخرّ نصيحته المباشرة الموجهة إلى كلسوس إلى آخر بيت فى الرسالة(٨) ، وجاءت نصيحته مسبوقة بالتساؤل غير المباشر عن أحوال صديقه الشاب ، ولذا جاءت نصيحة سائغة غير مباشرة .

ويرى ر.س.كيلباتريك أن الاهتزاز النفسى وعدم الاستقرار فى المشاعر الداخلية الذى أبداه هوراتيوس فى هذه الرسالة ، معبراً فى حقيقة الأمر عن حيرته فى قضية الفلسفة : فهو لا يعرف أى فلسفة يعتنق ، كما أنه يرى أنه لا توجد فلسفة بعينها

بإمكانها أن تحقق له سلامة العقل والنفس [٩] ، وبالتالى توفر له الحافز القوى للكتابة فى الفلسفة كما يريد فى الرسائل . وهنا يمكن أن تكون الإشارة تحديداً إلى مذهبى الفلسفة المعروفين فى ذلك العصر ، وهما الإبيقورية والرواقية[١٠] .

ولعل من الواجب أن نذكر هنا أيضًا إشارة هوراتيوس فى الرسالة السادسة عشرة من هذا الكتاب ، إلى ضرورة صدق الإنسان مع نفسه ، بأن يكون فى باطنه كما هو فى ظاهره أمام الناس :

**« حرى بك أن تعيش باستقامة ، إذا حرصت على أن تأتى تصرفاتك وفق ما تسمع ( الناس يطلبونه منك).»(١٧)**

وهوراتيوس فى هذه الرسالة يريد أن ينتقد نفسه لأنه يشعر بعدم الرضا عن حظه من الحياة **mempsimoira**، ويوضح أن عقله أو بالأحرى نفسه هى التى أصابها السقم من جرّاء ذلك . ولكنه أيضًا – كما يفعل مع الآخرين – ينتقد نفسه بأسلوب غير مباشر ، فيقول إنه يعانى من الكسل والخمول أو عدم الاكتراث بالحياة، وربما أراد الشاعر أن يصور نفسه كفنان تنتابه بالضرورة من وقت إلى آخر حالة من حالات الاكتئاب [١١] .

وحيرة هوراتيوس هنا – المتعلقة بالبحث عما يحقق له السعادة التى يفتقدها ، وعدم قدرته على تحديد المعرفة التى يمكنها أن تحقق له هذه السعادة وهذا الاستقرار النفسى – تذكرنا بما قاله شيشرون فى عمله « المناظرات التوسوكولانية» **Tusculanae Disputationes** وهو يخبرنا بأن كل أصحاب المواهب يصابون بالاكتئاب :

**omnes ingeniosos melancholicos. (i, 33, 80)**

ويُذكر أن شيشرون قد ناقش فى هذا العمل ماهية الفضيلة ، وكيفية تغلب الإنسان على المحن وانتصاره على أحزانه ، وضرورة ازدرائه للموت وتحمل الألم . وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب الرابع – من بين الكتب الخمسة التى يتكون منها هذا العمل – يعالج كيفية التخلص من الاضطرابات والمحن والانفعالات والأهواء التى يمكن أن تصيب العقل بالسقم وبالتالى تؤدى إلى المرض النفسى[١٢] .

ولاشك أن هوراتيوس ، كما ذكرنا من قبل ، قد قرأ أعمال شيشرون الفلسفية، وهى تشكل جزءاً أساسيًا من ثقافته التى يصدر عنها فى أعماله ؛ ولاشك أيضا أن شيشرون بدوره قد أعاد صياغة ما ذكره أرسطو من قبل، حول اكتئاب الفنانين والشعراء والفلاسفة(١٣) .

لذا فإن هوراتيوس يصرح – اتساقًا مع هذا –بأن الجنون **furor** هو علة الشعراء:

**« ماهو كنه ذاك الجنون الذى يثير بدرجة أقل حفيظة الشعراء اللامعين؟ »**

**qui minus argutos vexat furor iste poetas?**

**(Ep., ii, 2, 90)**

ولكن يذكر أن الصورة التى أخذناها من الرسالة الثامنة لهوراتيوس عن الشاعر صاحب المزاج المتقلب الحساس ، هى صورة تقابل فى تضاد صورته هو نفسه التى قدمها لنا فى الرسالة الرابعة ، حيث نجده يخاطب تيبوللوس الشاعر المكتئب غير القادر على أن يكتب الشعر بسبب المعاناة النفسية، بقوله :

**« إنك لم تكن جسداً بلا روح. »**

**non tu corpus eras sine pectore.(6)**

وإلى جانب هذه الدعوة إلى استخدام الفكر للخروج من الأزمة النفسية ، يدعو هوراتيوس زميله تيبوللوس إلى التمسك بالأمل وأن يوازن بين انفعالاته النفسية كى لا يضيع وقته دونما استمتاع واستفادة (١٢–١٤) .

ويقوم هوراتيوس فى الرسالة الرابعة بدور الشاعر الإبيقورى القانع بما لديه من نعم وملذات ، ويحث تيبوللوس على أن يُقبِل على الحياة مبتسمًا (١٥–١٦) .

ويرى ر.س. كيلباتريك أننا حين نضع الرسالتين الثامنة والتاسعة بجانب بعضهما ، ربما نفهم أن الشاعر قد أوصى تيبريوس بصديقه الشاب كلسوس ، وذلك لأن هوراتيوس يزكى فى الرسالة التاسعة بلباقة ملحوظة صديقه سبتميوس للأمير تيبريوس(١٤) .

والأبيات الأخيرة من الرسالة الثامنة توحى بأن هوراتيوس يدرك حاجة الشاب كلسوس إلى اللباقة واللياقة فى تعامله مع الأمير الشاب نيرون ، وهو الأمر الذى يؤكده مطلع الرسالة حين يطلب هوراتيوس من ربة الفن أن تساعد الشاب الصغير على أن ينجح فى مهمته ، أى مهمة العمل كسكرتير لتيبريوس . وهنا نلمح تحذير هوراتيوس لكلسوس بألا يدع هذه الفرصة الذهبية التى أتاحها له تفوت دون إحراز النجاح ، لأن مستقبله متوقف عليها :

«ثم اسأليه ( ياربة الفن) بعد ذلك عن صحته وعن طريقه إدارته لشئونه ولأموره الشخصية،

وكيف يدخل السرور إلى قلب (الأمير) الشاب وحاشيته.

فإن قال لك : « إننى بخير » ، فازجى إليه التهنئة فى البداية،

ثم تذكرى أن تهمسى فى أذنيه دوما بهذه الحكمة :

مثلما تتحمل أنت قدرك ، فإننا بنفس القدر سوف نتحمل نحن مصيرك ياكلسوس .» (١٣-١٧)

وهذا النوع من الملحوظات التى ساقها هوراتيوس مزكيًا كلسوس ومحذراً إياه فى نفس الوقت من الفشل ، ومحفزاً له على ضرورة التمسك بتحقيق النجاح ، هذا النوع من التزكية نجد ما يماثله لدى شيشرون، حيث نجد الأخير يوبخ صديقه تريباتيوس ، ويحثه على النجاح فى رفقة قيصر فى بلاد الغال ، ويدعوه أن يهذب من خجله وتواضعه ، حتى تكون تزكيته إياه لدى قيصر لها ما يبررها(١٥) .

ويذكر أن رسائل شيشرون إلى أصدقائه ad Familiares ، اتسمت مثل سائر كتاباته ، بالإنسانية humanitas ، والنصح الرشيد لأصدقائه(١٦) .

وكما نصح شيشرون تريباتيوس وحذره من الأشياء التى تؤدى إلى الفشل وتباعد بين الإنسان وبين الناس ، نصح هوراتيوس كلسوس ، صديقه الأصغر منه سنًا والأقل منه خبرة ودراية ، بأن السلوك غير الاجتماعى وعدم إنزال الناس منازلهم ، من الممكن أن يباعد بين الشخص وبين أصدقائه . ومن شأن الاكتئاب أن يظهر المرء أحمق ومثيراً

للسخرية . ولكن نصح هوراتيوس في هذه الرسالة جاء لبقًا كما ذكرنا ، حيث وجه الخطاب إلى نفسه بدلاً من كلسوس :

«فأنا لا أرغب في سماع أى شىء أو تعلم أى أمر قد يخلصنى من سقمى ،

حيث إننى سوف أشتبك فى عراك مع أطبائى المخلصين ، وسوف أنفجر

غضبًا في وجه أصدقائى ( مستنكرًا موقفهم) ،

فلماذا يبادرون إلى حمايتى من الإصابة بالخمول المميت ؟

والسبب فى ذلك أننى أقبل على الأشياء التى آذتنى وأفر من الأشياء التى أعتقد أنها مفيدة لى . » (٨-١١)

ياربة الفن ، ردي البهجة، وأعيدى تحقيق النجاح بجدارة-بناء على طلبى -
إلى كلسوس ألبينوڤانوس، رفيق نيرون وسكرتيره. وإن سألكِ عن أحوالى ،
فاخبريه أنه بالرغم من أننى أعد وأتشدق بأشياء كثيرة وطيبة،
إلا أننى أعيش حياة لا تتسم بالحكمة ولا بالبهجة ،
لا لأن حبات البرد قد أفسدت كرومى، أولأن القيظ قد أتلف زيتونى،
وليس لأن المرض قد أصاب ماشيتى فى مراعٍ بعيدة ،
بل لأننى أقل سلامة فى عقلى من جسدى كله ،
فأنا لا أرغب فى سماع أى شىء أو تعلم أى أمر قد يخلصنى من سقمى ،
حيث إننى سوف أشتبك فى عراك مع أطبائى المخلصين ،
وسوف أنفجر غضبًا فى وجه أصدقائى ( مستنكرًا موقفهم) ،
فلماذا يبادرون إلى حمايتى من الإصابة بالخمول المميت ؟
والسبب فى ذلك أننى أقبل على الأشياء التى آذتنى وأفر من الأشياء
التى أعتقد أنها مفيدة لى فأنا متقلب كالريح:
أحب تيبور أثناء إقامتى بروما ، وأحب روما أثناء إقامتى بتيبور .
ثم اسأليه ( ياربة الفن) بعد ذلك عن صحته وعن طريقه إدارته لشئونه
ولأموره الشخصية، وكيف يدخل السرور إلى قلب (الأمير) الشاب وحاشيته.
فإن قال لك : « إننى بخير » ، فازجى إليه التهنئة فى البداية،
ثم تذكرى أن تهمسى فى أذنيه دومًا بهذه الحكمة :
"مثلما تتحمل أنت قدرك ، فإننا بنفس القدر سوف نتحمل نحن مصيرك ياكلسوس".

# الهوامش

(١) M.J. McGann , op. cit., p. 56.

(٢) G.C.Fiske, op. cit., p. 432.

(٣) M.J. McGann , op. cit., p. 57.

(٤) ibid., p. 57.

(٥) R.S.Kilpatrick, op. cit., p. 40.

(٦) ibid., p. 37.

(٧) M.J. McGann , op. cit., p. 57.

(٨) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 37-38.

(٩) ibid., p38.

(١٠) A.A. Long, op. cit., pp. 1-13.

(١١) R .S. Kilpatrick, op. cit., p. 38.

(١٢) د. عبد العظيم عبد الكريم ، العمل نفسه ، ص ٢٣٨ .

(١٣) Arist., Prob., 30.1; cf. R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 39.

(١٤) ibid., p. 40.

(١٥) cf. Cic., ad.Fam., 7, 6; 7, 15.

(١٦) د. عبد العظيم عبد الكريم ، العمل نفسه ، ص ٢٤٥ .

# الرسالة التاسعة

هذه الرسالة التاسعة يوجهها هوراتيوس إلى تيبريوس كلوديوس نيرون . وبينما كانت الرسالة الثامنة لها صلة ، وإن كانت غير قوية برسائل التهنئة ، فإن الرسالة التاسعة تُعد بوضوح إحدى رسائل التزكية **litterae commendaticiae** ، ورغم ذلك نجد أن محور اهتمام الشاعر فى هذه الرسالة أيضًا هو الأخلاق . هذا على الرغم من أن هوراتيوس يطلب فى البيت الأخير من تيبريوس أن يضم سبتميوس إلى زمرة أصدقائه، ويؤكد له على يقينه من سلامة شخصيته ومن تحليه بالشجاعة . فى حين أننا نجد أن غالبية أبيات الرسالة لا تهتم بهذه التزكية ، لكنها تبين الضغط الذى تعرض له الشاعر كى يتدخل لتزكية سبتميوس لدى تيبريوس . ونلحظ أن الأسلوب السائد فى رسائل التزكية عند شيشرون هو قوله إنه عرف هذا الرجل لعدة أعوام وعرف عنه كذا وكذا ، وأنه يعد واحداً من أفضل أصدقائه ؛ غير أن هذا الأسلوب لا يظهر عند هوراتيوس[١] .

على أية حال ، فالرسالة تعد خالية من السخرية ، لكنها تتناول ببساطة مشكلة أخلاقية ، هى المشكلة نفسها التى تناولها الشاعر فى هذا الكتاب فى أكثر من رسالة، أى العلاقة بين رجل ذى مكانة عظيمة وبين آخر أقل منه مكانة وثراء . وقد سبق لهوراتيوس أن أعطى لنا مثالاً على الرجل الطيب الحكيم الذى يعرف أين يصنع معروفه ، وذلك فى الرسالة السابعة :

**«يقول الرجل الخير الحكيم إنه مستعد (لإسداء المعروف) لمن يستحقه.»(٢٢)**

وهنا أيضا يشير شاعرنا إلى فطنة تيبريوس وذكائه ، وتمتعه بحسن اختيار من يدخله فى زمرة أصدقائه وتابعيه :

« كرجل جدير بثقة نيرون – الذى يحسن الاختيار – وجدير أيضًا بعراقة محتد منزله»

**dignum mente domoque legentis honesta Neronis, (4)**

« قد تنازلت عن (الفوز) بجوائز (مهداة من) وجه المدينة «(المتسم بالصفاقة) .»

**frontis ad urbanae descendi praemia. (11)**

هذا البيت هنا فى الرسالة التاسعة يعطى إرهاصًا بالفكرة التى سوف يتناولها الشاعر فى الرسالة القادمة ، أى الرسالة العاشرة ، وهى تدور حول الموقف الأخلاقى بين حياة المدينة وحياة الريف . وهذه الإدانة الأخلاقية لحياة المدينة فى الرسالة التاسعة، تأتى كمقدمة لحديث الشاعر بالتفصيل فى الرسالة العاشرة عن مزايا حياة الريف، و تفضيله إياها على حياة المدينة بكل مزاياها [٢].

ويُذكر أن الكتاب الثالث عشر من عمل شيشرون **ad Familiares** ، الذى أشرنا إليه من قبل ، كان عبارة عن خطابات يقدم فيها شيشرون بعض أصدقائه ويزكيهم لدى حكام الولايات . ومثل هذا الأمر يلقى الضوء على التقاليد التى كانت متبعة فى تأليف مثل هذه الخطابات[٣] ، وتحديداً فى الرسالة الرابعة والستين منه . ويذكر شيشرون فى هذا الكتاب الكاتب تيبريوس كلوديوس نيرون ، والد الإمبراطور القادم ، وهو نفسه الذى يخاطبه هوراتيوس فى هذه الرسالة ويزكّيه لدى بوبليوس سيليوس نرقا **P.Silius Nerva** واصفًا إياه بأنه :

«شـــــاب نبيـــل ، موهـــــوب ، عنيف.»

**adulescens nobilis, ingeniosus, abstinens.**

**(Cic., ad. Fam., xiii, 64, 2)**

وهو الأمر الذى جعل نرفا يرحب بأن يتخذ من تيبريوس ابنًا بالتبنى أو ( صهراً له بتزويجه لابنته)[٤] . وربما يكون هوراتيوس قد أدرك هذا الأمر جيداً ، لذا يمكننا أن نلحظ الصلات التى تربط بين هذه التزكية وبين النصائح التى يسوقها الشاعر إلى الشاب لولليوس فى الرسالة الثامنة عشرة (٧٢-٨٥) ، فيما يخص الحذر والحكمة والتعقل فى مسألة تزكية الأشخاص ، وتقديمهم لدى ذوى النفوذ **potentes amici** كى يصبحوا أصدقاء تابعين لهم :

«حتى لاتجلب عليك أخطاء الآخرين الخزى والمتاعب فى القريب العاجل ؛

فى بعض الأحيان نُخدع ، ونزكى رجلاً غير جدير .»

ويرى الأستاذ تيريل **Tyrrel** أن شيشرون قد ملأ الرسالة **ad Fam., 7, 5** بالتداخلات التى بعثت فيها الحيوية[٥] .

« انظر ، ماذا جلبت على نفسى ، فقد رفعنا كلانا أيدينا ، أنا وبالبوس.»

**vide quid mihi sumpserim sustulimus manus et ego et Balbus.**

وهذا الأمر يلفت النظر إلى التماثل فى الغرض بين رسالة شيشرون إلى تريباتيوس **ad Fam., 7, 6** وبين رسالة هوراتيوس الثامنة عشرة من الكتاب الأول، وكذا التماثل فى الغرض الذى يربط بين الرسالة الثانية عشرة لهوراتيوس وبين عمل شيشرون الذى يزكى فيه تيبريوس . فقد قدم هوراتيوس فى الرسالة الثانية عشرة صديقه إكيوس إلى بومبيوس جروسفوس **Pompeius Grosphus** ، ولذا يبرز السؤال : هل قصد هوراتيوس أن يزكّىَ كل من يوليوس فلوروس ومونانيوس وتيتيوس وكلسوس لدى تيبريوس الذى يعد راعيًا لهوراتيوس[٦] ؟ ولعل الإجابة هى أنه قد قصد هذا بالفعل ، خاصة وأن تزكية الآخرين تعد مظهراً من مظاهر علاقة الصداقة . وتتوافق الرسالة التاسعة فى هدفها الأخلاقى مع باقى رسائل هذا الكتاب، لأنها تهتم بتزكية صديق للشاعر لدى صديق آخر، وحث الأخير على أن يسدى معروفاً **beneficium** إلى الأول ، خاصة وأنه قادر على ذلك فهو صديق ذو نفوذ **potens amicus** .

وتدعو الرسالة التاسعة إلى فضيلة الاحتشام أو الاستحياء التى أشار الشاعر إلى أنها تنبع فى الأصل من تقاليد الريف ، حيث أفصح عن نقيضها راداً إياه إلى المدينة ومظاهر الحياة فيها (٧) :

« لذلك - فإننى فراراً من اللوم على (اقتراف) خطأ أكبر،

قد تنازلت عن (الفوز) بجوائز (مهداة من) وجه المدينة

(المتسم بالصفاقة)» (١٠-١١)

وقد أشار شيشرون من قبل إلى أن الاستحياء أو الاحتشام الريفى pudor subrusticus ، و الذى يناقض عند هوراتيوس وجه المدينة (الصفيق)frons urbana، هو الذى منعه من أن يطلب إسداء المعروف من صديقه Lucceius بشكل مباشر(٨) .

ويشير هوراتيوس إلى مدى وقوف صديقه الشاب سبتميوس على التقدير الكبير الذى يكنه كلوديوس لشاعرنا :

«سبتميوس وحده بالطبع يدرك ، ياكلوديوس ،

مدى التقدير الكبير ( الذى تكنه) لى.» (١-٢)

« وحيث إنه يعتقد أننى أتولى القيام بمهام الصديق الحميم ،

فهو يرى ويعرف، أكثر منى أنا نفسى ، ماذا فى مقدورى أن

أقوم بعمله.» (٥-٦)

ومما هو جدير بالذكر أن المبالغة فى عرض إمكانات الشخص الذى يوصى عليه أو يزكّى - من جانب الشخص الذى يرغب فيه التوصية أو التزكية - تعد أمراً مألوفاً فى خطابات التزكية (٩) .

وهوراتيوس فى واقع الأمر يستشعر متعةً كبيرةً فى هذه المبالغة ، فهى تجلب له الشهرة fama والسمعة الطيبة ، وهو سعيد بما يراه فيه سبتميوس من حظوة لدى كلوديوس .

وكان هوراتيوس قبل أن يُقْدم على التزكية حريصًا على ألا يزعج بإلحاحه صديقه الشاب النبيل كلوديوس ، حين أوضح أنه قد حاول بالفعل أن يسوق لسبتميوس من الأسباب والأعذار ما يجعله لا يعول كثيراً على هذه التزكية :

« إذ تذرعت له حقًا بحجج كثيرة ، كى أهرب

من (الالتزام الملقى على عاتقى) ، وأبرئ ساحتى من اللوم. » (٧)

ثم يقول :

« ولكنى خشيت أن يظن أننى قد تقاعست ولم أنجز ( من وعودى) إلا أقل القليل ،

وأننى أتظاهر بإخفاء حقيقة نفوذى ، ولا أفيد سوى نفسى. » (٨-٩)

وهو أمر يثبت أيضاً أن هوراتيوس كان حريصاً أيضًا على عدم إغضاب صديقه الشاب سبتميوس ، حيث إنه كان يحتاج إلى مساندته ، كما أنه كان حريصاً على صداقته التى تربطهما معًا .

ويؤكد هذا المعنى ما سبق وأن أكد عليه هوراتيوس من قبل فى الهجائيات ، بأنه قد اتُهم بالتقاعس فى مساندة الأصدقاء ، وهى تهمة ذكر شاعرنا صراحة أنه يخشى أن توجه إليه هنا من سبتميوس ولا يريد تكرارها[١٠] ، لذا فهو مجبر على أن يتخلى عن حيائه وخجله ويطلب التزكية بأسلوب مباشر ، وعلى أن يقبل على هذه المخاطرة وذلك من أجل خدمة صديقه :

«لكنك إن امتدحت حيائى الذى (أجبرت على) التخلى عنه بناءً على توسلات صديق،

فإنى (أرجو) أن تدون ( اسم) هذا الرجل ضمن حاشيتك وأن تعده إنسانًا شجاعًا خيراً.» (١٢-١٣)

سبتميوس وحده بالطبع يدرك ، ياكلوديوس ، مدى التقدير الكبير ( الذى تكنه) لى
لأنه عندما رجانى وأجبرنى بتوسله - وكان واثقًا من هذا ..
أن أقدم على تزكيته وتقديمه إليك . كرجل جدير بثقة نيرون
- الذى يحسن الاختيار - وجدير أيضًا بعراقة محتد منزله.
وحيث إنه يعتقد بأننى أتولى القيام بمهام الصديق الحميم ،
فهو يرى ويعرف، أكثر منى أنا نفسى ، ماذا في مقدورى أن أقوم بعمله
إذ تذرعت له حقًا بحجج كثيرة ، كى أهرب من (الالتزام الملقى على عاتقى) ،
وأبرئ ساحتى من اللوم،
ولكنى خشيت أن يظن أننى قد تقاعست ولم أنجز ( من وعودى) إلا أقل القليل ،
وأننى أتظاهر بإخفاء حقيقة نفوذى ، ولا أفيد سوى نفسى ،
لذلك - فإننى فراراً من اللوم على (اقتراف) خطأ أكبر،
قد تنازلت عن (الفوز) بجوائز (مهداة من) وجه المدينة (المتسم بالصفاقة)،
لكنك إن امتدحت حيائى الذى (أجبرت على) التخلى عنه بناءً على توسلات صديق،
فإنى (أرجو) أن تدون ( اسم) هذا الرجل ضمن حاشيتك وأن تعده إنسانًا شجاعًا خيراً .

# الهوامش

(١) M.J. McGann, op. cit., p. 58, cf. Cic., de Off., iii, 43 ff.; de Am. 57, 61., ad Fam, 13, 2; 3; 5, 2.

(٢) E. Courbaud, Horace. sa Vie et sa Pensée à l'Époque de Epître., Paris (1914), pp. 303-304..

(٣) R.S.Kilpatrick, op. cit., p. 41.

(٤) R.Y. Tyrrel and L.C. Purser, The Correspondence of Cicero. Arranged According to its Chronological Order., 7vols., Dublin (1879), vol. 1, p. 235.

(٥) ibid., p. 134.

(٦) R.S.Kilpatrick, op. cit., p. 41.

(٧) ibid., p. 42.

(٨) Cic., ad Fam., v, 12, 1.

(٩) ibid., 13. 6. 3.

(١٠) Hor., Sat., ii, 6, 39, 53-54, 57-58.

# الرسالة العاشرة

وجه هوراتيوس الرسالة العاشرة إلى ماركوس أرستيوس فوسكوس الذى وصفه فى الهجائية التاسعة من الكتاب الأول بأنه كثير المزاح (٦١) ، وفى الهجائية العاشرة من الكتاب نفسه بأنه أديب وصديق وقور (٨٣) ، وقد خاطبه بشىء من السخرية فى واحدةٍ من أشهر أغانيه (Od., i, 22) .

كذلك وصف كل من بورفيريو **Porphyrio** وأكرو المنحول **Ps. Acro** فوسكوس بأنه كاتب تراچيديات **scriptor tragoediarum**، وكاتب كوميديات **scriptor comoediarum** أيضًا ، وأنه أستاذ رفيع الثقافة لعلوم اللغة والنحو **grammaticus doctissimus** .

وتدور الرسالة فى إطار من الود والمشاعر الجياشة حول الموضوعات الأساسية التى ذكرت بالكتاب الأول من الرسائل : الصداقة ، حب الريف ، إسداء النصائح الأخلاقية الصادقة لبلوغ راحة البال . كما تتسم هذه الرسالة بأنها تذكر القارئ أن هوراتيوس يكتب من الريف رسائل إلى أصدقائه بالمدينة ذوى الأعمار والآراء المتباينة[1] .

ولقد راعى هوراتيوس فى هذه الرسالة الشكل الرسائلى إلى حد كبير ، وخصوصًا الاستهلال والختام . واستهل هوراتيوس الرسالة بواحدة من صيغ التحيات الرسائلية :

«نحن محبى الريف نبعث بتحياتنا إلى فوسكوس المحب للمدينة»

**Urbis amatorem Fuscum salvere iubemus**

**ruris amatores. (1-2a)**

وجاء الختام أيضًا على نمط المراسلات الشخصية ، وكان فياضًا بمشاعر الصداقة الجياشة :

«لقد كنت أسطر إليك هذه الكلمات من خلف معبد ڤاكونا المتهدم،

وإننى لسعيد فى كل الأحوال ، باستثناء أنك لم تكن معى .»

**Haec tibi dictabam post fanum putre Vacunae,**

**excepto quod non simul esses, cetera laetus. (49-50)**

كما استخدم هوراتيوس *الزمن الرسائلى* **dictabam** (ماضى متصل) ، حيث وضع الفعل فى زمن يناسب المرسل إليه عند قراءة الرسالة[٢] .

واستهل هوراتيوس الرسالة بإظهار التناقض بينهما **ruris amatores, urbis amatorem** فهو محب للريف بينما صديقه محب للمدينة ، وليبرز هذا التناقض فقد وضع **urbis amatorem** فى صدر البيت الأول ، و **ruris amatores** فى صدر البيت الثانى[٣] .

ومن هذا الاستهلال يبدأ هوراتيوس فى التوطئة لمناقشة طويلة حول أفضل مكان لإقامة الإنسان ، ويعتبر هذا الأمر هو محل الخلاف الوحيد بين الصديقين . وقد صور هوراتيوس نقطة الخلاف هذه بتشبيه رائع ، حيث شبه نفسه وصديقه بيمامتين متحابتين، إحداهما أليفة رقيقة تقطن فى العش ، بينما الأخرى برية تؤوب إلى عشها وقتما تشاء، ولكنها تفضل حياة الطبيعة التى يتميز بها الريف المبهج **ruris amoeni**، حيث جداول المياه وصخورها المكسوة بالطحالب والبساتين (٢-٧)[٤] .

وبالرغم من أن هوراتيوس أكد فى بداية الرسالة أنه مختلف مع أرستيوس فوسكوس فى طريقة التفكير ، إلاّ أن الاستهلال يترك انطباعًا قويًا بأنه من أقرب الأصدقاء إلى قلبه ، كما أنه لا يستهجن بحالٍ من الأحوال تفضيل فوسكوس للمدينة التى وصفها بأنها العش (٦) ، ولكنه – على أية حال – يفضل الريف ، ولهذا يثنى عليه ويمتدح طبيعته الخلابة (٦-٧) ، ثم يعلل سبب تفضيله إياه :

« هل تسأل عن السبب؟ السبب هو أننى أعيش وأحظى باليد العليا ،
بمجرد أن تركت تلك الأشياء ، التى ترفعونها ، أنتم ( ياسكان المدينة)،»

**quid quaeris? vivo et regno, simul ista reliqui**

**quae vos ad caelum effertis rumore secundo, (8-9)**

فهوراتيوس ينشد التخلص من تحكم الآخرين فيه أثناء إقامته فى المدينة ، فهو الآن حر وسعيد بعد أن حقق الأمنية التى ذكرها من قبل فى إحدى هجائياته :

«أيها الريف ترى متى سأتطلع إليك ؟ ومتى سيقدر لى أن أحظى
بنسيان جميل لحياة القلق والهموم ،
تارة بكتب القدماء ، وتارة بالنوم وساعات الاسترخاء!.(٥)

**o rus, quando ego te aspiciam! quandoque licebit**

**nunc veterum libris, nunc somno et inertibus horis,**

**ducere sollicitae iucunda oblivia vitae! (Sat. ii, 6, 60-62)**

ويعزز هوراتيوس فكرته بتشبيه آخر ، حيث يصف نفسه بالعبد الهارب من الكاهن الذى يطعمه كل يوم من الكعك والحلوى التى تُقدم كقرابين إلى الآلهة ، مما يجعله يفضل الخبز (١٠-١١) . وهذا السلوك - سواء من جانب اليمامة التى غادرت العش أو من جانب العبد الفار من الكاهن - يمثل سلوك هوراتيوس تجاه حياة المدينة حياة البلاط .

ثم عبر هوراتيوس عن تفضيله للريف بمناقشة فلسفية (١٢-١٤) ، حيث يقوم بتطبيق عملى لأحد المبادئ الرواقية **vivere convenienter naturae** ، وهو أن يعيش الإنسان متوافقا مع الطبيعة(٦) :

« إن كان ينبغى علينا أن نعيش وفقًا للطبيعة ،
وإن كان هناك من البداية قطعة أرض يجب البحث عنها لبناء منزل (فوقها)،
فهل تعلم مكانًا أفضل من الريف جلبًا للبهجة والسعادة ؟».

**Vivere Naturae si convenienter oportet,**

**ponendaeque domo quaerenda est area primum,**

**novistîne locum potiorem rure beato?. (12-14)**

ويعد أفضل تفسير لحديث هورايتوس عن وجود قطعة أرض لبناء منزل فى هذه الفقرة ، هو أن فوسكوس كان عازماً آنذاك على بناء منزلٍ جديدٍ له(٧) .

ويعود هوراتيوس إلى مدح حياة الريف من خلال عقد مقارنة بين الريف والمدينة (١٥-٢٥) ، ففى الريف يستمتع الإنسان بالشتاء اللطيف والنسيم العليل والنوم الهادئ وأريج الزهور والمجارى المائية وهو ما تفتقر إليه المدينة . ويعتقد هوراتيوس أن حب الريف مغروس فى النفس البشرية ، فحتى من يقطنون المدن يحاولون إضفاء روح الريف على المدينة ، فيزرعون الأشجار بين الأعمدة ويمتدحون المنزل المطل على حديقة غنّاء ، فالطبيعة لابد وأن تنتصر فى النهاية (٢٢-٢٥)(٨) .

ثم أتبع هوراتيوس ذلك بفقرة من الوعظ الأخلاقى عن أهمية القدرة على التمييز بين الحقيقى **verum**(٩) والزائف **falsum** (٢٦-٢٩) ، فيتحدث عن خسارة التاجر الذى يفشل فى التفرقة بين الأصواف المصبوغة بصبغة أكوينوم وتلك المصبوغة بالصبغة الفينيقية . ويرى أن من يفشل فى التفرقة بين الحقيقى والزائف فى المناحى الأخلاقية ستكون خسارته أشد وأفدح وسيفتقر إلى السعادة :

« ... فإن كنت معجبًا بنعمة من النعم ، فسوف تتركها مرغمًا ،

تجنب (إذن التطلع إلى) الأشياء العظيمة : فمن حقك وأنت

تحت سقف منزل فقير ، أن تبز فى حياتك الملوك وأصدقاء الملوك .»

**...... si quid mirabere, pones**

**invitus. fuge magna: licet sub paupere tecto**

**reges et regum vita praecurrere amicos. (31-33)**

ويرتبط الجزء السابق ببعض الأفكار التى ناقشها الشاعر فى الرسائل السابقة ، فالتعبير **si quid mirabere, pones invitus** يعيد إلى أذهاننا ما جاء قبلاً فى التعبير **nil admirari** . كما تذكرنا نصيحته **fuge magna** بعبارته **parvum parva decent** التى وردت بالرسالة السابعة.

ولقد اعترف هوراتيوس فى الرسالة السابعة أن مايكيناس جعله ثريًا (١٥) **locupletem** ، ولكنه رغم ذلك قرر رد هداياه إليه **donata reponere** (٣٩) ، إلا أنه لم يذكر أى شىء عن التبعات المادية الناجمة عن رد الهدايا . وعلى أية حال فهو هنا يتحدث بصراحة عن الفقر **paupertas** ، مُدَّعيًا أنه حتى فى ظل الفقر الراهن فإنه يمكن للإنسان التفوق فى حياته على الملوك **reges** وأصدقائهم . ويؤكد ارتباط ما جاء فى الرسالة السابعة بالفقرة السابقة أنه أتبعها بقصة الجواد والوعل (٢٤-٣٦) التى تشبه فى مضمونها قصة *الفأرة الصغيرة* التى وردت بالرسالة السابعة[٩] .

والجدير بالذكر هنا أن نصيحة هوراتيوس بصدد اختيار موقع المسكن امتدت لتشمل نوع المسكن ، فالمسكن الفقير **pauper tectum** يشير بلا شك *إلى المنزل الريفى* الذى يزكيه هوراتيوس ويفضله على قصور الأثرياء ، وذلك لأنه يجعل الإنسان يحظى بالحياة السعيدة **vita beata** .

وعند هذه النقطة يلقن هوراتيوس فوسكوس درسًا أخلاقيًا من خلال إحدى قصص الحيوان التى تظهر المخاطر التى يجلبها السعى وراء الرفاهية (٣٤-٣٨) ، حيث يروى أن الوعل بفضل قرونه القوية اعتاد أن يطرد الجواد من المرعى المشترك بينهما ، مما اضطر الجواد إلى اللجوء إلى الإنسان وتقبل اللجام لكى ينتصر على خصمه ، ولكنه بعد انتصاره لم يتمكن من أن يسقط الفارس من فوق ظهره ، أو أن يلفظ اللجام من فمه[١٠].

ولقد استقى هوراتيوس هذه القصة من ستسيخوروس[١١] ، لكن فى قصة ستسيخوروس كان الجواد يرعى وحده فى المرعى ثم جاء الوعل متطفلاً عليه وأتلف له مرعاه . ومن هنا جاء طلب الجواد من الإنسان أن يطرد الوعل من منطقة نفوذه. وتختلف قصة هوراتيوس عن قصة سلفه ستيسيخوروس فى أن الجواد كان مشاركًا

للوعل فى المرعى communibus herbis (34)، وأن الوعل لم يضطر الجواد إلى فقد كل الكلأ ، بل إلى العيش على قدر أقل من العشب، فهو إذن نموذج للإنسان الذى يخشى الفقر sic qui pauperiem veritus (39).

وعندما وصف هوراتيوس الجواد المنتصر – بعد مساعدة الإنسان له – بأنه مزهو بنفسه violens ، فإنه بذلك يلمّح إلى سلوك البشر الأحمق عندما يحاولون إشباع رغباتهم غير المعتدلة ، وهذا يلائم ما سبق أن قاله من قبل :

« ذلك أن من أبهجه حظه السعيد أكثر من الحد،

فسوف تقلب له تقلبات القدر ظهر المحن . »

quem res plus nimio delectavere secundae,

mutatae quatient. (30-31)

وعلى ذلك فإن الرضا بالقليل وقبول الفقر pauperies (أو المنزل الفقير pauper tectum ) يريح الإنسان من الخوف من الخسارة ، ويمنح له عقلاً راجحًا ، فالرغبة فى الثراء تعتبر بالنسبة للبشر سيدًا صعب المراس :

«وهكذا فإن من يخشى الفقر،يفقد حريته التى هى أفضل (بالنسبة له)

من كل الكنوز، وسيتخذ هذا الشخص الجشع (المال) سيدًا له،

وسيصبح هو خادمًا له إلى الأبد ، لأنه سيصبح عاجزًا عن العيش على القليل.»(١٢)

sic, qui pauperiem veritus potiore metallis,

libertate caret, dominum vehet improbus atque

serviet aeternum, quia parvo nesciet uti. (39-41)

ولقد أتبع هوراتيوس هـذه الفقرة بالحديث عن مبدأ الملائمة πρεπον ، حيث يسخر من هؤلاء الذين لا يقنعون بنصيبهم فى الحياة ويعتقدون أنه غير ملائم لهم :

« إن الحظ غير المواتى للمرء ، مثله كمثل الحذاء في بعض الأحيان ،

إذا كان أكبر من القدم ، فسيتعثر (صاحبه) ، أما إذا كان أصغر منها، فسيلهب (القدم).»

**cui non conveniet sua res , ut calceus olim,**

**si pede maior erit, subvertet, si minor uret. (42-43)**

والفعل **conveniet** (٤٢) يذكرنا بالفعل **decent** بالرسالة السابعة (٤٤)[١٣]، كما أن صورة الحذاء الذى ينبغى أن يكون ذا مقاس مناسب تعيد إلى أذهاننا طلب هوراتيوس فى البيت الأخير من الرسالة السابعة أن على كل إنسان أن يقيس الأمور بمقياسه الشخصى وبمقدار إمكاناته[١٤] :

**metiri se quemque suo modulo ac pede verum est. (98)**

يبدأ هوراتيوس الجزء الأخيرمن الرسالة (٤٤-٥٠) بالصفة **laetus** وينتهى أيضاً بها ، ففوسكوس سيصير سعيداً (٤٤) إذا شعر بالرضا بحظه فى الحياة ، بينما هوراتيوس سعيد بالفعل (٥٠) ، ولكن سعادته ستكتمل إذا شاركه فوسكوس الإقامة فى الريف[١٥]. والجدير بالذكر أن هوراتيوس عندما خاطب فوسكوس فى نهاية الرسالة لم ينعته بالمحب للمدينة ، بل اكتفى بأن دعاه إلى الفلسفة جالبة الحياة السعيدة ، بحيث يحق له بعد نيل تلك الدرجة الرفيعة أن يوبخ هوراتيوس إذا تصرف بحماقة سعياً وراء الترف :

«(فإن كنت) سعيداً بحظك يا أرستيوس، فإنك ستعيش حياة تتسم بالحكمة،

ولن تدعنى أنصرف دون تثريب علىّ ،

عندما أبدو أننى أكنز أكثر مما أنا بحاجة إليه،

ثم لا أتوقف عن (اقتراف) مثل هذا المسلك.»

**Laetus sorte tua vives sapienter, Aristi,**

**nec me dimittes incastigatum, ubi plura**

**cogere quam satis est ac non cessare videbor. (44-46)**

فى الفقرة السابقة ، يطلب هوراتيوس من فوسكوس أن يكون صديقًا صريحًا معه **liber amicus** ، وهو بذلك يذكرنا بنهاية الرسالة الأولى حيث عاب على مايكيناس عدم اكتراثه بصالح صديقه(١٦).

ثم يعود هوراتيوس للتأكيد على نصيحته بعدم جعل المال يتحكم فى حياتنا ، فالسلوك المتسم بالخنوع يهدد تحكم الإنسان فى مصيره وحريته :

«إن ما يكنز من مال بالنسبة لكل إنسان هو:

إما أن يكون سيداً عليه أم عبداً لديه ،

وخليق (بهذا المال) أن يكون كالحبل المجدول،

الذى يسير خلفك وينقاد لك أكثر مما يمسك هو بزمامك ويقودك.»

**imperat aut servit collecta pecunia cuique,**

**tortum digna sequi potius quam ducere funem. (47-48)**

فالمال يجب أن يكون للإنسان كزورق النجاة المربوط فى مؤخرة السفينة ، وليس العكس ، حيث إن الزورق الصغير لا يوجه السفينة ؛ فالمال له مكانه المناسب ، ومن الحماقة أن يدين هوراتيوس امتلاك المال بالكامل دون تحديد . وبعد أن لقن هوراتيوس صديقه هذا الدرس الأخلاقى، فإنه ينهى الرسالة بعبارة دافئة يملؤها الود. فبينما كان الريف **rus** هوالذى يفرق بين الصديقين الحميمين (٢) ، فإنه يستخدمه هنا ليجمع بينهما . وكما استهل الرسالة بوصف خلاب للطبيعة فى الريف (٦-٧)، فإنه ينهيها بالإشارة إلى استمتاعه بالاسترخاء وهو يتفيأ ظلال معبد ڤاكونا الذى يشرف من موقعه المرتفع على مجرى نهر ديجنتيا . وهوراتيوس يصف لصديقه هذا المنظر الخلاب ، وما يمنحه من راحة للنفس ليحثه على مشاركته إياه . ويرى ڤارو أن اسم الربة ڤاكونا **Vacuna** قد اشتق من الفعل **vacare** وهو ما يشير إلى الاسترخاء بغية الانغماس فى دراسة الفلسفة .

وينتـهى نصح هوراتيـوس بتكرار مـاذكره فى المقدمـة ، وهو أن بناء منزل بالمدينة سيشكل عقبة فى طريق صداقتهما وسيزيد من بعدهما عن بعضهما . أما حينما يستجيب فوسكوس لنصح الشاعر فإنه سيجنى ثمرتين من الإقامة بالريف : راحة البال وتوطيد رباط الصداقة . وإذا كـان هوراتيـوس قد حصل لنفسه على الثمرة الأولى فبإمكان فوسكوس الحصول عليها أيضاً ، ولكن الصداقة تحتاج للاثنين معا(١٧) .

وتمثل الرسـالة العاشرة محور الكتاب الأول من الرسـائل ، حيث يسبقها تسع رسائل ويليها تسع رسائل أخرى (١١-١٩) ، هذا إذا ما استثنينا الرسالة الختامية . ففى هذه الرسالة قام هوراتيوس بإعادة موجزة لبعض الأفكار التى سبق أن تناولها فى الرسائل السابقة. وبالرغم من أن هوراتيوس كان يهدف إلى تفضيل الإقامة بالريف على الإقامة فى المدينة بالرسالة العاشرة ، إلا أن السعادة هى جوهر الرسالة الحقيقى ، وهى لا تعتمد بحال من الأحوال على المكان الذى يعيش فيه الإنسان ، وهذا هو الدرس الأخلاقى الذى يريد أن يلقنه الشاعر للقُرَّاء فى الرسالة الحادية عشرة(١٨)

نحن ، محبى الريف نبعث بتحياتنا إلى فوسكوس المحب للمدينة
ألا فلتكن واثقًا أننا مختلفان جد الاختلاف فى هذه النقطة وحدها ،
وإن كنا فى أشياء أخرى مثل التوأمين تقريبًا ،
ذوى مشاعر شقيقة (إذا قال أحدنا على شىء : "لا" ، قال الآخر : "لا")،
ثم إننا نتفق معًا ونوافق على أى شىء مثل حمامتين متآلفتين ناضجتين فى العمر.
تعتنى أنت بالعش وتحميه ، بينما أمتدح أنا
جداول الريف البهيج وصخوره المكسوة بالطحالب وبساتينه. هل تسأل عن السبب؟
السبب هو أننى أعيش وأحظى باليد العليا ، بمجرد أن تركت تلك الأشياء ،
التى ترفعونها ، أنتم ( ياسكان المدينة)، إلى عنان السماء بتقريظ واستحسان ،
وإننى مثل عبد آبق لكاهن تعاف نفسى الكعك[19] ،
فأنا الآن أحتاج إلى الخبز ، لأنه أفضل (عندى) من الكعك المحلى بالعسل،
إن كان ينبغى علينا أن نعيش وفقًا للطبيعة[20] ،
وإن كان هناك من البداية قطعة أرض يجب البحث عنها لبناء منزل (فوقها)،
فهل تعلم مكانًا أفضل من الريف جلبًا للبهجة والسعادة ؟
وهل هناك مكان يكون الشتاء فيه أكثر دفئًا ، والنسيم أكثر لطفًا،
بحيث يهدئ من ثورة برج الكلب وبرج الأسد فى فترة بزوغهما وتأثيرهما ،
خاصة عندما يتلقى (الأخير) ذات مرة وابلاً من سهام الشمس المستعرة فيستبد به الجنون؟[21]
وهل هناك مكان يقلق فيه الهم الحسود نومنا بدرجة أقل ؟
وهل الأعشاب العطرية أقل أريجًا أو بريقًا من الفسيفساء الليبية؟[22]

وأى المياه أكثر نقاءً ؟ هل هى تلك التى تتقاتل وتكاد أن تحطم
الأنابيب (التى تحملها) فى طرقات (روما) ،
أم هى تلك التى تندفع هادرة إلى أسفل عبر جدول منحدر بصخب وضجيج ؟
مما لا شك فيه أن هناك أشجاراً تزرع وتربى بين الأعمدة المزركشة (فى المدينة) ،
وأن المنزل الذى يشرف على البساتين (الخضراء) الممتدة ينال الاستحسان والمديح ،
فربما (تسول لك نفسك)أن تبعد الطبيعة عنك بالمذارة، غير أنها ستهرع عائدة إليك مرة أخرى،
وسوف تحطم خلسة وهى ظافرة منتصرة غرورك الأجوف .
إن ذلك الذى لا يعرف - رغم حذقه وبراعته - كيف يميز
بين الصوف المصبوغ بصبغة أكوينوم الأرجوانية ،
وبين الصباغة الفينيقية (الأصيلة)[٢٣] ،
فلن يمنى بخسارة محققة أشد أو أفدح على نفسه
من ذلك الرجل الذى لا يستطيع تمييز الزائف من الحقيقى ،
ذلك أن من أبهجه حظه السعيد أكثر من الحد، فسوف تقلب له تقلبات القدر ظهر المحن.
فإن كنت معجبًا بنعمة من النعم ، فسوف تتركها مرغمًا ،
تجنب (إذن التطلع إلى) الأشياء العظيمة :
فمن حقك وأنت تحت سقف منزل فقير ،أن تبز فى حياتك الملوك وأصدقاء الملوك.
اعتاد الوعل ، وهو الأفضل فى القتال ،
أن يطرد الفرس من المراعى المشتركة بينهما ، (وظل الحال على هذا المنوال)،
إلى أن التمس المهزوم فى نزاعه الطويل معونة الانسان ورضى باللجام ،
لكن بعد أن رحل المنتصر الباغى بعيداً عن خصمه ،

لم (يستطع الفرس أن) يسقط الفارس (الجاثم على ) ظهره ، أو أن يلفظ من فمه اللجام.
وهكذا فإن من يخشى الفقر،يفقد حريته التى هى أفضل (بالنسبة له من كل) الكنوز،
وسيتخذ هذا الشخص الجشع (المال) سيداً له، وسيصبح هو خادماً له إلى الأبد،
لأنه سيصبح عاجزاً عن العيش على القليل.
إن الحظ غير المواتى للمرء ، مثله كمثل الحذاء فى بعض الأحيان ،
إذا كان أكبر من القدم ، فسيتعثر (صاحبه) ،
أما إذا كان أصغر منها، فسيلهب (القدم)
(فإن كنت) سعيداً بحظك يا أرستيوس، فإنك ستعيش حياة تتسم بالحكمة،
ولن تدعنى أنصرف دون تثريب علىّ ، عندما أبدو أننى أكنز أكثر مما أنا بحاجة إليه،
ثم لا أتوقف عن (اقتراف) مثل هذا المسلك.
إن ما يُكنز من مال بالنسبة لكل إنسان هو:
إما أن يكون سيداً عليه أم عبداً لديه ،
وخليق (بهذا المال) أن يكون كالحبل المجدول،
الذى يسير خلفك وينقاد لك أكثر مما يمسك هو بزمامك ويقودك.
لقد كنت أسطر إليك هذه الكلمات من خلف معبد ڤاكونا [٢٤] المتهدم،
وإننى لسعيد فى كل الأحوال ، باستثناء أنك لم تكن معى.

# الهوامش

(١) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 71 f.

(٢) R. Mayer, op. cit., p. 188.

(٣) ibid., p. 181.

(٤) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 72.

(٥) M.J. McGann, op. cit., p.58.

(٦) يعتقد الرواقيون أنه على الإنسان أن يعيش فى انسجام وتناغم مع الطبيعة ، ولكن هوراتيوس انحرف عن المعنى الأصلى لهذا المبدأ وأضفى عليه معنى جديداً .

(٧) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 73.

(٨) cf. Ep., i,1,11. quid verum atque decens.

(٩) M.J. McGann, op. cit., p. 59.

(١٠) نجد القصة ذاتها عند فايدروس (Phaed., 4, 4) ، ولكنه استخدم الخنزير البرى بدلاً من الوعل .

(١١) نعرف قصة ستسيخوروس من كتاب الريتوريقا لأرسطو Arist., Rhet., 1393b8-22.

(١٢) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 74f.

(١٣) cf. Ep., i, 1, 11. quid verum atque decens.

(١٤) M.J. McGann, op. cit., p. 59.

(١٥) Williams G.,The Nature of Roman Poetry, London (1970), p.133.

(١٦) M.J. McGann, op. cit., p. 60.

(١٧) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 75 f.

(١٨) M.J. McGann, op. cit., p. 60.

(١٩) يعيش العبد فى منزل الكاهن على الكعك الذى يُقدم كقربان ، ولذا كان يزهد فى ذلك الطعام ، فيفر من منزل الكاهن ليحصل على أنواع أخرى من الطعام الفاخر .

(٢٠) من المبادئ التى اعتنقها الرواقيون وطبقوها فى حياتهم أن تعيش وفقًا للطبيعة.

(٢١) يرتفع نجم الكلب فى السماء فى العشرين من يوليو ويصير مرئيًا فى السادس والعشرين منه ، وتدخل الشمس برج الأسد فى الثالث والعشرين من يوليو ، والبرج هنا يُقارن بأسد يُثار إلى حد الغضب الجنونى ، عندما يُجرح بالسهام .

(٢٢) اعتاد الرومان رصف القصور ومنازل الأثرياء بأحجار وحصى الفسيفساء باهظة الثمن .

(٢٣) عثر الرومان في أكوينوم على عادة تستخلص منها صبغة تشبه الصبغة الفينيقية الشهيرة .

(٢٤) ڤاكونا Vacuna هي ربة سابينية مساوية للربة ڤيكتوريا Victoria عند الرومان، وقد كان لها معبد قديم بالقرب من منزل هوراتيوس ، وضريح آخر في روما. اشتق الرومان اسمها من الصفة vacuus (خاوٍ)، وكان الزراع يقدمون إليها الأضحيات عند الانتهاء من أعمالهم ، وبالأحرى في أوقات فراغهم واسترخائهم (cf. Ov.Fast., vacui vi, 307) . وتأتي إشارة هوراتيوس للربة ڤاكونا بمناسبة دعوته لصديقه فوسكوس بأن يترك المدينة ويذهب للاسترخاء في الريف .

# الرسالة الحادية عشرة

وجه هوراتيوس الرسالة الحادية عشرة إلى شخص يُدعى بوللاتيوس ، ونحن لا نعرف شخصية بوللاتيوس هنا على وجه الدقة . وقد لا يكون شخصية حقيقية . وبالتالي فإن الرسالة ربما تتعامل مع موقف من نسج خيال الشاعر ، لكنه على أية حال موقف أخلاقي يلائم شاعراً محباً للفلسفة ، ويلائم أيضاً الطبيعة الأخلاقية للكتاب الأول من الرسائل .

يرجح ر. ماير أن بوللاتيوس ربما كان مرافقاً **comes** لتيبريوس فى رحلاته، وقد اعتاد الرومان من رجال الأعمال الترحال لإنجاز صفقاتهم ، فالسفر بالنسبة لهم مسألة روتينية ، والسياحة تمثل لهم الراحة من عناء العمل[1] .

ويعتقد ر.س. كيلباتريك أن بوللاتيوس كان من أنصار الحزب الجمهورى وقد عوقب بعد الهزيمة فى معركة فيليبى بالنفى والاغتراب عن إيطاليا ، وكان هوراتيوس يطلب له السماح من أوغسطس بالعودة إلى إيطاليا ، ولعل السطور التالية تشير إلى فترة اليأس ، وهى الفترة ما بين معركة فيليبى والعفو العام الذى منحه أوغسطس لأنصار الحزب الجمهورى :

> **« أتدرى ما هى منطقة ليبيذوس : إنها قرية مهجورة أكثر**
> **من جابيى وفيدناى ؛ وعلى أية حال فإننى أتمنى الإقامة**
> **هناك ، ناسياً أصدقائى ومنسياً منهم ؛ ( كما أتمنى ) أن**
> **أرقب البحر وهو ثائر من بعيد » (٧-١٠)**

ففى هذه الفترة رأى هوراتيوس عالمه وقد انهار فدفعته انفعالاته إلى حل إبيقورى وهو العزلة ، فقد عانى هوراتيوس من الظنون نفسها والمخاوف التى يبدو أنها تؤرق بوللاتيوس[٢] .

وجدير بالذكر أن هوراتيوس كان قد صاغ من قبل قصيدة غنائية حول الفكرة نفسها أى عودة المبعدين السياسيين . ويرحب هوراتيوس فى هذه القصيدة بعودة بومبيوس ڤاروس Pompeius Varus إلى وطنه ، بعد أن نُفى منه بعد هزيمة الجمهوريين الذين حارب معهم . وفى بداية القصيدة يسأله هوراتيوس :

« من ذا الذى أعادك كمواطن رومانى
لآلهة وطنك ولسماء إيطاليا »

quis te redonavit Quiritem

dis patriis Italoque caelo.

(Od., ii, 7, 3-4)

ويجيب على هذا السؤال بأن الفضل فى عودته ينسب إلى چوبيتر ( أى أوغسطس):

« لذلك أعط لچوبيتر المأدبة التى نذرتها »

ergo obligatam redde Iovi dapem, (18)

وعلى نحو مشابه فإن عودة بوللاتيوس إلى إيطاليا ستكون منة من الرب :

« أما أنت ، فأيا كانت الساعة التى يمنحها الرب لك ، فإن لك أن
تأخذها بيد شاكرة ............ »

tu quamcumque deus tibi fortunaverit horam

grata sume manu, .... ( 22-23)

وجدير بالذكر أن المقصود بچوبيتر Juppiter وبالرب deus فى القصيدتين هو أوكتاڤيانوس الذى يهب العفو للمنفيين . وعلى ذلك فإن كلتا القصيدتين يتعامل مع موقف متشابه وهو عودة رجل من الحزب الجمهورى من منفاه إلى أرض الوطن[٢] .

ولقد استهل هوراتيوس الرسالة بسلسلة من الأسئلة عن رأى بوللاتيوس فى ثلاث جزر واقعة على بحر إيجه ( خيوس ، ليسبوس ، ساموس) ، وعن ثلاث مدن بآسيا الصغرى ( سارديس ، أزمير ، كولوفون ) ، ويتوقع هوراتيوس أن لا يمتدح بوللاتيوس هذه الأماكن عند مقارنتها بروما التى تتميز بساحة مارس ونهر التيبر(١-٤).

ثم يعود ليسأله هل يفضل إحدى مدن برجامون[٤] أم ليبيدوس النائية ذات الطرق غير الممهدة والبحر الثائر[٥] ، فلعل بوللاتيوس قد ضاق ذرعًا من كثرة الترحال بالبر والبحر ، ويتمنى الإقامة فى ليبيدوس كمرفأ للراحة والاستجمام من عناء السفر رغم ثورة بحرها ورداءة طرقها .

وبطريقة ليس لها مثيل فى كل الرسائل يضع هوراتيوس الإجابة على لسان المرسل إليه بوللاتيوس[٦] (٧-١٠) .

ويبدو أن هوراتيوس قد زار كل هذه الأماكن أثناء خدمته العسكرية فى جيش بروتوس . على أية حال ، فإن هوراتيوس يختلف مع صديقه بوللاتيوس فى الإقامة بليبيدوس أو أى من المناطق النائية كوسيلة لنسيان الهموم . فهو يرى أن ذلك يمثل حلاً مؤقتًا مثلما يلجأ المسافر للإقامة فى حانة بعد أن تلوث بالمطر والأوحال (١١-١٢)، ومثلما يلجأ المصاب بالبرد إلى المواقد والحمامات (١٣-١٤) . ثم يوسع هوراتيوس من مجال هذه الإجابة حيث إنه لا يرفض ليبيدوس فقط ، بل كل الجزر التى تقع على بحر إيجه (١٥-١٦)[٧] :

يطور هوراتيوس من مناقشته بعقد أربع مقارنات :

**« فبالنسبة إلى الرجل السوى ، فإن رودوس وميتيلينى الساحرة أشبه ما تكونان بارتداء العباءة الثقيلة فى أوار الصيف،**

**أو (ارتداء) ملابس رياضة المصارعة فى صقيع الشتاء وثلوجه ،**

**أو مثل (ارتياد) نهر التيبر فى الشتاء، (وأن تصطلى) بالمدفأة فى شهر أغسطس» .**
**(١٧-١٩)**

فكل عنصر من العناصر السابقة يعتبر مناسبًا في حينه وليس طوال العام ، وينطبق الأمر نفسه على رودوس وميتيليني ، فهما من الأماكن الساحرة إلا أنهما لا يصلحان للإقامة الدائمة ، فهما يسببان إزعاجًا للرجل العاقل incolumis . ولا يعد الشرق وحده هو محور نقد هوراتيوس ، بل إنه ينتقد الرومان الذين يرحلون إلى هناك تاركين وطنهم :

« فحينما تكون في روما ، فدع الثناء ينهال على ساموس
وخيوس ورودوس البعيدة » (٢١)

فالحق أنه لا ينبغي أن نبخس من قدر الأماكن الأجنبية ، ولكن بقدر الإمكان فإننا نكون منصفين تجاه هذه الأماكن ونحن في وطننا ، أي في إيطاليا.

ويوجه هوراتيوس بوللاتيوس ( مثل تيبوللوس) إلى اغتنام وقته ولحظات عمره التي يعيشها بغض النظر عن المكان الذي يقيم فيه :

« ولا ترجئ المتع للعام المقبل ،
فأيا كان المكان الذي ستقيم فيه ،
فعسى أن تقول إنك عشت فيه عيشًا رغدًا » (٢٣-٢٥)

ويتبع هوراتيوس هذه الفقرة بقضية عامة :

« ... فلو كان العقل والحكمة هما اللذان يزيلان عنا الهموم ،
وليس الموقع المشرف على البحر الفسيح الممتد ، لكان خليقًا بمن
يهرعون صوب البحر أن يغيروا المناخ وليس العقل » . (٢٥-٢٧)

يزكي هوراتيوس هنا العقل ratio والحكمة prudentia كوسائل للتخلص من الهموم curae. ومن قبل تحدث هوراتيوس في إحدى أغانيه عن عدم جدوى الهروب من الهموم(٨) :

« ولكن الخوف والتهديدات ،
يصعدان إلى ذات المكان الذى يتواجد به السيد ،
ولا يبرح الهم الأسود السفن البرونزية ذات المجاديف الثلاثة،
بل يجلس خلف الفارس »

**sed Timor et Minae**

**scandunt eodem quo dominus, neque**

**decedit aerata triremi et**

**post equitem sedet atra cura**

**(Od., iii, 1, 37-40)**

فالعقل والحكمة وليس الترحال هما اللذان يزيلان الهموم ، فبولاتيوس بمقدوره أن يحقق السعادة فى إيطاليا حتى لو أقام فى مكان قفر مثل أولوبراى إن لم ينقصه العقل الراجح :

« إن ما تنشده موجود هنا في أولوبراى ،
لو لم يكن ينقصك العقل الراجح » . (٢٩-٣٠)

يزكي هوراتيوس هنا روما كما يزكي وبالقدر نفسه أولوبراى ، فليس فى ذهنه أن يقوم بعقد مقارنة بين خصائص الريف والمدينة . فالمكان ليس ذا أهمية والترحال بالتالى ليس بذى جدوى، فعلى الرومانى البحث عن السعادة فى أى مكان بإيطاليا[٩] .

وهكذا فإن الرسالة تسير على النحو التالى : لم يرغب هوراتيوس أن يضع يد القارئ على الفكرة الأساسية من البداية ، بل بدأ باستعراض عام لبعض المناطق الساحرة والشهيرة خارج إيطاليا . ثم زكى ليبيدوس، إحدى المناطق النائية على ساحل آسيا الصغرى ، كمكان يساعد المرء على نسيان همومه فيه . ولكنه سرعان ما غيّر رأيه وأعلن أن هذا حلاً مؤقتًا ، فبالنسبة للمسافر بالبر الذى لوثته الأوحال فإن الحانة

تعد ساحرة (١١-١٢) ، أما الرجل الذى يرتجف برداً فيجد الحمامات مكاناً مبهجاً ، ولكن الحانة والحمامات لا يصلحان كمحل إقامة دائم . وعلى نحو مشابه فإن الملاح الذى يبتهج لرؤية شواطئ آسيا بعد أن أطاحت به عاصفة عاتية ، لن يبيع قاربه ولن ييأس من العودة إلى وطنه . وتأتى نصيحة هوراتيوس لصديقه المنفى بالتحلى بالحكمة والعقل الراجح . فالخصال العقلية هى التى تجلب الحياة الطيبة **bene vivere** ، فالهموم محلها العقل ، ولا يمكن الفرار منها بالترحال أو بالعزلة . ولا جدوى من المحاولة ، فالإنسان إذا كان مرتاح البال يمكنه أن يعيش حياة سعيدة حتى فى أولوبراى، ولكن الحياة الطيبة وراحة البال بالنسبة لبوللاتيوس تعنى الإقامة فى إيطاليا، وبذلك يمكنه الكف عن الشعور بالاكتئاب والبعد عن الخوف ، حيث سيترك لبيبدوس خلف ظهره ويعود إلى وطنه وأصدقائه[١٠] .

أيا بوللاتيوس ، كيف بدت لك خيوس ، وليسبوس الشهيرة ،
وساموس الساحرة ، وسارديس مملكة كريسوس[١١] ،
وكيف بدت لك أزمير وكولوفون ؟
ترى هل هن أعظم أم أقل من الشهرة ( التى اكتسبنها) ؟
وهل هن على بكرة أبيهن أقل شأنًا وأدنى مكانة مقارنة بساحة مارس ونهر التيبر؟
أم أن واحدة من مدن أتاللوس لاقت هوى فى نفسك ؟[١٢]
أم أنك تطرى ليبيدوس بسبب كراهيتك لبحرها وطرقاتها ؟
أتدرى حقا ما هى ليبيدوس؟
إنها منطقة مهجورة أكثر من جابيى وفيدناى؛
ورغم ذلك ، فإنى تمنيت الإقامة هناك ، ناسيا أصدقائى ومنسيًا منهم.
أرقب البحر من بعد فى ثورته وأنا على اليابسة.
لكن من يسافر من كابوا إلى روما ، بعد أن تلطخ بالمطر والطين،
فلن يستهويه أن يقيم فى حانة صغيرة ،
كما أن من يستبد به البرد (القارس ) لايثنى على المواقد والحمامات
التى من شأنها أن تمنحه حياة بالغة السعادة ؛
وحتى إذا عصفت بك ريح الجنوب العاتية وأنت فى عرض البحر ،
فلن تبيع لهذا السبب سفينتك الراسية على الجانب الآخر من بحر إيجة .
فبالنسبة إلى الرجل السوى ، فإن رودوس وميتيلينى الساحرة أشبه ما تكونان
بارتداء العباءة الثقيلة فى أوار الصيف،
أو (ارتداء) ملابس رياضة المصارعة فى صقيع الشتاء وثلوجه ،

أو مثل (ارتياد) نهر التيبر فى الشتاء، (وأن تصطلى) بالمدفأة فى شهر أغسطس.
وطالما كان ذلك متاحًا لك ، وطالما طالعك الحظ بوجهه الباسم ،
فحينما تكون فى روما ، دع الشتاء ينهال على ساموس وخيوس ورودوس القاصية .
أما أنت ، فأيا كانت الساعة التى يمنحها لك الرب ، فإن لك أن تتناولها بيد شاكرة ،
ولا ترجئ المتع للعام المقبل ، فأيا كان المكان الذى ستقيم فيه ،
فعسى أن تقول إنك عشت فيه عيشًا رغدًا.
فلو كان العقل والحكمة هما اللذان يزيلان عنا الهموم ،
وليس الموقع المشرف على البحر الفسيح الممتد ، لكان خليقًا بمن
يهرعون صوب البحر أن يغيروا المناخ لا العقول .
إن الكسل المتصل مصدر هلاك لنا : ونحن ننشد الحياة السعيدة
بامتلاك اليخوت والعربات . فلا تنسى أن ما تنشده موجود هنا فى أولوبراى[١٢] ،
لو لم يكن ينقصك العقل الراجح .

# الهوامش

(١) R. Mayer, op. cit., p. 190.

(٢) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 80.

(٣) ibid., p. 81.

نجد نماذج مشابهة لهذه الرسالة فى مراسلات شيشرون ، حيث تشفع شيشرون لدى قيصر عام ٤٩ ق.م. من أجل العفو عن سرقيوس سولبيكيوس وكلوديوس ماركيللوس وإعادتهما إلى روما ، بعد أن حاربا فى معركة فارسالوس فى جانب بومبى (Cic., ad Fam., 4.3; 4.4; 4. 7) .

(٤) M.J. McGann, op. cit., p. 61.

(٥) R. Mayer, op. cit., p. 191f.

(٦) يصعب تحديد معنى الصفة incolumis ، فقد اعتاد الرومان استخدامها للإشارة إلى الشخص صحيح البدن ، أو من تسرى عليه حقوق المواطنة ، ولكن نظراً للمعنى الأخلاقي الذى تلاها فإنها قد تعني «سليم الفكر والعقل».

M.J. McGann, op. cit., p. 61.

(٧) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 78f.

(٨) ibid., p. 76.

(٩) M.J. McGann, op. cit., p. 61.

(١٠) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 82.

(١١) كرويسوس Croesus : هو آخر ملوك ليديا ، اشتهر بالثراء الفاحش ، وقد ورث الملكة عن أبيه وهو فى سن الثالثة والخمسين عام ٥٦٠ق.م.

(١٢) أهم مدن مملكة أتالّوس هى برجامون وأبوللونيا وثياتيرا ، وقد أوصى أتالّوس أن ترث روما مملكته بعد وفاته .

(١٣) أولوبراى Ulubrae : هى مدينة صغيرة بسهل لاتيوم ، وهى مهجورة لأنها تقع وسط مستنقعات مليئة بالضفادع ، وقد وصفها يوفيناليس بأنها خاوية من السكان vacuae (Sat., 10, 101) ، وذكر شيشرون أن الضفادع سببت إزعاجاً شديداً مما دعا الناس إلى هجرها (Ad. Fam., vii, 81) .

# الرسالة الثانية عشرة

بعث هوراتيوس الرسالة الثانية عشرة إلى إكيوس Iccius المشرف procurator على ضياع أجريبا[1] فى صقلية ، وقد كان هوراتيوس قد وجه إليه منذ سنوات إحدى القصائد الغنائية ، ومنها نستشف بعض جوانب شخصيته التى تتسم بالتقلب حيث يسخر منه هوراتيوس لعدم مواصلته دراسة الفلسفة . فبعد أن جمع مكتبة عن الفلسفة الرواقية قام بالتخلص من الكتب من أجل الالتحاق بحملة أيليوس جاللوس ضد ملوك بلاد العرب السعيدة Arabia Felix ، والسعى وراء الحصول على ثروات هذه البلاد :

« من ذا الذى بوسعه أن ينكر أن مجارى الأنهار المنحدرة
سوف تقوم بالارتداد إلى الإتجاه العكسى نحو الجبال ، وأن نهر التيبر
سوف يرتد كذلك إلى منبعه ، عندما تقدم وأنت النبيل الواعد بأشياء
أفضل على استبدال الدروع الأسبانية بكتب بنايتيوس الشهيرة
التى تُشترى فى كل مكان ، وكذا بمدرسة سقراط؟ »

....... qui neget arduis
pronos relabi posse rivos montibus et Tiberim reverti,
cum tu coemptos undique nobilis
libros Panaeti Socraticam et domum
mutare loricis Hiberis
pollicitus meliora tendis? (Od., i, 29, 10-16)

ويبدو أن إكيوس لم يتغير كثيراً منذ ذلك الحين فهو لا يزال شخصية متقلبة[٢] ، ولذلك فإن هوراتيوس يحتضنه ويخصه فى الرسالة الثانية عشرة بنصائح عملية .

ويبدو من بداية الرسالة أن أجريبا يمتلك ضيعة بصقلية وأن إكيوس يشرف عليها، وأن له حق استغلالها وجمع محصولها ، ولعله قد استأجرها منه . على أية حال ، فإن إكيوس يشعر بعدم الرضا لحاله ، مثل لوكيليوس صديق سنيكا[٣] .

ويظهر هوراتيوس الرسالة على أنها رد على رسالة سابقة من إكيوس مفعمة بالشكوى **querellae**:

« يا إكيوس ، إن كنت تتمتع كما يجب بالمحاصيل الصقلية ،

التى تجمعها من أجل أجريبا ، فليس من الممكن

أن يمنحك چوبيتر مزيداً من النماء . كف إذن عن الشكوى :

لأنه لا يعد فقيراً من تتاح له (فرصة) التمتع بمثل هذه الخيرات »

**Fructibus Agrippae Siculis, quos colligis, Icci,**

**si recte frueris, non est ut copia maior**

**ab Iove donari possit tibi. tolle querellas:**

**pauper enim non est, cui rerum suppetit usus. (1-4)**

تشير كلمة **fructibus** إلى جميع الثمار وخصوصاً الغلال ، حيث إن صقلية كانت تمثل سلة الغلال التى تمد روما بحاجتها ( وذلك إلى أن حلت مصر محلها) . ولذلك فإنه من المفترض أن إكيوس يعيش فى وفرة من الخيرات ، ويؤكد الشاعر على هذه الصورة فى السطور الختامية للرسالة التي يتحدث فيها بشكل عام عن النعيم الذى يعيش فيه كل الرومان فى عهد أوغسطس[٤] .

ويلعب هوراتيوس دور الصديق المخلص الذى يوجّه أصدقاءه ويسدى إليهم النصح بهدف حل مشكلاتهم ، وذلك من خلال كلمات تتسم بالصراحة التامة ، وبالطبع يمكن

علاج المشكلات باتباع فلسفة الأخلاق ، وهذا ما يمهد إليه في السطور التالية على الاستهلال :

« إن كانت معدتك ورئتاك وقدماك على ما يرام ،

فإن ثروة الملوك لن يمكنها أن تضيف إليك شيئًا أعظم »

**si ventri bene, si lateri est pedibusque tuis, nil**

**divitiae poterunt regales addere maius. (5-6)**

إن الحالة الصحية الجيدة شرط أساسى لبلوغ السعادة ، وهذه المقولة تذكرنا بما قاله فى الرسالة الثانية (٤٧-٥٠) .

ولعل الشاعر قد استعار هذه الفكرة من إحدى شذرات سولون[٥] . حيث نجد تركيزًا على ندرة الجمع بين الصحة الجيدة والثروة ، وهى الفكرة التى أكد عليها مترودوروس **Metrodorus** الإبيقورى[٦] .

وتشير كلمة « ثروة الملوك **divitiae regales** » إلى رغبته فى امتلاك ضيعة كضيعة أجريبا التى يعمل فيها وامتلاك ثروة طائلة ، ولكن الثراء وحده – فى نظر هوراتيوس – لا يجلب الحياة السعيدة ، ويؤكد هوراتيوس على هذا المعنى فى الفقرة التالية :

« إن تصادف وكنت معتدلاً وأنت فى وفرة من الخيرات ،

وقمت بالعيش على الأعشاب والمحار ، فهكذا ستعيش دومًا ،

حتى لو أن نهر القدر الفياض أغناك بسرعة ،

وذلك إما لأن المال لا يمكنه أن يغير طبيعتك ،

أو لأنك تعتقد أن كل الأشياء مجتمعة تعد أقل قيمة من الفضيلة وحدها . »

**si forte in medio positorum abstemius herbis**

**vivis et urtica, sic vives protinus, ut te**

**confestim liquidus Fortunae rivus inauret,**

**vel quia naturam mutare pecunia nescit,**

**vel quia cuncta putas una virtute minora. (7-11)**

وجدير بالذكر هنا أن هوراتيوس استهل ثلاثة أبيات بتكرار حرف الشرط si (٢، ٥، ٧) وفى كل مرة كانت تضفى المغزى الأخلاقى على العبارة التى يسوقها :

١ – التمتع بالأشياء كما ينبغى — si recte frueris, ... (2)

٢ – الصحة الجيدة — si ... bene ... est ... (5)

٣ – القدرة على العيش باعتدال . — si ... abstemius ... vivis ... (7)

وهذه العناصر قد تمناها لنفسه من قبل ، عند تضرعه لأبوللو وذلك لأنها تجلب السعادة(٧) :

« ... فهم يطعموننى الزيتون
والسريس والخبازى المفيدة صحيًا .
لذا فإنى أتوسل إليك ، يابن لاتو،
أن أستمتع بما قُدر لى من الصحة
والعقل الراجح ، وألا أمضى (مابقى لى من العمر)
فى شيخوخة مزرية محرومة (من نغمات) القيثارة ».

... me pascunt olivae
me cichorea levesque malvae.
frui paratis et valide mihi,
Latoe, dones et , precor integra
cum mente nec turpem senectam
degere nec cithara carentem (Od., i, 31, 15-20)

وهكذا حدد هوراتيوس العناصر التى تجعل – حسب اعتقاده – المرء سعيداً ، وهى يمكن بلوغها بالفطرة السليمة (١٠) natura ، أو من خلال دراسة الفلسفة الأخلاقية (١١) una virtute . ويدعم إشارة هوراتيوس إلى اهتمام إكيوس بالفلسفة

وخاصة الرواقية ، ما جاء في قصيدته الغنائية بأن إكيوس قارئ لمؤلفات الفيلسوف الرواقي بنايتيوس[٨] .

ولعل الإشارة إلى فلسفة الأخلاق ، واحتياج إكيوس لها بالطبع ، تعد تمهيداً لموضوع آخر ، وهو اهتمام إكيوس في الوقت الحاضر بالفلسفة الطبيعية وكأنه فيلسوف طبيعي مثل ديموكريتوس :

«وإننا لنتعجب من أن قطعان(أغنام) ديموكريتوس تتغذى على مروجه، وحقول قمحه،

بينما عقله الوقاد يحلق بعيداً بدون جسده ،

وفي حين أنك ، بين اللهفة الشديدة والرغبة في الكسب ،

لا تستمرئ أي شيء تافه وتداوم على اهتمامك دون تقاعس بالمواضيع السامية، مثل :

ما هي الأسباب التي تكبح جماح البحر ، ومن ذا الذي يتحكم في (مرور) السنة؟

وهل تسير النجوم في أفلاكها وتجوب ( الفضاء ) بمحض إرادتها ، أم أنها مقهورة على ذلك؟[٩]

وما الذي يلقي الظلال على قرص القمر ؟ وما الذي يجعله منيراً؟

وما الذي يرمي إليه الصراع بين الموجودات، وما الذي يمكن للوفاق بينها أن يحققه؟

وما إذا كان إمبدوكليس هو الذي يستسلم للهذيان والجنون، أم سترتينيوس ، حاد الذكاء؟» (١٢-٢٠)

ويظهر هوراتيوس في هذا الجزء أن إخلاص إكيوس لدراسة الطبيعة في خضم عالم من الأعباء والأشغال قد فاق عدم اكتراث ديموكريتوس بأملاكه من أجل التأمل العلمي. ويعتبر ديموكريتوس هنا ممثلاً للفلاسفة المهتمين بالبحث في طبيعة الأشياء . وعلى الرغم من أن هوراتيوس قد مدح اهتمام إكيوس بدراسة الطبيعة مع الحفاظ على الاهتمام بعمله في إدارة ضياع أجريبا ، إلا أن مديحه لم يخلُ من التهكم . وذلك لأن إكيوس اكتفى بفرع واحد فقط من فروع الفلسفة وهو الفلسفة الطبيعية ، وأغفل فلسفة الأخلاق

التى يمكنها أن تخلصه من حالة عدم الرضا التى تسيطر عليه[١٠] . ولعل الإشارة إلى إمبدوكليس ، ذلك الفيلسوف الشاعر المجنون الذى قفز داخل فوهة بركان إتنا ليظفر بالنعيم، تعيدنا إلى صقلية – مسقط رأسه – وتعيد إلى أذهاننا فشل إكيوس[١١] .

إن نغمة إشارات هوراتيوس إلى تأملات إكيوس فى الطبيعة يمكن استيعابها أكثر من خلال بعض الملاحظات الشيشرونية ، فنحن جميعًا مأخوذون بالرغبة فى المعرفة، وهو ما يؤكده شيشرون . فالتفوق فى هذا المجال هو الجمال **pulchrum** ، والإهمال فيه يعني «الشر والقبح **malum et turpe**[١٢] ». وشيشرون يحذر من خطأين جسيمين : الأول هو فرط الثقة والحكم الأرعن ، والثانى هو إضاعة الوقت فى عمل لا ينفع[١٣] . ويبدو أن إكيوس من وجهة نظر هوراتيوس يهمل فرص «العيش فى حياة قويمة وسعيدة **ad bene beateque vivendum**» .

ومع هذا النقد المهذب ينتقل هوراتيوس بحصافة لإسداء نصحه ، وقد عمل هوراتيوس هنا على ترسيخ الموضوع الأساسى لكتاب الرسائل ، وهو «الصداقة » ، فهى العلاج الناجع لكل ما يؤرق إكيوس :

« على أية حال ، إذا ما كنت تذبح الأسماك أو الكراث والبصل،
فلتوطد علاقتك بپومپيوس جروسفوس ،
وإذا ما طلب منك شيئًا ما فامنحه إياه عن طيب خاطر ،
فجروسفوس لن يسألك صنيعًا إلا إذا كان عادلاً ومنصفًا .
فإن أسعار سوق الأصدقاء تكون رخيصة ، عندما تستبد الفاقة بالأخيار.»
(٢١-٢٤)

يأتى ذكر الكراث والبصل كصدى للإشارة السابقة للخضروات والمحار (٧-٨)، والهدف من كل هذه الإشارات المازحة هو أن الفلسفة الطبيعية ، التى يعكف إكيوس على دراستها فى الوقت الراهن ، ليس بمقدورها أن تطرد الهموم **curae** التى تكمن وراء شكواه **querellae** (4)، بل إنها قد تزيد من هموم المرء[١٤] . فإذا افترضنا أن آراء

فيثاغورث وإمبدوكليس كانت صائبة ، حيث حرما تناول الأسماك وبعض أنواع الخضروات ، فإن تناول هذه الأصناف يعد دربًا من دروب القتل العمد(١٥) .

ومما سبق نستخلص أن هوراتيوس أسدى نصيحة لصديقه بالاستمتاع كماينبغى recte frui (2) بما لديه من نعم تغمر ضياع أجريبا فى صقلية . ثم يسخر بعد ذلك من اهتمام صديقه بالفلسفة الطبيعية ثم يقترح عليه مصادقة بومبيوس جروسفوس utere Pompeio Grospho ، ذلك الثرى الصقلى مالك الأراضى الزراعية الذى وجه إليه هوراتيوس إحدى غنائياته(١٦) .

وهناك توازن مقصود بين العلاقة الصحيحة للإنسان بالكون ، وبين علاقة الإنسان بالبشر (أى الصداقة) ، وقد أشار إلى ذلك فى البيت الرابع والعشرين .

ولعل هذا البيت يُعد محاكاةً لإحدى فقرات اكسينوفون عن أهمية دور الصداقة فى تلبية احتياجات الأصدقاء(١٧) . ويؤكد تأثر هوراتيوس بآراء اكسينوفون إشارته – فى معرض حديثه لإكيوس – إلى «المدرسة السقراطية Socratica domus»(١٨) . على أية حال، فإننا لا ندرى بالضبط ما هى متطلبات جروسفوس التى أشار إليها هوراتيوس ، ولكنه حسب وصف هوراتيوس رجل ثرى معتدل . وهو لا يسأل أصدقاءه إلا ماهو حق verum وعادل aequum ، فهو يدرك تمامًا ماهية الصداقة . فما يحتاجه جروسفوس حقًا هو الصديق الذى يشاركه اهتماماته نفسها ، وهكذا فإن هوراتيوس يصل إلى هدفه الرئيسى فى الفقرة (٢١–٢٤)(١٩) .

فى مؤلف شيشرون «عن الصداقة » ، قام لايليوس بمدح الصداقة وذلك بتعريفها بأنها الاهتمام الرئيسى للبشر ، فهى الأكثر ملائمة لطبيعة البشر ، وهى الأكثر ملائمة أيضًا فى التعامل مع أحداث الحياة سواء فى حالة النجاح ، أو فى حالة الفشل :

> nihil est enim tam naturae aptum, tam conveniens ad res vel secundas vel adversas. (5. 17)

ولا تنشأ الصداقة إلا بين الصالحين (nisi in bonis, 18) من أصحاب الفضيلة، فالصداقة هى أفضل هبات الآلهة للبشر بعد الحكمة sapientia (٢٠) ، وأفضل ثمار الصداقة نجنيها عندما يشارك المرء صديقه أفراحه وأتراحه (٢٢) .

ثم يذكر شيشرون بعد ذلك أن الأصدقاء الحقيقيين سيسعدون بحسن المعاملة والعدل aequitate iustitiaque (٨٢) ، وعندئذ سينشد الصديق وسيحصل من صديقه فقط على ما هو نبيل وصائب honestum et rectum . ولعل مقولة شيشرون هذه كانت وراء إشارة هوراتيوس إلى أن جروسفوس لن يطلب من إكيوس إلا ماهو مقبول وعادل (٢٢-٢٣) .

وهذا هو نفس ما قاله لايليوس من قبل :

« وعلى ذلك فإن هذا هو أول قانون للصداقة يتم سنه وإقراره ،

وهو أن نطلب من أصدقائنا (كل) ما هوشريف »

**haec igitur prima lex amicitiae sanciatur, ut ab amicis**

**honesta petamus,**

وهذا يدفعنا للقول أن اكسينوفون وشيشرون كانا فى ذهن هوراتيوس عند كتابته لرأيه عن الصداقة هنا[٢٠] .

ثم تأتى الخاتمة فى السطور ٢٥-٢٩ ، فى إطار رسمى وفى أسلوب رصين، وتناولت انتصارات الجيوش الرومانية وكيف خر البرابرة جاثمين أمام الإمبراطور أوغسطس .ولقد احتفى مجلس الشيوخ الرومانى بهذه الأحداث عام ١٩ ق.م. بإصدار قرار بإقامة قوس نصر . إن عودة السلام والاستقرار لإيطاليا هو السبب الرئيسى للشعور العميق بالراحة النفسية والسعادة التى تعم ربوع الوطن . فلقد خلص أوغسطس الوطن من جميع التهديدات ، وكان ذلك على حساب تضحيته بذاته، ففى خريف عام ٢٢ق.م. ذهب أوغسطس إلى صقلية تاركًا ماركوس لولليوس القنصل فى روما ، ولأنه لم ينعم بالراحة هناك فقد استدعى أجريبا ليحافظ له على الأمن وجعله صهراً له بأن زوجه من ابنته. وفى عام ٢٠ ق.م. ذهب إلى بلاد الغال وأسبانيا حيث استطاع إخماد الثورة المشتعلة بها منذ ثمانية أعوام ، كما أن تيبريوس أتم مهامه العسكرية فى آسيا الصغرى بنجاح[٢١] .

وهكذا فإن الرسالة تنتهي بنغمة قومية وشعور بالزهو والراحة ، وذلك من خلال مدح نجاحات أوغسطس الاقتصادية والعسكرية ، وكذلك إنجازات أجريبا ، ابنه بالتبني وزوج ابنته . لقد نُشرت هذه الرسائل في عصر تغمره السعادة القومية ، ويسوده مناخ من التفاؤل . وفي هذه الرسالة يذكرنا هوراتيوس بتلك الأحداث السعيدة من تاريخ الرومان وكأنها حاشية في منتصف الكتاب . وعلى نحو درامي ، فإن هذه الحاشية تأتي في صالح إكيوس ، فهو يشرف على ضياع ابن الإمبراطور بالتبني وزوج ابنته ، والرجل الثاني في الإمبراطورية ، والذي أضاف لتوه نصراً جديداً يضاف لاسمه . ويأتي الحديث عن وفرة المحصول كحاشية أخرى ، فلأن المحصول fructus وفير فإن الشكوى إذن ليس لها ما يبررها ، وليس لها أساس من الصحة[٢٢] .

وتقدم الرسالة الثانية عشر تطوراً لموقف درامي حيث يشعر رجل بعدم الرضا بالرغم من ازدهار أحواله ، ويزداد الأمر تفاقماً لديه بالانطواء ، والنزوع إلى تأملات لا طائل منها . ويرى هوراتيوس أن ما يحتاجه هذا الرجل بحق هو الصديق القريب منه ، الصديق الذي يمكنه احترام مبادئه وفضيلته virtus . لقد انتقل هوراتيوس من المبادئ العامة بخصوص الاستمتاع بما لديه (١-١١) ، والسخرية الرقيقة من الفلسفة الطبيعية (١٢-٢٠) ، إلى موضوعه الرئيسي و هو حاجة المرء للصديق معتمداً في ذلك على ألفة إكيوس باكسينوفون .

وتنتهي القصيدة بإضافة حاشية من خمسة أبيات ، وبتحويل إكيوس من الحديث عن صداقة جروسفوس إلى الزهو الوطني ، وكان أجريبا محور هذا الزهو ومالك المزرعة التي يعمل بها إكيوس ، وسبباً في تعاسة إكيوس وعدم رضاه [٢٣] .

أي إكيوس ، إن كنت تتمتع كما يجب بالمحاصيل الصقلية ،
التي تجمعها من أجل أجريبا ، فليس من الممكن أن
يمنحك چوبيتر نماءً أوفر من هذا النماء .
كف إذن عن الشكوى ، لأنه لا يُعدُ فقيراً من تتح له (فرصة) التمتع
بمثل هذه الخيرات . وإن كانت معدتك ورئتاك وقدماك على ما يرام ،
فإن ثروة الملوك لن يمكنها أن تضيف إليك شيئًا أعظم.
وإن تصادف وكنت قنوعًا رغم أنك في وفرة من الخيرات ،
فعشت على الأعشاب والمحار ، فلسوف تحيا من الآن فصاعداً على هذا النحو ،
حتى لو أغناك نهر القدر الفياض بسرعة ،
وذلك إما لأن المال لا يمكنه أن يغير من طباعك ،
أو لأنك تعتقد أن كل أمور (الدنيا) مجتمعة
أقل قيمة من الفضيلة بمفردها . وإننا لنتعجب من أن قطعان (ماشية)
ديموقريطوس تتغذي على مروجه ، وحقول قمحه بينما عقله المتوقد يحلق
بعيداً عن جسده ؛ رغم أنك ، بين الرغبة الجامحة وحمى الكسب ،
لاتستمرئ أي شيء تافه، وتداوم على اهتمامك دون تقاعس بالمواضيع
السامية، مثل:
ما هي الأسباب التي تكبح جماح البحر ؟ ومن ذا الذي يتحكم في (مرور) السنة؟
وهل تسير النجوم في أفلاكها وتجوب ( الفضاء) بمحض إرادتها ، أم أنها مقهورة على ذلك؟
وما الذي يلقي بالظلال على قرص القمر ؟ ومالذي يجعله منيراً؟

وما الذى يرمى إليه الصراع بين الموجودات، وما الذي يمكن للوفاق بينها أن يحققه؟[٢٤]
وما إذا كان إمبدوكليس هو الذى يستسلم للهذيان والجنون، أم أنه سترتينيوس[٢٥] ،
حاد الذكاء؟»
علىٰ أية حال ، سواء كنت تذبح الأسماك أو تقطع الكراث والبصل،[٢٦]
فلتوطد علاقتك ببومبيوس جروسفوس[٢٧] ، وإذا ما طلب منك شيئًا ما ، فامنحه إياه عن طيب خاطر ،
فجروسفوس لن يسألك صنيعًا إلا إذا كان عادلاً ومنصفًا .
فإن أسعار سوق الأصدقاء تكون رخيصة فى العادة ، عندما تستبد الفاقة بالأخيار .
وعلى أية حال ، لكى لا تظل جاهلاً بما آلت إليه أحوال الرومان ،
(فاعلم أنَّ ) رجلاً من كانتابريا قد هوى أمام شجاعة أجريبا ، وأن رجلا من
أرمينيا قد سقط أمام شجاعة كلاوديوس نيرو،
وأن فرايتس ملك بارثيا ، قد أذعن وهو ذليل راكع على ركبتيه ، لسلطة قيصر وقانونه[٢٨] ؛
إن ربة النماء الذهبية أغدقت خيراتها ونعمها على إيطاليا من قرن الوفرة.

# الهوامش

(١) أجريبا هو حليف أوغسطس وابنه بالتبنى . وللمزيد من المعلومات عن أسرة أجريبا ، انظر :
K.M. Rodez, "Recherches sur la "familia" de M.Agrippa", Athenaeum lx (1982), pp. 84-112.

(٢) M.J. McGann, op. cit., p. 63.

(٣) delectat te ... Sicilia et officium procurationis otiosae. (Sen., NQ, 4 pr.1); R. Mayer, op. cit., p. 196.

(٤) ibid., p. 196.

(٥) Solon, Fr., 24, 1-4 W.

(٦) Cic., de Off., 3.117; R.Mayer, op. cit., pp. 196 f.

(٧) علـى نحـو مشابه اقتطـف شيشـرون المبـدأ الرواقى التالى فى رسـالة وجهها إلى تريباتيوس Trebatius :

« لعل (بالبوس) قال هذا الكلام بطريقة رومانيـة ، ستصير ثريًا إلى حد كبير، أو كما قال الرواقيون بهذه الطريقة ، إن الأثرياء جميعًا هم من بإمكانهم التمتع بالسماء والأرض ، وسأشهد ذلك فيما بعد » .

Id utrum Romano more locutus sit (Balbus), bene nummatum te futurum, aut modo Stoici dicunt, omnes esse divites qui caelo et terra frui possint, postea videbo". (Cic., ad Fam. , vii, 7, 16, 3),

R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 85.

(٨) Hor. Od. 1. 29.14; R.Mayer, op. cit., p. 197.

(٩) يستفسر هـوراتيوس عـن حـركة الأجرام السماوية هل هـى حركة اختيارية ذاتية sponte sua أم إنها مـأمورة iussae . والحق أن كلمة sponte sua ليست إلا صدى لآراء الرواقيين ، التى تتفق مع آراء أرسطو بأن الأجرام السماوية كائنات ربانية تتحرك بمحض إرادتها :

(sidera) ipsa sua sponte suo sensu ac divinitate moveantur; (Cic., ND, 2.42),

R. Mayer, op. cit., p. 199.

(١٠) ibid., p. 198.

(١١) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 86.

(١٢) Cic., de Off., i, 6, 18.

(١٣) alterum est vitium, qoud quidam nimis magnum studium multamque operam in res obscuras et difficiles conferunt easdemque non necessarias. (Cic., de, Off., i, 6,19).

(١٤) يرى M.J. McGann أن اهتمامات إكيوس الفلسفية تكمن فى المزج بين الرواقية والفيثاغورية الجديدة التى قدمها للرومان فى ذلك العصر الفيلسوف سكستيوس Sextius .

M.J. McGann, op. cit., p. 64

(١٥) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 86.

(١٦) Hor. Od. 2.16., M.J.McGann, op. cit., p. 62.

(١٧) Xen. Mem., ii, 10, 4.

(١٨) Hor., Od., i, 29, 14.

(١٩) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 86f.

(٢٠) ibid., p. 88.

(٢١) ibid., p. 87.

(٢٢) ibid., p. 87.

(٢٣) M.J. McGann, op. cit., pp. 62f.

(٢٤) تعتبر هذه إشارة إلى أحد مبادئ فلسفة إمبدوكليس ، وهو أن حياة العالم ترجع إلى صراع دائم بين مبدأين ، هما الحب والشقاق .

(٢٥) سترتينيوس Stertinius : هو فيلسوف رواقى ، وصفه هوراتيوس فى إحدى هجائياته بأنه ثامن الحكماء (Sat., ii, 3, 33, 296) .

(٢٦) يأتى ذكر السمك هنا كإشارة إلى الطعام باهظ الثمن ، وذلك لإبراز التناقض بينه وبين الأطعمة البسيطة رخيصة الثمن. وقد استخدم هوراتيوس الفعل trucidas للسخرية من الفيثاغوريين الذين اتبعهم إمبدوكليس لأنهم نادوا بتناسخ الأرواح ، حيث ادعى إمبدوكليس ذات مرة بأنه هو نفسه كان فى يوم ما سمكة، εıν aλι ελλoπos ıχθυs., fr.ii, Mülf

فإن يأكل الإنسان سمكة ، فإن ذلك يعنى ارتكاب جريمة قتل ، وهذا التحريم الذى ينهى عن أكل الكائنات الحية ، امتد إلى أن وصل للخضراوات (cf. Sat. ii, 6, 63)

(٢٧) بومبيوس جروسفوس Pompeius Grosphus : هو فارس رومانى كان يقيم فى جزيرة صقلية حيث يمتلك ضيعة هناك .

(٢٨) انتصر أجريبا على الكانتبريين (وهم سكان كانتابريا بشمال أسبانيا) عام ١٩ق.م. ، وذلك عقب انتصار تيبريوس فى أرمينيا . ومن قبل قام الملك فرايتيس Phraetes ملك بارثيا ، بالاحتفاظ بالأعلام الرومانية التى أخذها من كراسوس فى معركة كارهاى Carrhae ، إلا أنه الآن هُزم ورضخ لقوانين قيصر وسلطته.

# الرسالة الثالثة عشرة

تحدث هوراتيوس – كما رأينا في الرسالة الثانية عشرة – إلى إكيوس[١] وكان رجلاً له موارد مالية محدودة ، كما فهمنا من سياق الرسالة ، وهو هنا فى الرسالة الثالثة عشرة يتحدث مخاطباً ڤينيوس Vinius ، وهو أيضاً رجلٌ من الشعب كان قد ارتقى ليصبح قائداً للمائة فى الحرس البرايتورى .

وقد حمل ڤينيوس هذا نسخة لم يتم نشرها من قبل من ديوان الغنائيات لهوراتيوس وتوجه إلى أوغسطس كى يسلمه إياها . وقبل رحيله كان هوراتيوس قد أكد عليه أن يتحلى بالذوق واللياقة ، خاصة وهو يقدم إلى أوغسطس شيئًا من أعمال الشاعر . وهوراتيوس فى هذه الرسالة يكتب إلى ڤينيوس كى يكرر عليه الوصية بالتحلى بالذوق واللياقة فى هذه المهمة الخطيرة :

« كثيراً ما أعلمتك وأفضيت إليك بإرشاداتى بتفصيل تام وأنت راحل،

إذ إنك سوف تعطى ياڤينيوس ، (هذه) المجلدات المختومة إلى أوغسطس . »

**Ut proficiscentem docui te saepe diuque,**

**Augusto reddes signata volumina, Vini,**

**(Ep., i, 13, 1-2)**

ويوصى الشاعر ڤينيوس وهو يهم بالرحيل بأن يختار اللحظة المناسبة كى يسلم مجلدات أشعاره إلى أوغسطس ، وأن لا يدع حماسه الشديد يفسد هذه المهمة . ويلاحظ من خطاب هوراتيوس لڤينيوس وجود مظاهر واضحة للتفكه والتندر، حيث إن الشاعر يوصيه أنه إذا ما أثقله حمل هذه المجلدات فعليه أن يتحلى بالصبر، ولا يدفعها عن كتفه بعنف، لأنه إذا ما فعل ذلك فسوف يجلب على نفسه السخرية،

خاصة أن أسرته كانت تحمل لقب «الحمار» Asina ، ويوصيه أن يطيق حمل هذا العبء وهو يمشى عبر التلال والمستنقعات حتى يوصله إلى مكانه المقصــود ، كما أن عليه ألا ينهمك فى القيل والقال عن هذه المهمة التى يقوم بها ، وأن يغض النظر عن فضول سائليه عما يحمل :

« فلو تصادف وثقل عليك هذا الحمل الثقيل من أوراقى فأنزله عن كاهلك،

فذلك أفضل من أن تقذف به إلى الأرض بعنف ، بينما أمرت بأن تحمله

حتى النهاية ؛ وبذلك سوف تجعل لقب أسرتك (أسينا =الحمار) مزحة،

وتلوك الألسنة سيرتك . لذلك فإن لك أن تستخدم قواك

وتعول عليها (أثناء رحلتك) عبر التلال والأنهار والمستنقعات.»

**si te forte meae gravis uret sarcina chartae,**

**abicito potius, quam quo perferre iuberis**

**clitellas ferus impingas, Asinaeque paternum**

**cognomen vertas in risum et fabula fias.**

**Viribus uteris per clivos, flumina, lamas. (6-10)**

هذه الرسالة الثالثة عشرة هى من الرسائل الموجهة إلى أصدقائه من ذوى النفوذ potentes amici ، لكنها الرسالة الوحيدة التى لم تشر إلى مـايكيناس ، لكنها تذكر أوغسطس بمفرده باعتباره يقدر قيمة أشعار هوراتيوس ، والشاعر يوجه حديثه هنا فى أسلوب فكه غير مباشر إلى شخص غير معروف أسماه ڤـينيوس Vinius ، وهو يأتمنه على مهمة توصيل وتسليم نسخة من أشعاره مباشرة إلى أغسطس(٢) .

وإشارة هوراتيوس إلى أوغسطس ، باعتباره الشخص الذى يجب أن يقترب منه ڤـينيوس ، فى كياسة ولباقة وفى الوقت المناسب ، قد وردت قبل ذلك فى الهجائيات:

« لن أغمط نفسى حقها عندما تسنح الفرصة ذاتها ،

فما لم يكن الوقت ملائمًا ، فإن أشعار فلاكوس (أى هوراتيوس)

لن تصل إلى أذن قيصر الصاغية. »

**Haud mihi dero,**

**cum res ipsa feret: nisi dextro tempore Flacci,**

**verba per attentam non ibunt Caesaris aurem,**

**( Sat., ii, 1, 17-19)**

ويرى الأستاذ ر.س. كيلباتريك أن هذه الرسالة موجهة بأسلوب غير مباشر إلى أوغسطس ، فالحديث إلى ڤـينيوس فى الظاهر ، لكن المقصود بالحديث فى الحقيقة هو أوغسطس ، بنفس الطريقة التى كانت الرسالة الثامنة موجهة بها إلى الموسية ، ولكن كلسوس كان هو المقصود بالخطاب(٣) .

وربما أراد هوراتيوس بإشارته إلى أن عائلة ڤـينيوس تحمل لقب «الحمار Asina»، أن يوضح أن ڤـينيوس كشخص يفتقر إلى اللباقة والذوق السليم ، كما يوحى أيضًا بأنه لا يثق فيه . وهنا نسأل لماذا يجلب هوراتيوس القلق على نفسه باختياره لهذا الشخص بصفته هذه لهذه المهمة الجادة والخطيرة؟ أما كان يجب عليه أن يختار شخصًا لبقًا مؤهلاً للنجاح فيها ، أم أن هوراتيوس قد أراد هنا بهذا التشخيص لڤـينيوس أن يستخدم حيلة درامية رأى أنها مهمة ؟

يرى الأستاذ ج. ويليامز أن الرسالة الثالثة عشرة لا يمكن أن تكون رسالة حقيقية قام الشاعر بتوجيهها إلى ڤـينيوس ثم أخذها الأخير وقرأها ، وذلك لأننا نفهم من سياق الرسالة أن ڤـينيوس كان قد غادر بالفعل متوجهًا إلى مقابلة أوغسطس(٤) . لكن الأستاذ ر.س. كيلباتريك يرى أنه ليس من الصعب أن نتخيل إرسال هوراتيوس هذه الرسالة مع رسول آخر كى يلحق بڤـينيوس فى الطريق كى يعمل الأخير بما فيها من وصايا(٥) .

والذى يقرأ الرسالة الثالثة عشرة يلاحظ رسم الشاعر لشخصية ڤـينيوس وتبيان مدى كفاءته فى تأدية المهمة التى كُلِّفَ بها ، كما أن الشاعر يدرك إمكانية انهماك ڤـينيوس فى القيل والقال مع العامة من الناس ، وربما أيضًا تنتابه حالة من الزهو حين يضطلع بهذه المهمة الجسيمة . فيمشى بخطى رشيقة وهو يحمل الكتب فيبدو كالبهلوان فى السيرك وهو يحمل المصباح تحت إبطه ، وهنا ربما يقع على الأرض

ويفسد كل شيء . على أية حال ، فربما اضطر هوراتيوس أن يعهد بمثل هذه المهمة العظيمة إلى هذا الشخص الذى يُدعى ڤينيوس ، بما أنه لم يجد أمامه شخصًا آخر غيره فى ذلك الوقت ، حيث إن المسافة بين المزرعة السابينية التى يقيم فيها الشاعر وبين روما ليست بالمسافة القصيرة وعليه أن يدرك الوقت . ويُذكر أن الأسلوب الذى اختاره هوراتيوس فى حديثه الذى يوجهه إلى ڤينيوس ، ربما يوحى أن ڤينيوس كان جنديًا ينتمى إلى طبقة اجتماعية متواضعة ، هذا إلى جانب تميزه بالحدة والعنف والقوة فى تنفيذ المهام التى توكل إليه . كما أنه يميل إلى الثرثرة فى الحديث، ولذا ربما سولت له نفسه أن يتحدث معهم عن طبيعة المهمة التى يؤديها ، وهو الشيء الذى لا يريده الشاعر ، وهو فى الوقت نفسه الأمر الذى لا يؤهله للقيام بمهمة تسليم أعمال الشاعر إلى أوغسطس . وربما حرص هوراتيوس على رسم هذه الصورة الساخرة لهذا الرجل ، لدرجة أنه يشبهه بعجوز شمطاء تفوح من فمها رائحة الخمر فى إحدى العروض المسرحية ، ويشبهه أيضًا بالضيف الفقير ، الذى يذهب لتلبية دعوة للعشاء، وحيث إنه لايصطحب معه عبدًا يحمل له قبعته ونعليه مثلما يفعل الأثرياء ، فهو يحملها كلها تحت إبطه مما يجعله غير مستريح فى مشيته وفى جلسته . هذا الحرص على رسم هذه الصورة الساخرة ربما يكون من قريحة الشاعر ، وربما عمد فيه إلى المبالغة حتى يُظهر حرصه على إتمام المهمة على أكمل وجه وفى الأسلوب اللائق بشخص أوغسطس . وأيضًا كى يتحدث عن السلوك الملائم **decorum** الذى يجب أن يكون عليه الإنسان لينجح فى أداء مهامه على خير وجه ، وبهذا يأتى الحديث فى سياق الموضوع العام لهذا الكتاب من الرسائل .

ولكن يبقى السؤال التالى ، وهو هل أرسل هوراتيوس هذه الرسالة بالفعل مع مجلداته التى يحملها ڤينيوس لتُسلم لأوغسطس ؟ أم أنه كتب هذه الرسالة فيما بعد لتكون خلفية درامية عن قصة إرساله شخصًا يحمل أعماله ليسلمها إلى أوغسطس؟

ومما يعزز القول بأن الرسالة قد قصد بها رسم موقف درامى على يد الشاعر ، أنها اتسمت بدرجة عالية من السخرية التى تميز أسلوب هوراتيوس (أبيات ٦–١٠) .

ويلاحظ أن كلمة **sarcina** بمعنى «حمل» تظهر هنا لأول مرة فى أعمال هوراتيوس ، وهى من مفردات الحياة العسكرية(٦) . ويُذكر أيضًا أن الشاعر كثيرًا ما يستخدم كلمة

vires » قوى» للتعبير عن الصراع العسكرى[٧] أو صراع الوحوش ، كما يلاحظ أن ألفاظ الحياة العسكرية مستخدمة فى هذه الرسالة بصورة واضحة، مثل : vade و signata وreddes و iciscentem و perferre و ferus و victor و mandata. هذا الأسلوب وما صاحبه من تعبير ساخر من شخصية ڤينيوس ، ربما يجعلنا نرجح احتمال أن كلا من هذا الموقف وهذه الشخصية هما من إبداع هوراتيوس ؛ ليكون بكل ما يزخر به من إرشادات فلسفية مكملاً لسياق حديثه فى كل الكتاب الذى يتوجه به إلى شباب الرومان . وهو ينصح هنا أى شخص يُكلف بمثل هذه المهمة الصعبة التى يقابل فيها شخصاً عظيماً ، ويحمل إليه شيئًا يقدمه إليه، أن يتحلى باللباقة والكياسة الواجبة منذ البداية وحتى يفرغ بنجاح من إتمام مهمته .

إن هذا الأسلوب فى التعبير ، بصفة خاصة ، يكشف لنا عن شخصية ڤينيوس، ويصوره لنا كما لو كان جندياً ينتمى إلى طبقة اجتماعية متواضعة ، حاد الشخصية والطباع ، عنيف يعتمد على قواه الجسمانية الكبيرة فى تنفيذ مهامه وواجباته أكثر مما يعتمد على عقله . كما أنه مثال للانخراط فى القيل والقال ، أخرق ، غير بارع فى مشيته. لكن كونه قادراً على أن يحظى بالاقتراب من أوغسطس، يجلعنا نعتقد أن مثل هذا الرجل ربما كان قائد فرقة من الجند . وبدورنا نتذكر هنا أن هوراتيوس نفسه ، وهو الآن من أصدقاء أوغسطس ، كان تريبيونًا للجند . فهل يحاول هوراتيوس عن طريق هذه السخرية إسقاط هذا الموقف على شخصه أيضاً[٨] ؟ وحول هوية ڤينيوس يذكر الأستاذ ر.ج. نسبت أن بلينيوس الأكبر ، فى عمله « التاريخ الطبيعى» ، قد ذكر شخصاً يحمل اسم ڤينيوس ڤالينس Vinius Valens على أنه قائد لفرقة من مائة جندى ضمن الحرس البرايتورى لأوغسطس ، وكان مشهوراً بقوته الجسمانية الخارقة ؛ وهذا هو الرأى الأرجح والسائد بين النقاد عن مماثلة ڤينيوس هذا بڤينيوس المذكور فى رسالة هوراتيوس الثالثة عشرة[٩] .

وتعد الرسالة الثالثة عشرة من الرسائل ذات الطابع الخفيف فى هذا الكتاب ، إذ يبرز فيها طابع أشعار هوراتيوس التى لا تخلو أبداً من السخرية والتهكم، ولكن فى روح مرحة فكهة عُرف بها الشاعر . وهى ولاشك تظهر قدراً من التواضع لدى الشاعر عند حديثه عن أعماله التى اعتاد أن يُرسل بها إلى أوغسطس .

كثيراً ما أعلمتك وأفضيت إليك بإرشاداتى بتفصيل تام وأنت راحل،
إذ أنك سوف تعطى يافينيوس ، (هذه) المجلدات المختومة إلى أوغسطس .
إن كان فى صحة جيدة، وإن كان سعيداً ومعنوياته مرتفعة ، أو أخيراً لو أنه سألك إياها؛
وإياك أن ترتكب خطأ مدفوعًا بتحمسك الشديد ، أو أن تجلب
السخط على كتبى الصغيرة منساقًا بحرصك الشديد .
فلو تصادف وثقل عليك هذا الحمل الثقيل من أوراقى[١٠] فأنزله عن كاهلك،
فذلك أفضل من أن تقذف به إلى الأرض بعنف ، بينما أمرت بأن تحمله
حتى النهاية ؛ وبذلك سوف تجعل لقب أسرتك (أسينا =الحمار) مزحة،
وتلوك الألسنة سيرتك . لذلك فإن لك أن تستخدم قواك
وتعول عليها (أثناء رحلتك) عبر التلال والأنهار والمستنقعات.
وبمجرد أن تقطع (رحلتك) بنجاح وتصل إلى هناك ، فإن عليك أن تحفظ حملك
كما ينبغى له أن يكون ، وليتك لا تحمل مجموعة كتبى تحت إبطك ،
مثلما يحمل الرجل الريفى الحمل ،
أو مثلما تحمل بيريا المخمورة بكرة الصوف المسروق[١١] ،
أو مثلما يحمل رجل من القبائل نعليه مع قلنسوته عندما يُدعى كضيف (على الغداء)[١٢].
واحذر أن تحكى للناس أنك تفصدت عرقًا بسبب حملك لأشعارى
التى يمكنها أن تشد إليها عينى قيصر وأذنيه .
ورغم أنك ستصبح هدفًا لتوسلات لا حصر لها من جانبهم[١٣]،
فلا تدع ذلك يوهن العزم منك وامض قدمًا للأمام ، ولتصحبك السلامة ،
وخذ حذرك حتى لا تتعثر أو تزل قدمك فتكسر حملك الذى عهدت به إليك .

# الهوامش

(١) M.J. McGann, op. cit., p. 65.

(٢) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 14.

(٣) ibid., p. 15.

(٤) G. Williams, op. cit., p. 13.

(٥) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 15.

(٦) cf. Caes., Bell. Gall., iii, 24,3.

(٧) cf. Epod., 16.1; Sat., i, 3, 110, Ep., i, 18, 51.

(٨) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 15-16.

(٩) R.G. Nisbet, op. cit., pp. 73-76.

(١٠) الكتاب فى حد ذاته ليس ثقيلاً بالطبع ، وربما تكون قراءته هى الثقيلة .

(١١) هذه إشارة إلى مشهد بإحدى مسرحيات تيتينيوس .

(١٢) Tribulis هو ذلك الرجل الفقير الذى يدعوه أحد الأثرياء من أبناء قبيلته على العشاء لهدف سياسى ، وحيث إنه لا يمتلك عبداً ليحمل له قبعته ونعليه، وهى الأشياء التى يحتاجها فى ذهابه وإيابه ، ولايجب أن تكون معه فى غرفة الطعام عند العشاء ، لذا فهو يحملها تحت إبطه.

(١٣) يؤكد الشاعر هنا على أنه ستكون هناك استفسارات كثيرة من قبل الفضوليين ، يريدون الإجابة عليها من جانب فـينيوس .

# الرسالة الرابعة عشر

تعد الرسالة الثانية عشرة هى الأولى من بين سلسلة من الرسائل المتتالية والموجهة إلى رجال يعملون فى خدمة بعض السادة الرومان[١] . إن المكانة الاجتماعية للشخصيات التى بعث إليها هوراتيوس برسائله قد اتسعت بظهور شخص مثل ڤينيوس فى الرسالة الثالثة عشرة ، وتزداد هذه الدائرة اتساعًا فى الرسالة الرابعة عشرة التى وجهها إلى خادمه vilicus ، المشرف على ضيعته السابينية ، والذى لم يذكر اسمه[٢]. ورغم أن مكانة هذا المشرف الاجتماعية أدنى بقليل من غيره إلا أنه يمكن مقارنته بمكانة إكيوس المشرف على ضياع أجريبا[٣] .

وتتشابه هذه الرسالة مع الرسالة الخامسة فى أن هوراتيوس قد كتبها من المدينة، إلا أنه فى الرسالة الخامسة بعث الرسالة إلى توركواتوس المقيم بروما أيضًا ، أما هنا فإنه يكتب من روما إلى ناظر ضيعته الموجود فى الريف ، هذا بخلاف أغلب الرسائل التى ندرك من متنها أنه قد حررها وهو مقيم بالريف ، ووجهها إلى أصدقائه المقيمين بالمدينة [٤] .

يبدأ هوراتيوس الرسالة بعقد مقارنة بينه وبين ناظر ضيعته ، فهوراتيوس يحب الريف ويمتدحه بينما ناظر الزراعة يرغب فى الإقامة فى المدينة ، وذلك الاختلاف أو تلك المقابلة الواضحة بينهما يذكّرانا بما جاء فى مطلع الرسالة العاشرة . ولكن بينما يبدو فوسكوس فى الرسالة العاشرة كمحب للمدينة وغير معادٍ للريف ، نجد ناظر الضيعة يبدو كرجل يكره الريف ويحاول الفكاك من أسر الإقامة فيه .

**« أيها المشرف على غاباتى وعلى مزرعتى الصغيرة ،**

**التى تعيدنى إلى نفسى ، بينما نفسك تعافها وتزدريها، » (١-٢)**

ويبدو أن هذه المقابلة تخدم كتمهيد لفكرة أخرى :

« فدعنا نتبارى لنرى من منا أكثر قوة من زميله :

هل هو أنا الذى أنزع عن العقل أشواكه،

أم أنت الذى تنزع الأشواك من المزرعة . ومن منا أفضل حالاً :

هوراتيوس أم مزرعته .»

**certamus, spinas animone ego fortius an tu**

**evellas agro, et melior sit Horatius an res. (4-5)**

حاول هوراتيوس إظهار قصيدته هذه على أنها رسالة حقيقية كُتبت بتلقائية إبان حدوث ظروف من واقع الحياة ، فأضاف هذه الفقرة الرائعة :

« فعلى الرغم من أن حب لاميا وحزنه يحتجزانى فى روما ،

حيث إنه ينوح حزنًا على أخيه وينتحب بلا عزاء أو سلوى،

إلا أن كلاً من عقلى وروحى يحملانى إلى هناك (حيث تقيم)،

ويودان تحطيم الحواجز التى تعترض المضمار . (فأنا أعلن) أن من يحيا

فى الريف هو السعيد حقًا ، أما أنت فتصرح بأن السعيد هو من يعيش فى المدينة».

(٦-١٠)

تحمل هذه السطور طابع الحياة الواقعية ، فإن تأثر هوراتيوس بحالة الحزن التى تعتصر قلب صديقه لاميا حزنًا على وفاة أخيه ، قد منعه لبعض الوقت من العودة إلى مزرعته السابينية ، ولولا هذا الحدث لما حرر هوراتيوس هذه الرسالة ، بل كان سيتحدث مباشرة مع ناظر ضيعته حول هذه الأمور ، ويعتبر مثل هذا التبرير طبيعياً فى المراسلات اللاتينية .

ويبدو أن ناظر الزراعة عن طريق تحرير خطاب أو عن طريق شخص ثالث قد أطلع هوراتيوس على مدى كرهه للاستمرار فى الإقامة بالريف ، ورغبته فى العودة إلى العمل بمنزل سيده فى المدينة (٥) .

ويعتقد ج. ويليامز أن المناسبة التى احتجزت هوراتيوس بروما مناسبة حقيقية ، وأن الدافع من ورائها مجاملة لاميا ومواساته ، ولكنه على أى حال يستشهد بقصيدتى كاتوللوس (٦٥ ، ٦٨) كدليل على أن الواقعة قد تكون حقيقية ، ولكن الشاعر اتخذ منها وسيلة ليصيغ موضوعه بالشكل الرسائلى[٦] . أما س. بيكر C.Becker فيؤكد أن عذره للبقاء في روما ليس من نسج خياله ، ويستدل على ذلك بتأثره البالغ بالحدث وبدفء أشعاره[٧] . ويقول إ. س. ڤيكهام E.C. Wickham إنه من غير المنطقى تصوير تأثره بمشاعر لاميا إلى خادمه ، إلا أن ذلك يعد مناسبًا لو أننا نظرنا إلى أن الهدف من الرسالة هو أن تُقرأ بواسطة أصدقاء الشاعر وجمهور الأدب[٨] .

ويرى إ. ج. كنى E.J. Kenney أن هوراتيوس قد اقتبس صورة حواجز المضمار– الذى سيتخطاه كل من عقله وروحه – من لوكريتيوس ، الذى صور عقل إبيقوروس وهو يحاول اجتياز «الحواجز الضيقة للطبيعة arta naturae claustra » فى رحلة ذهنية لاستكشاف الكون[٩] ، وأن كلمة spatia عند هوراتيوس تمثل المسافة التى تفصل بينه وبين الريف[١٠] .

لقد اضطرت الظروف هوراتيوس أن يقيم بروما لبعض الوقت ، مما سبب له معاناة نفسية لاشتياقه للعودة إلى الريف ، بينما يشعر خادمه بالحنين إلى حياة المدينة ويحتقر الريف وأعباءه ، فكلاهما إذن يعتقد أنه موجود فى المكان الخطأ[١١] .

ولقد تبنى هوراتيوس منذ السطور الأولى للرسالة لغة تنم عن المساواة بينه وبين خادمه، ويبدو ذلك من المقابلة بين ضميرى المتكلم المفرد ego والمخاطب المفرد tu، وتوضح هذه اللغة الصداقة الحميمة بين هوراتيوس كسيد رومانى وبين عبده . وهذا الموقف يعيد إلى أذهاننا رأى أرسطو عن الصداقة بين السادة والعبيد ، حيث يرى أنه قد تنشأ صداقة متينة بين السيد وعبده ، رغم أن الأخير ليس إلا أداة حية[١٢].

والحق أن علاقة هوراتيوس بناظر ضيعته تشبه إلى حد كبير علاقته بعبده داڤوس Davus فى الهجائية السابعة من الكتاب الثانى[١٣] ، حيث يصف داڤوس نفسه بأنه «عبد محب لسيده وأمين amicum mancipium domino et frugi(2) » . وفى هذه

الهجائية سخر هوراتيوس من نفسه لعدم ثباته ، وقد وضع هذا النقد الذاتى على لسان عبده داڤوس :

« وأنت فى روما تشتاق إلى الريف ، غير أنك بوصفك ريفيًا

مهذبًا ترفع المدينة الغائبة عنك إلى النجوم . »

**Romae rus optas ; absentem rusticus urbem**

**tollis ad astra levis. (28-29)**

ويرتكز نقد هوراتيوس لنفسه هنا على تردده فى اختيار محل الإقامة ، فهو يشتاق للريف عند إقامته بالمدينة ، فى حين أنه يمتدح المدينة ومباهجها أثناء وجوده بالريف .

وفى هذه الهجائية يواصل داڤوس صب النقد اللاذع فوق رأس سيده ، فيصفه بأنه ضعيف الشخصية وتافه ، ومدمن للخمر ، وأنه واعظ مرائى يعظ بما لا يفعل ، وأنه محب للجنس (٤٦–٨٢) ، وأنه أكول شره (١٠٢–١١١) . ثم يعترف داڤوس بأن لديه نفس العيوب ، ولكن يؤكد بأنه أقل وضاعةً من سيده ، وتنتهى الهجائية بتهديد هوراتيوس لخادمه بأنه سيرسله للعمل بالمزرعة مع العبيد حيث سيصير رجلاً بائسًا ذى مكانة ضئيلة (١١٧–١١٨)(١٤) .

ومن هذه الهجائية يمكننا أن ندرك أن هوراتيوس كان صديقًا لبعض خدمه بحيث يسمح لهم بالحديث عن أمانيهم ، بل ونقد سيدهم وآرائه ، كما يتبين أن هوراتيوس كان منغمسًا فى متع المدينة وهو فى سن الشباب ، كما أنه لم يكن مستقرًا نفسيًا بين حبه للمدينة والريف . أما الآن فإن المزرعة بالنسبة له هى ما يصبو إليه ويحتاجه ، فى حين أن ناظر الزراعة **vilicus** يراها مصدر إزعاج . ويبدو تذمره واضحًا من المقابلة التى أجراها هوراتيوس (٤–٥) بين الأمرين ، بهدف أن نرى أى السبيلين يحقق السعادة على أكمل وجه. ويأتى المجاز الزراعى ، الذى يلائم مهنة مراسله ، عن طريق رسم صورة اقتلاع الأشواك **spinae** ، وحيث شبهت الهموم **curae** التى تسيطر على العقل والنفس بالأشواك فى الأرض الزراعية. ومن هذا التشبيه ندرك أن السعادة تنبع

من العقل ، ذلك العقل الخالى من الهموم spinas animo ، فالإنسان لكى يبلغ السعادة لابد وأن يكون متناغماً مع نفسه(١٥) .

قدم هوراتيوس فى الرسالة العاشرة (الموجهة إلى فوسكوس) أساساً فلسفياً لتفضيله *الريف*، *حيث يمنح الريف الحرية ويعيش المرء وفقاً للطبيعة*(١٦) .

ثم يطور هوراتيوس فكرته فى الرسالة الحادية عشرة ، ويعلن فى ختامها أن السعادة غير قاصرة على مكان بعينه ، فالعقل والحكمة يزيلان الهموم عن النفس ، ويجلبان السعادة للإنسان فى كل مكان . وحيث إن هوراتيوس يخاطب عبداً يفتقر إلى الحكمة ، أصبح دوره كسيد وصديق أن يوجهه ليعيش متناغماً مع نفسه .

لقد عمل هذا الرجل خادماً فى منزل هوراتيوس بروما منذ زمن طويل ، وكان يتمنى أن يشرف على ممتلكات سيده بالريف ، بيد أنه بعد أن تحققت أمنيته وصار مشرفاً على ضيعة سيده ، افتقد مباهج المدينة ومتعتها . كما أنه قد وجد العمل بالريف شاقاً ، فهو مثل مينا **Mena** بالرسالة السابعة الذى شعر بخيبة أمل ، أما هوراتيوس فهو على أية حال متناغم مع نفسه ، ويشعر بالأسى كلما اضطره العمل للبقاء بروما(١٧) . والحق أن نقطة الخلاف بين الموقفين ليست إلا مسألة استياء الإنسان من حظه فى الدنيا:

« إن من يروقه حظ غيره ، يحس بأن حظه هو ممقوت إلى حد بعيد .

وكل منهما أحمق ، لأنه يلوم - دون وجه حق - مكاناً لا يستحق اللوم.»

**cui placet alterius, sua nimirum est odio sors.**

**stultus uterque locum immeritum causatur inique. (11-12)**

فالحسد وعدم الرضا ليسا إلا نتاج عقل غير راجح **iniquus animus** :

« وإن الذى يقع فى الخطأ هو العقل العاجز عن الانطلاق أبداً من إسار ذاته .»

**in culpa est animus, qui se non effugit umquam. (13)**

لقد غير ناظر الزراعة آراءه منذ أن جاء إلى المزرعة ، وأعلن هوراتيوس أيضاً ذات مرة أنه يتضرع للظفر بفرصة العيش فى الريف(١٨) ، ولكنه ظل متناسقاً مع

رغباته ، فاستياؤه كان يتجه باستمرار إلى الظروف التى تضطره إلى مغادرة الريف[١٩] ، أما عبده فهو متقلب المشاعر وذلك ما وضحه الشاعر فى المقارنة التى أجراها بينه وبين خادمه:

«لقد كنت (دومًا) تنشد (العمل) بالريف في توسل صامت، بوصفك عبداً كادحًا،
والآن فإنك تتوق - بوصفك ناظر زراعة - إلى المدينة بملاهيها وحماماتها:
وإنك لتعلم (حق العلم) أننى مستق مع نفسى ، وأننى راحل والحزن يغمرنى،
كلما جذبتنى إلى روما المهام البغيضة (إلى نفسى) ،
إننا لا نعجب بذات الأشياء ، وفي هذا الأمر يكمن الخلاف بينى بينك.
لأن الصحارى التى تحسبها جرداء وغير مضيافة،
يعتبرها من يشاركنى مشاعرى ممتعة ،
كما أنه يبغض الأشياء التى ترى أنت أنها جميلة. » (١٤-٢١) .

ثم يُتبع هوراتيوس هذه المقارنة بفقرة خصصها لتحليل رغبات خادمه التى تجعله يفضل الإقامة بالمدينة ، وكذلك لتحليل كل ما يكرهه بالريف . ومن هذا التحليل يظهر ناظر الزراعة كرجل شهوانى وكسول :

« أعتقد أن كلاً من الماخور والمطبخ (الغاص) بالدهون ، يثيران فى نفسك الحنين للمدينة ،
ولأن مكانك الضيق ذاك سيمتلأ بالفلفل الأسود والبخور أكثر من امتلائه بعنب الكرمة،
ولأنه لا توجد حانة مجاورة بإمكانها إمدادك بالنبيذ ، ولا توجد غانية عازفة للناى،
ترقص على نغمات (مزمارها) وتضرب الأرض (بقدميك)،
وها أنت إلى الآن لا تزال تكدح فى حقول لم تُمس لزمن طويل بالفئوس،
ولا تزال تعتنى بالثور ، وقد تحرر من نيره ،
ولا تزال تملأ (معدته) بأوراق الأشجار المنزوعة (من الأغصان) ؛
فإذا ما انهمر المطر فإن النهر يثقل الكسول بعبء (من العمل فوق ما لديه من أعباء)،
حيث ينبغى عليه أن يتعلم - عن طرق إقامة سد ضخم - كيف يبقى على المرج مشمسًا.
هيا الآن واصغ إلى ما يعوق الاتفاق بيننا. » (٢١-٣١)

من هاتين الفقرتين ، ندرك أن هوراتيوس حافظ على نبرته الرقيقة مع خادمه ، فقد أشار إلى أن آراؤهما تبدو متناسقة ، حتى لو كانا الآن مختلفين . وعلى أية حال فإن نقطة الخلاف الحقيقية بينهما هي عدم الاتساق مع النفس [٢٠] .

ولعل مخاطبة هوراتيوس لعبده برفق ولين مردها إلى أنه يحب خادمه الذى عمل لديه منذ زمن طويل ، والذى يمثل للشاعر المسن فترة شبابه التى كانت تتسم بالانطلاق، ولهذا يعيد إلى ذاكرته حقيقة أنه استمتع هو الآخر بمتع المدينة ومباهجها، ولكنه كان فى سن الشباب حينذاك، أما الآن فهو يعيش حياة بسيطة[٢١]:

« أنا الذى كانت تلائمه العباءات الفخمة والشعر المصفف اللامع ،

والذى كان يدخل السعادة - كما تعرف - إلى (قلب) كينارا الجشعة دون تقديم هدايا ،

والذى كان مولعًا باحتساء الخمر الفاليرنى عند حلول وقت الظهيرة،

غدت ثروته الآن مجرد وجبة بسيطة ، أو سنة من النوم تأخذه ( وهو راقد) على العشب بالقرب من النهر ، ولم يعد يشينه أنه كان سادرًا فى غيه ،

بل يشينه فقط ألا يضع حدًا لذلك العبث والمجون » (٣٢-٣٦)

وتؤكد هذه السطور ، بما فيها من تكرار بلاغى **anaphora** لاسم الموصول **quem** فى مطلع كل سطر ، أن سلوك هوراتيوس الحياتى قد تغير تمامًا . وبالرغم من أنه مقتنع تمامًا من أن ما يرغبه خادمه يعد حماقةً ، إلا أنه يحجم عن مخاطبته بلهجة قاسية ، وذلك ليس فقط لأنه يحب خادمه ، بل أيضًا لأن ذلك جزء من التعليمات الفلسفية التى علمها لنفسه [٢٢] .

وندرك من ذكر الفعل **scis** (كما تعرف) أن هذا العبد عاش مع هوراتيوس لسنوات عديدة، ولهذا يرجح ر.س. كيلباتريك أنه هو خادمه ليبوريللو **Leporello** الذى كان يطارحه الغرام وهو فى شبابه . والحق أن هوراتيوس لم يكن دائمًا نصيرًا للمتع الحسية المعتدلة، على أية حال فإن ما كان يبدو مناسبًا **decuere** ذات مرة لم يعد كذلك سواء للخادم أو السيد[٢٣] .

وتعيد السطور (٣٢-٣٤) إلى ذاكرتنا فقرة وردت فى الرسالة السابعة ، حيث حاول الشاعر استجداء تعاطف مايكيناس مع رغبته في الإقامةبالريف (الرسالة السابعة ، أبيات ٢٥-٢٨) .

وبالرغم من تشابه الفقرتين فى بعض العناصر ، إلا أن النغمة مختلفة بينهما، حيث تتسم فى السابعة بالحدة ، بينما نجد أن الشاعر فى الرسالة الرابعة عشرة لا يبدى ندمه أو خجله من الماضي . فقد تحدث أولاً عن مظهره الخارجي من حيث ارتداء الملابس الفاخرة والزيوت المعطرة التى تغطى شعره[٢٤] ، ولكنه على الرغم من أن هذه الأشياء لا تزال متاحة له ، إلا أنها صارت لا تليق به بعد أن رحل عنه الشباب وحلت به الشيخوخة [٢٥] .

ومما سبق نجد أن هوراتيوس يحذر خادمه من أن إقامته فى روما ستجعله تحت سيطرة إحدى العاهرات مثل كينارا **sub regno Cinarae** ، وبالرغم من أن هوراتيوس أقام مع كينارا علاقة ناجحة كانت لا تحصل من خلالها أموالا أو هدايا ، إلا أن هذه الحالة تعد استثنائيه فى العلاقة مع العاهرات ، وهو لا يتوقع أن يحنو خادمة حنوه .

كما يذكّر هوراتيوس ناظر عزبته أنه ( أى هوراتيوس ) قبل أن يعتنق حياة مختلفة ، كان قد استمتع بمباهج الحياة الحسية مثل تلك التى يشتاق إليها الآن ناظر عزبته (٢١-٢٥) ، ولكنه فى النهاية تغلب على ذلك فى صمت ووصل إلى حياة أفضل فى تلك الأيام، حيث عثر على ضالته فى الأمور العقلية الممتعة التى تحدث عنها إلى مايكيناس[٢٦] .

وينتقل هوراتيوس بعد ذلك إلى مدح بعض خصال حياة الريف :

« هناك لا ينظر أحد شذراً من طرف عينيه إلى الامتيازات التى أحظى بها ،

كما لا يسممها أحد بكراهية خفية أو نهشة (سامة) :

ولايضحك الجيران علىّ ملء أشداقهم وأنا أنقل كتل الطمى والأحجار. »

(٣٧-٣٩)

إن حياة المدينة بها الكثير من المتاعب النفسية والمادية ، مثل احتقار الناس لمن هم أقل فى المكانة الاجتماعية والنظر إليهم شذراً، كما أن الحسد والطمع يدفعان أهل المدن إلى تدمير ممتلكات الآخرين[٢٧] . ويعتقد هوراتيوس أن هذه الأمور معروفة للجميع ، حتى إن العبد ذا العقل البسيط يمكنه فهم ذلك وإدراكه .

أما فى المزرعة فإن الجيران vicini يضحكون على هوراتيوس بصفاء نية أثناء محاولته أداء بعض أعمال الفلاح البسيط ، كما أنه يستمتع بالخوض معهم فى أحاديث تتسم بالبساطة وعدم السفسطة ؛ فى الريف إذن لا يوجد حقد أو حسد .

إن موضوع تفوق الحياة الأخلاقية للريف، الذى ناقشه هوراتيوس من قبل فى الرسالة العاشرة ، جاء هنا من خلال ملاحظته أنه ليس فى موضع حسد من الآخرين ، وأنه لايستخف به أحد أو يحط من قدره ، وذلك أثناء إقامته فى مزرعته السابينية[٢٨] .

ويتخذ هوراتيوس من فكرة الحسد مدخلاً لإنهاء قصيدته بالتأكيد على الفكرة الأساسية للرسالة وهى التناغم مع النفس ، فهناك عبد بمنزل هوراتيوس بروما يحسد ناظر العزبة على الامتيازات commoda التي يحصل عليها من عمله بالمزرعة . فكل من عبدى هوراتيوس يطمع فى مكان الآخر ويحسده عليه ، لكن هوراتيوس لن يحقق رغبة أى من العبدين:

« ولعلك تفضل أن تطحن بأسنانك ذات الصرير مع العبيد حصتك اليومية من طعام المدينة ،

ولعلك تبادر بالدعاء لتصبح واحداً فى عداد هؤلاء ، كى يحسدك خادمى

اللبيب على استمتاعك بالحطب والقطيع والبستان.

إن الثور يشتهى بطانة السرج ، (بينما) يتوق الجواد الكسول لحرث (الأرض).

سأعرب عن رأيى ، (وهو) : أن كليهما سيمارس فى سعادة المهنة التى خبرها.»

(٤٠-٤٤)

لقد ابتعد بنا هوراتيوس فى الفقرة الختامية عن الحديث المباشر الموجه إلى المرسل إليه، وقدم لنا مقارنة رائعة بين حيوانين ، وذلك بعد فقرات طويلة تظهر محافظته على التناغم مع نفسه[٢٩] .

وإن لنا أن ندرك أن كلا من ناظر الزراعة وخادم المدينة ، مثل حيوانيه ، فكلاهما قد تدرب على أداء نوع واحدٍ من العمل ، وعلى كل منهما أن ينفذ مشيئة سيده بممارسة المهارة التى يتقنها .

إن المثال الذى يصف الشاعر فيه الثور والجواد غير الراضيين بحظهما فى الحياة من المتوقع أن يقود إلى نتيجة مؤداها أن على الإنسان أن يعيش فى تناغم مع طبيعته الشخصية ؛ ولقد كان بنايتيوس يعتقد أن على المرء أن يوجه نفسه فى طريق حياته طبقًا لقدراته الخاصة ؛ ولكن ذلك قد يكون غير مناسب لخادم مثلما هو الحال بالنسبة لسيده .

ويظهر البيت الأخير تأثرًا كبيرًا بإحدى العبارات الشيشرونية :

**« كل فرد يعرف الفن الذى درب نفسه عليه » .**

**quam quisque norit artem , in hac se exerceat.**

**(Cic., Tusc., i, 18, 41)**

علمًا بأن هذه العبارة الشيشرونية ليست إلا محاكاة للمثل اليونانى المقتبس من أريستوفانيس فى مسرحية الزنابير(٣٠) .

ويعتقد م. ج. مكجان أن عبارة هوراتيوس الأخيرة هذه تعد مناسبة لظروف الخدم بشكل عام ، ولحالة ناظر عزبته وتجربته الشخصية فى المدينة والريف بشكل خاص(٣١) .

ورغم أن النغمة التى تنتهى بها الرسالة لا تظهر دفء المشاعر التى نجدها فى نهاية الرسالة العاشرة ، إلا أنها تتسم بالطابع الشخصى سواء عن طريق الخطاب المباشر أو عن طريق الوعظ غير المباشر .

لقد أظهر هوراتيوس على طوال الرسالة نغمة المساواة بينه وبين خادمة **ego .... tu** ، كما أنه أبدى تعاطفه مع رغباته ، ولكنه حينما اقترب من نهاية الرسالة انتقل من نغمة التسامح إلى التأكيد الجازم على أن إرادته هى الرأى النهائى، ولعل هذا يذكرنا

بالهجائية السابعة من الكتاب الثانى ، ففى البداية يحض هوراتيوس خادمه داڤوس على أن يستمتع بالمساواة التى يحصل عليها العبيد فى أعياد الساتورناليا فى شهر ديسمبر ، وذلك لأنه فى عصر ساتورنوس كان البشر متساوين :

« تعال ، واستمتع بالحرية فى شهر ديسمبر »

age, libertate Decembri ... utere; ( Hor., Sat., ii, 7, 4)

ولكنه فى البيت الأخير يصدم خادمه بتهديد مؤداه أن يجعله أحد العبيد العاملين فى الحقول :

« إن لم تبعد نفسك عن هنا بسرعة ،

فإنك ستصير العامل التاسع فى مزرعتى السابينية»

Ocius hinc te

ni rapis, accedes opera agro nona Sabino .

(Sat., ii, 7, 117-118)

ومما سبق ندرك أن هوراتيوس قد طوّر فكرته على هذا النحو : إن المناسبة الدرامية للرسالة هى طلب خادمه الكبير فى السن وشريكه فى صخب الشباب أن يعود للعمل فى منزل سيده بروما ، علماً بأنه كان فى الماضى يحلم بالانتقال للعمل فى مزرعة سيده ، وقد سعد بتحقيق هذا الحلم وشاركه سيده فى هذه السعادة .

ويحدد هوراتيوس دافعين لهذا الطلب : الأول هو اشتياقه للمتع الحسية التى توفرها المدينة (٢١-٢٦ أ ) ، والآخر هو العمل الشاق الذى تتطلبه المزرعة (٢٦-٣٠) .

ويستخدم هوراتيوس قضيته الشخصية لكى يلقنه درساً عملياً ، فقد اضطر للبقاء فى روما لفترة قصيرة من الزمن بدافع الصداقة ، حيث يؤدى واجب officia العزاء لصديقه لاميا الذى فقد أخيه . ولكنه يشتاق إلى الريف وسيعود إليه مهرولاً (٦-٩)، فناظر الزراعة هذا غير متناغم مع نفسه ومخطئ فى رغبته فى العودة إلى المدينة ، كما أنه مثل سيده لم يعد شاباً كما كان ذات مرة[٣٢] .

صور هوراتيوس بعد ذلك (٤٠-٤٢) الواقع الصعب لحياة العبد calo فى المدينة، وهكذا فإن المقابلة بين ناظر الزراعة vilicus والسيد dominus ، قد تبدلت وصارت بين ناظر الزراعة والعبيد الكادحين calones .

إن الغلام الفظ الذى يعمل فى حظيرة بالمدينة ليحسد بشدة أسباب المتعة والراحة التى ينعم بها ناظر الزراعة بالمزرعة : مثل المدفأة الموقدة ،اللحم الطازج ، الخضروات الطازجة . كما أن حياة المدينة ليست فقط حياة المواخير formices والمطاعم ذات الشحوم unctae popinae ، فهى تتطلب العمل الجاد والنظام ، وتقدم القليل من المزايا. وحيث إن توسلاته قد استجيب لها من قبل ، فماذا عليه لو حدث الشيء نفسه مرة ثانية ؟ إن هذا ممكن ، ولكنه مهدد بأن مكانه الذى سيتركه لن يظل شاغراً طويلاً ، وأنه بتركه إياه سيفقد سبل استعادته .

إن استعمال المثال الختامى كان بارعاً من جانب هوراتيوس ، فناظر الزراعة هو بالطبع الثور bos . أما العبد الكادح calo فهو الجواد الكسول piger caballus . فالجواد الكسول ينظر إلى حياة الدعة التى يعيشها الثور بالريف ، حيث يحصل على العلف بشكل مستمر متحاشياً بذلك العمل الشاق المتواصل وحصص الطعام الخشنة فى حظائر المدينة ، على حين ينظر الثور فقط إلى الدثار الأنيق الذى يوضع على ظهر الفرس دون أن يدرى أو يفهم طبيعة الحياة بالمدينة . وهوراتيوس يرى بعين ثاقبة أن كلا العبدين مخطئ فى تصوره لحياة الآخر ، وما يعتقده موجوداً بها من نعيم مقيم ، فكل منهما سيصير تعساً بالمقايضة بعالمه ، وسرعان ما يحتاج إلى استعادة حياته القديمة(٣٣).

إن مفتاح السعادة ليس أن تعمل ما ترغبه ، بل أن تستمتع بما تعمله أو بما ينبغى عليك أن تعمله . ويدّعى هوراتيوس بأنه قد كيّف نفسه مع الحدود التى فرضها عليه تقدمه فى السن وتغيّر معايير الملائمة decorum طبقاً لعمره الحالى ، كما يدّعى بأنه قد قبل عبث الشباب وطيشه لأن ذلك كان يليق به عندما كان غراً صغير السن .

وينهى هوراتيوس الرسالة بمثل رائع عن حيوانين يمثلان عبديه : وحيث إن الاثنين غير راضيين بحظهما ولا يستطيعان حل مشكلتيهما ، وهما : الكسل والحسد، فإن

هوراتيوس كسر حاجز النغمة الحيادية وأدلى برأيه censebo . وحيث إن المرسل إليه مجرد خادم فإن عليه في النهاية أن يفعل ما يأمره به سيده . إن السيد، وهو حر بالطبع ، عليه أن يتخذ القرار الصائب طبقًا لمعايير أخلاقية . أما العبد فليس بمقدوره أن يجبر سيده على تحقيق أمانيه ، بل عليه ألا يأمل في السعادة في أي مكان آخر ، وأن يؤدي ببساطة ما ينبغي عمله وهو سعيد libens[٣٤] .

وهكذا فإنه من خلال الرسالة الرابعة عشرة ندرك أن هوراتيوس بدلاً من أن يلقن خادمه محاضرة أو أن يفحمه بحججه ، فقد آثر الدخول إلى عالمه الخاص وطريقة تفكيره ولهذا فقد أعلن في المقدمة الدخول في مباراة بينهما certemus، وقد جاءت تفاصيل هذه الصورة من طبيعة الحياة اليومية لناظر الزراعة حيث اقتلاع[٣٥] الأشواك من الأرض بقوة (أبيات ٤ – ٥) .

لقد جعل هوراتيوس لغته من حين لآخر تلائم لغة ناظر الزراعة ، ومن المحتمل أن هذا هو الحال عندما استخدم كلمة tesquaa (بيت١٩) ، وهي كلمة قديمة وقليلة الاستخدام ، وقد تعطي في عصر هوراتيوس نفس الانطباع الذي كانت تعطيه لمفردات سكان الريف الروماني . وكأن هوراتيوس يرغب في أن يقول لجمهوره «هكذا يتحدث أهلنا في الريف nostri sic rure loquuntur » ، فناظر الزراعة في ذلك الحين قد عاش وقتًا طويلاً في الريف بحيث يتبنى بعض العناصر من خلال لهجة الريف الإيطالي .

إن هوراتيوس ، بلا شك ، حريص على خادمه ويحاول أن يمنعه من أن يتخذ خطوة غير سديدة . على أية حال ، فإن الرسالة تصل إلى ذروتها في الفقرة التي يخبرنا فيها الشاعر كيف أنه نفسه قد حصل أخيراً على الاتساق مع النفس والسعادة (٣٢–٣٩) ، ولهذا فهو يناشد قُرَّاءه للحصول على هذا التوافق وبالتالي على السعادة، هؤلاء القرَّاء الذين لديهم الاهتمامات نفسها ويتصفون بالتقلب في المزاج بمثل ما لدى ناظر الزراعة[٣٦] .

أيها المشرف على غاباتي وعلى مزرعتي الصغيرة التي تعيدني إلى نفسي ،
بينما نفسك تعافها وتزدريها، مزرعتي التي كانت آهلة بخمس عائلات ،
وكانت معتادة على أن تبعث إلى ڤاريا بخمسة آباء صالحين [٢٧]،
فدعنا نتبارى لنرى من منا أكثر قوة من زميله: هل هو أنا الذى أنزع عن العقل أشواكه،
أم أنت الذى تنزع الأشواك من المزرعة ؟ ومن منا أفضل حالاً : هوراتيوس أم مزرعته؟
فعلى الرغم من أن حب لاميا[٢٨] وحزنه – حيث إنه ينوح حزنًا على أخيه
وينتحب بلا عزاء أو سلوى – يحتجزاني في روما ،
إلا أن كلاً من عقلي وروحي يحملاني إلى هناك (حيث تقيم)،
ويودان تحطيم الحواجز التي تعترض المضمار .
(فأنا أعلن) أن من يحيا في الريف هو السعيد حقًا ، أما أنت فتصرح
بأن السعيد هو من يعيش في المدينة .
إن من يروقه حظ غيره ، يحس بأن حظه هو ممقوت إلى حد بعيد .
وكل منهما أحمق ، لأنه يلوم – دون وجه حق – مكانًا لا يستحق اللوم .
وإن الذى يقع في الخطأ هو العقل العاجز عن الانطلاق أبدًا من إسار ذاته[٢٩] .
لقد كنت (دومًا)تنشد (العمل) بالريف في توسل صامت، بوصفك عبدًا كادحًا،
والآن فإنك تتوق – بوصفك ناظر زراعة– إلى المدينة بملاهيها وحماماتها:
وإنك لتعلم (حق العلم) أنني متسق مع نفسي ، وأنني راحل والحزن يغمرني،
كلما جذبتني إلى روما المهام البغيضة (إلى نفسي) ،
إننا لا نعجب بذات الأشياء ، وفي هذا الأمر يكمن الخلاف بيني وبينك.
لأن الصحارى التي تحسبها جرداء وغير مضيافة،
يعتبرها من يشاركني مشاعري ممتعة ، كما أنه يبغض الأشياء
التي ترى أنت أنها جميلة. أعتقد أن كلاً من الماخور والمطبخ (الغاص)

بالدهون ، يثيران فى نفسك الحنين للمدينة ،
ولأن مكانك الضيق ذاك سيمتلأ بالفلفل الأسود
والبخور أكثر من امتلائه بعنب الكرمة،
ولأنه لا توجد حانة مجاورة بإمكانها إمدادك بالنبيذ ،
ولا توجد غانية عازفة للناى،ترقص على نغمات (مزمارها) وتضرب الأرض (بقدميك)،
وها أنت إلى الآن لا تزال تكدح فى حقول لم تُمس لزمن طويل بالفئوس،
ولا تزال تعتنى بالثـور ، وقد تحرر من نيـره ، ولا تزال تملأ (معدته) بأوراق الأشـجار المنزوعة (من الأغصان) ؛
فإذا ما انهمر المطر فإن النهر يثقل الكسول بعبء (من العمل فوق ما لديه من أعباء)،
حيث ينبغى عليه أن يتعلم - عن طرق إقامة سد ضخم - كيف يبقى على المرج مشمسًا.
هيا الآن واصغ إلى ما يعوق الاتفاق بيننا .
أنا الذى كانت تلائمه العباءات الفخمة والشعر المصفف اللامع ،
والذى كان يدخل السعادة - كما تعرف - إلى (قلب) كينارا الجشعة دون تقديم هدايا ،
والذى كان مولعًا باحتساء الخمر الفاليرنى عند حلول وقت الظهيرة،
غدت ثروته الآن مجرد وجبة بسيطة ، أو سنة من النوم تأخذه ( وهو راقد) على العشب
بالقرب من النهر ، ولم يعد يشينه أنه كان سادراً فى غيه ، بل يشينه فقط ألا يضع حداً لذلك العبث والمجون .هناك لا ينظر أحد شـذراً من طرف عينيه إلى الامتيازات التى أحظى بها ، كما لا يسممها أحد بكراهية خفية أو نهشة (سامة) :
ولايضحك الجيران علىَّ ملء أشداقهم وأنا أنقل كتل الطمى والأحجار.
ولعلك تفضل أن تطحن بأسنانك ذات الصرير مع العبيد حصتك اليومية من طعام المدينة،
ولعلك تبادر بالدعاء لتصبح واحداً فى عداد هؤلاء ، كى يحسدك خادمى
اللبيب على استمتاعك بالحطب والقطيع والبستان.
إن الثور يشتهى بطانة السرج ، (بينما) يتوق الجواد الكسول لحرث (الأرض)،
سأعرب عن رأيى ، (وهو) : إن كليهما سيمارس فى سعادة المهنة التى خبرها.

# الهوامش

(١) فى الرسالة الثانية عشرة يعمل إكيوس فى ضياع أجريبا ، وفى الثالثة عشرة يعمل ڤينيوس لدى هوراتيوس ، وفى الرابعة عشرة يوجه الرسالة إلى ناظر عزبته.

(٢) يرى إ. ج. كنى أن ناظر الزراعة المذكور فى الرسالة قد لا يكون له وجود فى الحقيقة ، وأن هوراتيوس قد ابتكر هذه الشخصية لتلائم طبيعة الموضوع الذى سيتناوله .

E.J. Kenney, " A Question of Taste : Horace, Epistles. i, 14, 6-9", ICS ii (1977), p. 231.

(٣) M.J. McGann, op. cit., p. 66.

(٤) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 89.

(٥) E. Fraenkel, op. cit., p. 311.

(٦) G. Williams, op. cit., p. 13.

(٧) C. Becker, Das Spätwerk des Horaz, Göttingen (1963), p. 21.

(٨) E.C. Wickham, Quinti Horatii Flaci Opera Omnia, (1891), p. 278.

(٩) Lucr. D.R.N., ii, 263-5.

(١٠) E.J. Kenney, op. cit., p. 234.

(١١) M.J. McGann, op. cit., p. 66.

(١٢) Arist. E.N., viii, 11, 6-7.

(١٣) Hor. Sat., ii, 7, 2-3.

(١٤) cf. Hor., Ep., ii, 2, 212.

(١٥) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 89f.

(١٦) Hor., Ep., i, 10, 8-14.

(١٧) M.J. McGann, op. cit., p. 67.

(١٨) Hor., Sat., ii, 6, 1.

(١٩) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 91.

(٢٠) ibid ., p. 91.

(٢١) Hor., Epod., 13., 4f.

(٢٢) E. Fraenkel, op. cit., p. 311.

(٢٣) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 91.

(٢٤) قارن وصف داقوس لهوراتيوس odoratum caput (Sat., ii, 7, 55)

(٢٥) M.J. McGann, op. cit., p. 68.

(٢٦) ibid., p. 68.

(٢٧) عالج هوراتيوس موضوع الحسد بتفصيل أكثر فى هجائياته :

Sat., i, 6, 46ff. ; 10,78 ff. ; ii,1,74 ff.

ويعود للظهور مرة أخرى فى الرسالة التاسعة عشرة.

(٢٨) M.J. McGann, op. cit., p. 68.

(٢٩) ibid., p. 69.

(٣٠) Aristoph., Vesp., 1431.

(٣١) M.J. McGann, op. cit., p. 70.

(٣٢) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 93.

(٣٣) ibid., pp. 91f.

(٣٤) ibid., pp. 92f.

(٣٥) حول استخدام evellere herbas وما يشابهها فى لغة المزارعين ، انظر :

Thes. L. Lat. v. 2. 1009, 67 ff.

(٣٦) E. Fraenkel, op. cit., p. 313.

(٣٧) من المحتمل أنهم الأجراء coloni ، وقد كانوا يستأجرون الأراضى الزراعية التى يمتلكها هوراتيوس ، كما كانوا يذهبون إلى ڤاريا للتسوق أثناء الانتخابات المحلية .

(٣٨) لاميا Lamia : هو لوكيوس أيليوس لاميا ، أحد الفرسان الرومان ، ناصر شيشرون فى القضاء على مؤامرة كاتيلينا، وقد تمكن القنصلان جابينيوس وبيسو عام ٥٨ق.م. من إصدار قرار بنفيه، لكنه عاد من المنفى وشايع قيصر أثناء الحروب الأهلية. حصل على الأيديلية عام ٤٥ ق.م. ثم البرايتورية عام ٤٢ق.م. وكان ابنه الذى يحمل نفس الاسم صديقًا لهوراتيوس ، وقد حصل لاميا الابن على القنصلية عام ٣م. وعيّنه تيبريوس واليًا على سوريا. ولقد وجه هوراتيوس قصيدتين إلى لاميا الابن (Od., i, 26, 3. 17).

(٣٩) قارن : Hor. Ep., i, 2, 27; Od., ii, 16, 19

# الرسالة الخامسة عشرة

وجه هوراتيوس الرسالة الخامسة عشرة إلى شخص يدعى ڤالا Vala ، وهو شخص غير معروف لنا ، لكن هوراتيوس ، على أية حال ، قد صوره على أنه أحد الأثرياء المعاصرين له ، ووصفه بأنه خبير بالمناطق السياحية فى إيطاليا(١) .

استهل هوراتيوس الرسالة بسلسلة من الاستفسار ات ، وكان أحيانًا يخرج عن سياق هذه الاستفسارات ليدلى ببعض التفسيرات . وبدأت سلسلة الاستفسارات هذه منذ البيت الأول بالرسالة ، حيث يسأل عن الطقس السائد فى بعض المنتجعات وأحوالها خلال فصل الشتاء(٢) :

ما عساه أن يكون حال الشتاء فى ڤيليا، وحال الطقس فى ساليرنوم،

ياڤالا، وأى صنف من الناس تحوى المنطقة ، وما هو حال الطريق ؟»

(١-٢)

ثم يبرر هذا الاستفسار فى عدة أبيات ( ٢-١٢) بادئًا بحرف الربط nam ، وفيها يعلل رغبته فى السفر للعلاج ، فقد كان معتاداً للذهاب إلى خليج باياى فى الشتاء(٣) ، حيث ينعم بالاستمتاع بمياهه الكبريتية ، ولكن طبيبه أنطونيوس موسى(٤) نصحه بالاستحمام بالماء البارد فى منتصف الشتاء . ويذكرنا قرار هوراتيوس هذا بإعلانه فى الرسالة السابعة الموجهة إلى مايكيناس بأنه سيذهب نحو الساحل ، وذلك ليعيش حياة تتسم بالبساطة :

« لكن إذا كسى الشتاء حقول ألبا بالثلوج ،

فإن شاعرك سيتجه صوب البحر وسيعتنى بنفسه ،

وسيقرأ وهو متدثر ، ......... » ( الرسالة السابعة ١٠-١٢)

ويبدو قرار هوراتيوس بأن لا يزور خليج باياى الذى اشتهر بإيقاع الحياة السريع[٥] متناغماً مع كلامه هذا .

لقد أكد هوراتيوس فى رسائل سابقة على تكريس نفسه لحياة الريف ، وأبدى رغبةً أكيدةً لا تتزعزع تحت أى ضغط فى العيش حياة تتسم بالبساطة ، وفى مقاومة إغراءات حياة الترف[٦] ، ولكنه ألمح فى بعض الإيماءات إلى تقلبه كما فى الرسالة الثامنة حيث يسخر من عدم قدرته على الإقامة سواء فى المدينة أو فى المناطق النائية لمدة طويلة :

**« فأنا متقلب كالريح، أحب تيبور وأنا بروما ، وأحب روما وأنا فى تيبور»**

**Romae Tibur amem ventosus, Tibure Romam.**

**(Ep., i, 8, 12)**

وعلى نحو مشابه فى الرسالة الرابعة يمزح مع ألبيوس المصاب باكتئاب فيصور نفسه بشكل ساخر على أنه خنزير فى قطيع إبيقوروس ، كإشارة منه إلى حياة الترف التى يعيشها (Ep., i, 4, 15-16) .

ويتجه هوراتيوس فى الرسالة الخامسة عشرة نحو التقلب ، ويرغب فى الاتجاه نحو الساحل وذلك من أجل حالته الصحية ، محصناً نفسه فى سفره بآراء إبيقوروس ، أى أنه يسعى وراء المنتجعات الممتعة ، ولهذا يريد من صديقه قالا ذى الأحوال المزدهرة أن يفيده بخبرته فى مجال السياحة وأن يدله على المناطق الساحلية المبهجة .

والحق أن الأبيات من ١–٢٥ تتسم بالإثارة حول المواقع الجغرافية وهى عبارة عن لغو ملتو[٧].

إنه لمن اللافت للنظر أن نغمة هوراتيوس المعارضة للمتع المادية التى تتميز بها الرسالة الرابعة عشر قد تغيرت فى الرسالة الخامسة عشرة ، ولهذا يقول ر.س. كيلباتريك إن التغيّر السريع لنغمة الرسالة الرابعة عشرة قد لا يدهش ناظر الزراعة ، لو أنه كان يعرف هوراتيوس جيداً مثلما يعرفه داڤوس فى الهجائية السابعة من الكتاب الثانى . لقد فاجأنا هوراتيوس بقائمة من الاستفسارات التى استهل بها الرسالة

الخامسة عشرة، وهى تظهر إثارة عظيمة بشأن المتع التى تنتظره فى المنتجعات الجديدة ذات المياه المعدنية(٨) .

ثم يعود هوراتيوس فى البيت الرابع عشر وما يليه إلى طرح الأسئلة ، حيث يسأل عن حال القمح والماء ، ثم ينتقل إلى السؤال عن الخمور ، ولكنه لا يرضى بأى نوع من الخمور كما هو الحال أثناء إقامته فى مزرعته ، بل يتطلع إلى أنواع جيدة منها :

« (ولكن) عندما أفد إلى الساحل ، فإنى أحتاج إلى (شراب) كريم ولطيف (كالخمر)، (فالخمر) قد تطرد عنى الهموم ، وتظل(حية) فى شراييني وقلبى ، والأمل الثرى يواكبها ، كما أنها تمدنى بالكلمات ، وتسلمنى كشاب يافع إلى (أحضان) محظية لوكانية،»

**ad mare cum veni, generosum et lene requiro,**

**quod curas abigat, quod cum spe divite manet**

**in venas animumque meum, quod verba ministret,**

**quod me Lucanae iuvenem commendet amicae; (18-21)**

وجدير بالذكر أن هوراتيوس – رغم أنه مدح الخمر فى الرسالة الخامسة – إلا أنه لم يذكر وجود أية فتاة فى حفل العشاء الذى يعده لصديقه توركواتوس ، أما فى هذه الرسالة فهو يتطلع إلى رفقة محظية **amica** لوكانية .

وتظهر هذه الفقرة أيضًا تناقضًا مع الرسالة السابعة حيث وصف الشاعر لمايكيناس حالته البائسة ، لأن شبابه قد ولى بلا رجعة وأصبح يفتقر إلى عذوبة الحديث ، كما أنه يفتقر إلى العلاقات الغرامية بعد أن هجرته كينارا غير الوفية . بينما فى هذه الرسالة يرى أن الخمر ستحقق له كل الأشياء التى ظن أنها ولت بلا رجعة ، فالخمر فى هذا المنتجع الشتوى ستعيد إليه شبابه **me iuvenem** ، وعذوبة الحديث **verba ministret** ، وارتباطه بمحظية لوكانية **Lucanae amicae**(٩) .

ويختتم هوراتيوس فقرته الاستهلالية الطويلة (١–٢٥) بمجموعة أخيرة من

الاستفسارات ، بدأها بالسؤال عن ضروريات الحياة كالقمح[١٠] والماء ومن الاستفسارات عن الضروريات ينتقل إلى السؤال عن بعض سمات الترف الرومانى وخصوصاً فى مجال الطعام :

«(كما يجب أن تحدثنى أيضًا) عن المنطقة التى تربى الكثير من الأرانب البرية،
وعن المنطقة التى تربى خنازير برية ،
وعن البحار التى تخبئ (فى جوفها) المزيد من الأسماك والقنافذ البحرية ،
لعلى أستطيع العودة إلى منزلى من هناك بدينًا كرجل من أهل فياكيا ،
إنه من اللائق أن تكتب لى ( عن كل هذا) ومن اللائق أن أصدقك »

(٢٢-٢٥)

لقد اتخذ هوراتيوس قراراً فى بداية الرسالة بأن يهجر خليج باياى السياحى الرائع الذى اعتاد الذهاب إليه ، وأن يتجه هذه المرة إلى إحدى المدن الساحلية ، وعلل ذلك القرار بأنه يتبع إرشادات الطبيب موسى . ولكنه بدأ فى الكشف عن نواياه الحقيقية بالقرب من نهاية استهلاله حيث أبدى رغبته فى احتساء خمور من نوع جيد generosum et lene وفى مرافقة فتاة من ذلك الإقليم . وتتضح نواياه الحقيقية فى الفقرة الأخيرة حيث يظهر اهتمامات الإنسان النهم ، فهو هنا لم يمدح الوجبات البسيطة التى طالما نصح أصدقائه بتناولها ، بل أبدى رغبته فى تناول أنواع شهية تتسم بالترف مثل الأرانب البرية[١١] ، والخنازير البرية[١٢] ، والأسماك[١٣] ، وقنافذ البحر[١٤] . إن ما يهدف إليه هوراتيوس إذن هو أن يعود إلى منزله بدينًا مثل واحد من أهل فياكيا pinguis Phaeax ، وتتشابه هذه الكلمات مع النهاية خفيفة الدم التى وضعها فى البيت الخامس عشر من الرسالة الرابعة .

كما أنه يمكن مقارنتها بوصفه للترف الزائد لأهل فياكيا واعتنائهم الزائد ببشرتهم فى الرسالة الثانية cutem curare (Ep., i, 2, 29)[١٥] .

وبالرغم من أن هوراتيوس أظهر أمانيه فى الاستمتاع ببعض ملذات الحياة من خمر ونساء وطعام ، إلا أننا لا نستطيع أن نجزم بأنه قد خالف آراءه عن البساطة كليةً ، فهو هنا يعلن عن تفضيله للذهاب إلى قيليا أو ساليرنوم على التوجه إلى خليج باياى. فهو إذن يعلن التخلى عن الذهاب إلى أكثر المناطق اتسامًا بالترف والرفاهية ،

وذلك من أجل منطقة نائية إلى حد ما وأقل شهرة فى ذلك المضمار . ومن ناحية أخرى فإن ڤـيليا كانت تتميز بالمناخ الإغريقى لساحل لوكانيا ، كما كانت لها شهرة كمنتجع هادئ ، وقد كتب شيشرون ذات مرة إلى تريباتيوس رسالة يغبطه فيها اللجوء إلى ڤـيليا التى وصفها بقوله a remoto, salubri, amoeno loco[١٦] ، ويبدو أن ڤالا مراسل هوراتيوس كان مثل تريباتيوس من الأثرياء الذين يمتلكون قصوراً فارهة بالمنطقة[١٧] .

وبدون تمهيد يقدم لنا هوراتيوس تصوير كاريكاتيرى لشخصية من هجائيات لوكيليوس[١٨] ، وهى شخصية ماينيوس :

« بعد أن قام ماينيوس بتبديد ممتلكات أبيه وأمه فى تصرف يتسم بالسفاهة،
وفد إلى المدينة فى صورة مهرج شريد ، لا يملك حظيرة دائمة (كمأوى له)،
وهو شخص- عندما لا يتناول إفطاره - يعجز عن التمييز بين الصديق والعدو،
وإنه لقاس فى تلفيق أية فضيحة ضد أى شخص ،
فهو طاعون سوق اللحوم وإعصاره وهاويته (السوقية)
وأيما شىء يحصل عليه فقد اعتاد أن يقذفه فى معدته الجشعة.
وعندما يحصل هذا الرجل على النذر اليسير ، أو يخفق فى الحصول على شىء
من المناصرين له أو من الخائفين منه ، فإنه اعتاد أن يتناول طعاما لعشائه من أطباق الكرشة،
و(أحشاء) الحمل رخيصة السعر ، وهى كمية طعام قد تكفى ثلاثة من الدببة؛
وبالطبع فإنه يصرخ آنذاك - مثل المصلح بستيوس -
بأن معدات المسرفين يجب أن تُكوى بشفرة ساخنة براقة .
وحيث إن هذا الرجل ذاته - مهما حصل على مكاسب أكبر -
كان يحول كل شىء إلى دخان ورماد ،
فقد طفق يردد القول : «وأيم الله إننى لن أكون فى عجب من أمرى
لو وجدت أن بعض الناس يلتهمون ثرواتهم ويضيعونها ،
حيث إنه لايوجد شىء أفضل من السمان الدسم ،
ولا شىء أجمل من معدة أنثى الخنزير الضخمة». (٢٦-٤١)

والعنصر الذى يربط هذه الصورة بما سبق هو أن ماينيوس نموذج للإنسان الأكول الشره (بيت رقم ٣٢) .

ولكن مع تطور الوصف يمكننا أن ندرك أن المحور الأساسى لصورة ماينيوس ليس شراهته ، بل هو عدم الاتساق مع النفس ، فهو عندما يفشل فى التطفل على مائدة أحد الأثرياء ليحصل على وجبة شهية وغنية بأصناف الطعام الفاخر ، فإنه يتناول وجبة متواضعة من حيث النوع ولكنه يأكل حتى التخمة ، وعندئذ يهاجم المسرفين . ولكنه عندما يمتلك بعض المال فإنه يعبر عن تعاطفه مع هؤلاء الذين يسرفون فى إنفاق أموالهم على أصناف الطعام الشهية ، مثلما كان هو نفسه يفعل فى سالف الزمان عندما كان ثرياً. ولعل هذا الجزء يذكر القارئ بالصورة التى رسمها داڤوس لهوراتيوس[١٩] ، لقد كان يمتدح الحياة البسيطة[٢٠] عندما لا تتم دعوته إلى حفل عشاء، ولكن عندما تصله دعوة فى وقت متأخر من مايكيناس فإنه يهرول إليه بفرحة عارمة . ولهذا بعد أن صور شخصية ماينيوس يعترف هوراتيوس بأن ماينيوس ليس إلا هو نفسه :

« هذا الرجل بالطبع هو أنا نفسى!

فعندما أفتقر إلى الثروة، فإننى أثنى حينئذ على الأشياء القليلة جداً والمضمونة،

(والتى تعد) كافية بالتأكيد بين الأشياء عديمة القيمة .

لكن عندما أحصل على شىء أفضل وأكثر ثراء ،

فإننى أنا نفسى الذى أقول إنكم وحدكم الحكماء ،

وإنكم تعيشون حياة رغدة ،

يا من تبدو أموالكم المستثمرة واضحة وجلية للعيان فى قصوركم الفخمة .»

(٤٢-٤٦)

فهوراتيوس إذاً هو ماينيوس ، فى تقلبه وعدم ثباته فى الحكم على الأمور ، فعندما تسير أحواله من سيىء إلى أسوأ فإنه بصبر وجلد يتحمل كل ماهو رخيص

ومتواضع (vilia, 35) ، بل يذهب إلى القول بأنه يفضل كل ما هو آمن وضئيل tuta et parvola . ولكنه عندما يحظى بحظ أوفر فإنه يعتقد أن الحياة الرغدة هى تلك التى يحظى بها الأثرياء وحدهم ، حيث إنهم يستثمرون أموالهم فى تشييد منازل فخمة[٢١] .

ويتفق هوراتيوس معماينيوس فى نقطة أخرى غير عدم الاتساق مع النفس ، ألا وهى القدرة على التكيف مع الظروف ، وذلك بجعل الظروف التى يحيون فى ظلها هى أفضل الظروف ؛ كما أن كلاً منهما يسعى إلى تحسين أوضاعه . وكأن كلاً من هوراتيوس وماينيوس يحاكيان النموذج الذى قدمه الفيلسوف أرستيبوس :

« وتارة أخرى أعاود الانسلال خلسة إلى مبادئ أرستيبوس ،

وأحاول أن أخضع الظروف لنفسى ، لا أن أخضع نفسى للظروف».

(الرسالة الأولى ١٨-١٩)

« إن ما يلائم أرستيبوس هو كل أسلوب معيشة وكل حال وكل ظرف من الظروف ،

فهو من يسعى وراء أسمى الأشياء، ولكنه يرضى عمومًا بما لديه الآن».[٢٢]

( الرسالة السابعة عشرة ٢٣-٢٤)

يرى ر.س. كيلباتريك أن هوراتيوس قد وضع هذه الرسالة ذات الطابع المزاحى بين رسالتين جادتين إلى حد كبير (Ep., i, 14 : i, 16) ، وكان يهدف من وراء هذا أن يثبت لقرّائه بأنه قادر على أن يوجه نفسه وعمله على نحو معتدل ، وأنه بعيد كل البعد عن المغالاة سواءً فى السلوك أو الآراء ، وأن آراءه حول الحياة السعيدة ، وخصوصاً مدحه للحياة البسيطة فى المزرعة ، ليست بالآراء المتشددة[٢٣].

« ما عساه أن يكون حال الشتاء في ڤيليا ، وحال الطقس في ساليرنوم[٢٤] ، ياڤالا،
وأي صنف من الناس تحوي المنطقة ، وما هو حال الطريق ؟»
لأن أنطونيوس موسى يعتقد أن باياى[٢٥] غير ذات جدوى
بالنسبة لحالتي ، ويجعل وجودي - على أية حال - مذموماً هناك ،
حيث إنه ( يتبغى علىَّ) أن أستحم بالماء البارد في منتصف الشتاء .
حقًا إن الريف ليحزن بالطبع على مروجه المزروعة بالآس العطري، التي قيل إنها هُجرت.
وعلى حماماته الكبريتية التي قيل إنها احتقرت ،
وقيل إنها تطرد المرض البطيء (وتزيل الأضطراب) من الأعصاب ، كذلك فإن
(الريف) يحسد المرضى ، الذين تواتيهم الجرأة على غمر رءوسهم وبطونهم في
ينابيع كلوسيوم[٢٦] ،
والذين يقصدون مدينة جابي[٢٧] وقراها الباردة . إن منتجعي لابد وأن يتغير،
وإن جوادي لابد وأن يُساق إلى أبعد من محل إقامتي المألوف .
"إلى أين أنت ذاهب؟" "إنني لا أشد الرحال صوب كوماى[٢٨] أو باياى":
هكذا سيقول الفارس الغاضب وهو ممسك بسير اللجام الأيسر ؛
وإن كانت أذن الجواد لاتزال ( مربوطة) في فمه الموثق باللجام؛ ( يجب أن تخبرني أيضًا)،
أي من الشعبين تطعمه من الغلال وفرة أكثر؟[٢٩] وهل يشربان كلاهما من مياه الأمطار
المجمعة (في صهاريج) أم يشربان من آبار ذاتِ مياه لا تنقطع ولا تنفد طوال العام؟
حيث إنني لا أقلق نفسي بشأن الخمر ، في تلك المنطقة :
ففي مزرعتي أستطيع تحمل أي شيء ومعاناته (أيضًا) ،
(ولكن) عندما أفد إلى الساحل ، فإني أحتاج إلى (شراب) كريم ولطيف (كالخمر)،
(فالخمر) قد تطرد عني الهموم ، وتظل (حية) في شراييني وقلبي ،
والأمل الثري يواكبها ، كما أنها تمدني بالكلمات ،
وتسلمني كشاب يافع إلى (أحضان) محظية لوكانية[٣٠] ،

(كما يجب أن تحدثنى أيضًا) عن المنطقة التى تربى الكثير من الأرانب البرية،
وعن المنطقة التى تربى خنازير برية ، وعن البحار التى تخبئ (فى جوفها) المزيد من الأسماك
والقنافذ البحرية ، لعلى أستطيع العودة إلى منزلى من هناك بدينًا كرجل من أهل فياكيا[٣١]،
إنه من اللائق أن تكتب لى ( عن كل هذا) ، ومن اللائق أن أصدقك .
بعد أن قام ماينيوس[٣٢] بتبديد ممتلكات أبيه وأمه فى تصرف يتسم بالسفاهة،
وفد إلى المدينة فى صورة مهرج شريد ، لا يملك حظيرة دائمة (كمأوى له)،
وهو شخص- عندما لا يتناول إفطاره - يعجز عن التمييز بين الصديق والعدو،
وإنه لقاس فى تلفيق أية فضيحة ضـد أى شخص ،
فهو طاعون سوق اللحوم وإعصاره وهاويته (السوقية)
وأيما شىء يحصل عليه فقد اعتاد أن يقذفه فى معدته الجشعة.
وعندما يحصل هـذا الرجل على النذر اليسير ، أو يخفق فـى الحصول على شىء من
المناصرين له أو من الخائفين منه ، فإنه اعتاد أن يتناول طعـامًا لعشائه من أطباق الكرشة،
و(أحشاء) الحمل رخيصة السعر ، وهى كمية طعام قد تكفى ثلاثة من الدببة؛
وبالطبع فإنه يصرخ آنذاك - مثل المصلح بستيوس[٣٣] - بأن معدات
المسرفين يجب أن تكوى بشفرة ساخنة براقة. وحيث إن هذا الرجل
ذاته - مهما حصل على مكاسب أكبر - كان يحول كل شىء إلى دخان ورماد ،
فقد طفق يردد القول : «وأيم الله إننى لن أكون فى عجب من أمرى
لو وجدت أن بعض الناس يلتهمون ثرواتهم ويضيعـونها ،
حـيث إنه لايوجد شـىء أفضل من السـمـان الدسم ولاشىءأجمـل من معـدة أنثى
الخنزير الضخمة.»
هذا الرجل بالطبع هو أنا نفسى! فعندما أفتقر إلى الثروة،
فإننى أثنى حينئذ على الأشياء القليلة جداً والمضمونة، ولكن عندما أحصل
على شىء أفضل وأكثر ثراء ، فإننى أنا نفسى الذى أقول
إنكم وحدكم الحكماء ، وإنكم تعيشون حياة رغدة ،
يا من تبدو أموالكم المستثمرة واضحة وجلية للعيان فى قصوركم الفخمة .

# الهوامش

(١) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 94.

(٢) R. Mayer, op. cit., p. 213.

(٣) cf. Ep., i, 7,11.

(٤) عالج أنطونيوس موسى الإمبراطور أوغسطس من مرض عضال عام ٢٣ق.م. بالحمامات الباردة (Suet., Aug., 59. 81; Dio Cass., 53. 30)

(٥) cf. Prop., i, 11; Ov., A.A., i, 255; Sen., Ep. Mor., 51; Mart., i, 62.

(٦) وعلى وجه الخصوص الرسالة العاشرة والرابعة عشرة .

(٧) يعتقد E.P. Morris, op. cit,. p. 96. أن هوراتيوس فى الرسالة الخامسة عشرة يبدو كرجل مشوش ، شديد العناية بالتفاصيل ، وأنه راغب فى الحصول على أشياء كثيرة فى آن واحد .

(٨) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 93.

(٩) M.J. McGann, op. cit., p.71.

(١٠) إن الاستفسار عن حال القمح له ما يبرره ، وذلك لأنه كانت قد حدثت مجاعة فى أنحاء إيطاليا (Cass. Dio, 54., i, 1ff.) ، وقد أكد فى الرسالة الثانية عشر (Ep., i, 12, 28f.) على الوفرة والنماء الذى تلى نقص القمح فى إيطاليا .

(١١) cf. Hor., Sat., ii , 4,44; ii, 8, 89.

(١٢) تشتهر لوكانيا بالخنازير البرية cf. Hor., Sat., ii, 3, 234f. ; ii, 8, 6

(١٣) ذكر هوراتيوس الأسماك فى هذا الموضع لندرتها فى الشتاء cf. Sat., ii, 2, 16f; ii, 3,235 وعن ارتفاع سعر بعض أنواع الأسماك انظر.

.Sat., ii, 2, 120; ii, 4, 37.

(١٤) cf. Sat., ii, 4, 33; ii, 8, 52.

(١٥) M.J. McGann, op. cit., pp. 71f.

(١٦) Cic., ad Fam., vii, 20, 2.

(١٧) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 95.

(١٨) قدم هوراتيوس فى هجائياته أكثر من تصوير كاريكاتيرى لبعض الشخصيات مثل : Sat. i,3, 3ff; ii, . 2, 55ff.; ii, 3, 142 ff. , 168ff, 226ff.

(١٩) Hor., Sat., ii, 2, 29 ff.

(٢٠) laudas securum holus (30).

(٢١) M.J. McGann, op. cit., pp. 72f.

(٢٢) R. Mayer, op. cit., p. 218

(٢٣) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 96.

(٢٤) ڤـيليا وساليرنوم من المناطق الساحلية .

(٢٥) تشتهر باياى بحماماتها الكبريتية الساخنة فى حين أن طبيبه موسى وصف له الماء البارد كعلاج له ، وهو ما ليس موجوداً هناك بالطبع .

(٢٦) مدينة إتروسكيه قديمة .

(٢٧) مدينة قديمة بسهل لاتيوم .

(٢٨) تقع مدينة كوماى بالقرب من نابولى وتشتهر بأنها موطن العرافة كيبيلى .

(٢٩) يقصد الشاعر هنا ( أى الشعبين أكثر إنتاجاً للغلال من الآخر) .

(٣٠) لوكانيا منطقة بجنوب إيطاليا .

(٣١) الفياكى Phaeax : واحد من الفياكيين ، والفياكيون هم سكان جزيرة كوركيرا التى كان يحكمها ألكينوس ، وقد تميزوا برغد العيش ورفاهيته .

(٣٢) ماينيوس Maenius : هو أحد المعاصرين للوكيليوس، وقد اشتُهر بالإسراف حتى أنه بدد كل ممتلكاته ؛ فاضطر إلى العمل كمهرج ، وكان يمتلك منزلاً فى وسط السوق اشتراه منه كاتو الرقيب وأقام محله مبنى . ويروى البعض أن ماينيوس عندما باع منزله احتفظ لنفسه بأحد الأعمدة وأقام عليه شرفة ليرى منها الألعاب الرياضية. وقد أُطلق على عموده هذا اسم Columna Maenia، وقد تحدث عنه هوراتيوس فى هجائياته .Sat., i, 1, 10-11, i,3, 21

(٣٣) لانعرف شيئًا عن بستيوس ، لكنه ربما يكون مثل ماينيوس أحد شخصيات لوكيليوس . وطبقا لأكرو فهو رجل مقتصد جداً ، ومن المحتمل أنه كان مسرفًا فى بداية حياته . وكلمة المصلح تأتى كتورية ، فبستيوس يعد نموذجاً للرجل الفاسق الذى يعتلى منبر الوعظ .

# الرسالة السادسة عشرة

يعود بنا هوراتيوس مرة أخرى ، وللمرة الأخيرة ، إلى مزرعته السابينية . ولقد أمدتنا الرسالة السابقة بتحول كبير في حالته المزاجية ، متكراً إيانًا أن حبه الريف بعيد تماماً عن التعصب . وعلى أية حال فإن أسئلة مراسله عن أحوال المزرعة هي التي دفعته إلى الكتابة عنها من جديد .

وجه هوراتيوس الرسالة السادسة عشرة إلى كوينكتيوس الذي يعتقد م.ج. مكجان أنه هو T.Quinctius Crispinus الذي تولى القنصلية عام ٩ق.م ، وعشيق جوليا[١]. في حين يرى R.Mayer أنه Quinctius الثري الذي وجه إليه إحدى غنائياته (Od., ii, 11) [٢] .

تبدأ الرسالة بشكل درامي بافتراض أن هناك رسالة سابقة من جانب كوينكتيوس يسأله فيها عن أحوال مزرعته، وأن هذه الرسالة جاءت كرد على رسالة كوينكتيوس[٣]:

« لكي لا تسألني يا كوينكتيوس بالغ النبل[٤] .....» (١)

ثم أتبع الشاعر ذلك بسؤال غير مباشر يتضمن أحد محاور المناقشة ، ألا وهو النماء في المحصول :

« ... عما إذا كانت مزرعتي تمد مالكها[٥] بأرض مزروعة بالغلال[٦]؟

أم أنها تغدق عليه الثراء بثمار الزيتون ؟

أم بأشجار الفاكهة ؟ أم بالمروج ؟

أم بشجرة صفصاف متدثرة بالكروم ؟ » (١ ب -٢)

وحرى بنا أن ندرك أن هوراتيوس هنا قد ميز بين المحاصيل الزراعية التى تجنيها المزرعة ، وبعبارة أخرى فإنه فرّق بين محصول القمح وبين بقية الثمار مثل الزيتون والفاكهة والكروم .

والحق أن هوراتيوس لم يكن أول من صنف المحاصيل الزراعية حسب أهميتها، فهذا كاتو قد قسمها من حيث الأهمية على النحو التالى : الكروم ، الحدائق، السنديان الذى يُصنع من أخشابه الآرائك ، بساتين أشجار الزيتون ، المروج التى تمد الماشية بالكلأ ، ثم القمح ومزارع الأخشاب ، وبساتين الفاكهة وبساتين البلوط(٧) .

وبمقارنة قائمتى كل من هوراتيوس وكاتو نلاحظ أن الأخير قد وضع القمح فى المرتبة السادسة ، وذلك لأن القمح فى عصر كاتو لم يكن له الأهمية نفسها البالغة التى لعبها فى الحياة السياسية فى عصر هوراتيوس .

ولقد ذيّل هوراتيوس قائمته بالحديث عن موقع عزبته الجغرافى ومناخها ، وذلك بهدف أن تنال استحسان كوينكتيوس(٤-٧) ، ولكى يؤكد على الخيرات التى تدرها عليه مزرعته فقد أضاف قائمة أخرى من الثمار تشبه إلى حد كبير الجزء الأخير من قائمة كاتو :

> « ولكن ماذا لو (علمت أن) شجيراتى، وافرة النماء ، تنتج ثمار الكرز الحمراء وثمار البرقوق؟ وماذا لو (علمت أن) أشجار السنديان والبلوط تسعد ماشيتى بوافر ثمارها ، وتبهج سيدها بوارف ظلها ؟» (٨-١٠)

ثم يعود هوراتيوس مرة أخرى إلى مدح ضيعته ، فهى تقع عند سفح الجبل وجيدة الرى وقريبة من المدينة ، ويشبهها بأنها مثل تارنتوم فى نضرتها ، وكأن تارنتوم قد دنت من روما (١١-١٤)(٨) .

وبالنظر إلى هذا الاستهلال نستطيع القول بأن هوراتيوس حاول الرد على بعض الأسئلة التى يفترض أن كوينكتيوس يرغب فى السؤال عنها : « لكى لا تسأل (١) **ne perconteris,** . وتدور هذه الاستفسارات حول وضع المزرعة كمصدر ثراء لهوراتيوس . ولكن هوراتيوس بدلاً من أن يجيب عليها ، فإنه يرد بأنه سيصف موقعها وطبيعة أرضها: **scribetur tibi forma loquaciter et situs agris (4)** .

ومن الغريب أن وصف هوراتيوس لموقع مزرعته لم يتضمن أية إجابة على الأسئلة، ولكن يمكننا أن نستشف من مجموعة أسئلته الثانية أن المزرعة تحقق لصاحبها كل ما يتمناه من وفرة سواءً في المحاصيل الأساسية كالقمح والزيتون والفاكهة . كذلك فإنها تقدم لماشيته الكلأ ، كما أنها تمده بأنواع متميزة من الثمار كالبرقوق والكرز ، وعلاوة على كل ذلك فإنها تمنحه الظل الوارف الذى يذكّره بتارنتوم ؛ بل إنها تعد أفضل من تارنتوم لقربها من روما . كما أن بها مجرى مائى بارد وصافى وله خصائص علاجية ، وهو نهر هيبروس[٩] .

وجدير بالذكر أن وصف هوراتيوس لمزرعته بالرسالة السادسة عشرة قد اختلف عن وصفه إياها بالرسالة الرابعة عشرة ، ففى الرسالة الرابعة عشرة بدت مزرعته كمزرعة حقيقية ، فهى مزدحمة بأبناء العائلات الأربع التى تسكنها وتستأجر أرضها، كما أن ناظر الزراعة فيها مشغول بالعديد من المهام والواجبات ، على حين أنه فضل فى الرسالة السادسة عشرة وصف المحاصيل التى تجود بها الأرض ، كما رغب فى مدح موقعها الجغرافى ومناخها .

فعلى عكس النشاط الذى ألمح إليه فى الرسالة الرابعة عشرة ، فإن الهدوء والسكون يسودان المزرعة فى الرسالة السادسة عشرة ، فهوراتيوس يعطى الانطباع بأنه لا يوجد أشخاص آخرون بالمزرعة ، وكأن قطعانه **pecus** فقط هى التى تشاركه أرضها . فهى إذًا منتجع أكثر منها مزرعة ، بل هى فى حقيقة الأمر ملاذ للحياة البسيطة ، وهذا ما ألمح إليه فى نهاية استهلاله الطويل (١-١٦) ليجعل منه مدخلاً لمناقشة جادة[١٠]:

**« هذا المكان المتوارى الجميل والمبهج ، حقًا ، لو صدقتنى ،**

**سيجعلنى أبدو أمامك سليمًا حتى فى ساعات شهر سبتمبر »**

**hae latebrae dulces, etiam, si credis, amoenae,**

**incolumem tibi me praestant Septembribus horis.**

**(15-16)**

ويشير هذين البيتين إلى الفوائد التى ينعم بها هوراتيوس فى مزرعته ، فهى تجلب البهجة (amoenae) والعزلة التى ينشدها (latebrae) ، كما أنها تجلب الصحة النفسية والبدنية (incolumem)[١١] . ويعتقد ر.س. كيلباتريك أن هوراتيوس كان حريصاً على نعت مزرعته بالصفة «مبهجة amoenae » ، لأن المتع المرئية كانت تجذب الأثرياء الرومان إلى شرفات قصورهم الريفية ولهذا فقد وصف سرفيوس هذه القصور الريفية بعبارته[١٢] :

« إن الأماكن المبهجة هى الزاخرة بالمتعة فقط ......»

amoena sunt loca solius voluptatis plena ..... (Serv., Aen., 5. 734)

انتقل هوراتيوس بعد ذلك إلى مناقشته الأساسية ، وقد بدأها بالحديث عن سلوك كوينكتيوس :

« حرى بك أن تعيش باستقامة ، إذا حرصت على أن تأتى

تصرفاتك وفق ما تسمع من (الناس وهم يطلبونه منك)»

Tu recte vivis, si curas esse quod audis. (17)

لقد أنهى هوراتيوس استهلاله بفقرة تتحدث عن «الأماكن المتوارية» ، ثم بدأ موضوعه الرئيسى بفقرة تبدأ بالحديث عن سلوك كوينكتيوس فى الحياة « إنك تعيش باستقامة tu recte vivis, 17 » . ويعد الربط بين الأماكن المتوارية وسلوك المرء الحياتى والعيش باستقامة ربطاً مقصوداً من جانب هوراتيوس . فهوراتيوس يرى أن أسلوب معيشته فى المزرعة يجلب له الصحة وصفاء العقل[١٣] ، وهو يخشى أن يكون اهتمام كوينكتيوس وحرصه على أن يبدو كما يقول الناس عنه أكثر من حرصه على اتباع معاييره ومبادئه الشخصية النابعة من طبيعته . ويؤكد هوراتيوس على هذا المعنى فى سطوره التالية :

« منذ زمن بعيد ونحن نظن – بوصفنا كل (سكان) روما– أنك أنت الإنسان السعيد ،

لكنى أخشى أن تثق برأى أى شخص آخر بصددك، أكثر من ثقتك بنفسك،

و(أخشى) أن تظن أن السعيد هو أى شخص آخر غير الحكيم الصالح،

و(أخشى) أنه ، إذا دأب الناس مراراً على قولهم إنك سليم البدن وفى أتم صحة،
أن تُخفى (عنهم) عند حلول وقت الغداء أن الحمى الدفينة ( قد أصابتك)،
إلى أن تصيب الرعشة يديك المكسوتين بالدهن .
إن حياء الحمقى[١٤] الكاذب يخفى (عن الناس) قروحهم التى لم تندمل بعد.»

(١٨-٢٤)

لقد حرص كوينكتيوس على الحفاظ على مظهره (videri) ، ومثل هذا السلوك قد يكون مصدر خطورة على حالته الصحية ، فلكى يكون المرء سعيداً beatus حقًا فإن ذلك يعنى أن عليه أن يكون صالحًا وحكيمًا vir bonus et sapiens . والحق أن موضوع الصحة الجسدية قد جاء ليفتح الباب إلى موضوع الصحة الأخلاقية (٢٥-٤٠) .

ولقد صور هوراتيوس نفسه من قبل بأنه بسليم البدن والنفس (incolumis , 17) وأرجع ذلك لأسباب قد تصيب كوينكتيوس بالدهشة : وهى حياة الدعة فى مزرعته، والابتعاد عن المدينة وما بها من إثارة . ومثلما أن كوينكتيوس ليست له معايير صائبة بالنسبة لحالته الصحية الجسدية ، فإن معاييره غير صائبة أيضًا بالنسبة لحالته الأخلاقية : لقد جعل كوينكتيوس استحسان العامة لمظهره الخارجي مرشداً له فهو يحقق له المكانة والهيبة كما أنه يستلهم منه الحكم على الأمور بالصواب أو الخطأ.

وهنا يحذر هوراتيوس صديقه من أن يدع نفسه لآراء العامة وأهوائهم ، فإن الجمهور إن منحك لقبًا اليوم فمن حقه أن يسلبك إياه غداً :

« وعندما تسمح بأن يُطلق عليك (وصف) الرجل الحكيم الذى لاعيب فيه،
فهل ستكون مسئولاً عن لقبك ، أخبرنى أرجوك !
"بالطبع إننى مثلك أحب أن أُدعى ( بلقب ) الصالح الحكيم" .
(ولكن اعلم) أن من يمنحك هذا (اللقب) اليوم ، فإنه غداً إن شاء سينتزعه منك،
كمثل من يمنح شارات القنصلية لشخص غير جدير بها ، ثم يقوم هو نفسه بسلبها منه».

(٣٠-٣٤)

استخدم هوراتيوس الفعل (vocari, 30) في البناء للمجهول ليبرز أن ما يقال عن الرجل أمام الجمهور شيء مخالف لما يُقال عنه في الواقع ، ولعل هذا المعنى تأكيد على تعبيره السابق (esse quod audis, 17)[١٥] . وتصل هذه الصورة الدرامية إلى ذروتها بتخلي المرء عن ما منحه له العامة ، واعتصار الحزن لقلب من ترك نفسه لأهواء العامة[١٦]:

« وعندما يقول لي : "ضع هذه (الشارات) فإنها ملكي"، فإنني عندئذ (لاأملك سوى أن ) أتخلى عنها وأنسحب حزيناً.»

"Pone, meum est" inquit: pono tristisque recedo.(35)

ولهذا يعلن أن الرجل غير الصالح ولا الحكيم هو من يبهجه الشرف الزائف fal-sus honor ، وهو من يخشى التشهيرات الكاذبة mendax infamia (٣٦-٣٩) ثم يترك هوراتيوس الصور السلبية ، ويتحول فجأة إلى الإيجابية فيسأل عن ماهية الرجل الصالح ، ويحاول بعدها الإجابة عن هذا السؤال :

« من هو (إذن ) الرجل الصالح؟

إنه من يتقيد بقرارات السناتو ، وينصاع للتشريعات والقوانين،

والذي بحكمه يتم الفصل في الكثير من القضايا والمنازعات الصعبة ،

والذي بتدخله كضامن يتم الحفاظ على الممتلكات ، والذي بشهادته تُكسب القضايا.»

(٤٠-٤٣)

ومن اللافت للنظر هنا أن هوراتيوس قد جعل معايير الرجل الصالح تشير إلى المسئولية المدنية[١٧] . ولكن مثل هذا الرجل لا يعتبر صالحاً بحق ، لأن الآخرين سوف يحكمون عليه بأنه مرائي:

« لكن كل أفراد الأسرة وكل الجيران ينظرون إلى هذا الرجل ،

على أن باطنه قبيح (رغم أنه) حسن المظهر بفضل بشرته الجميلة.»

(٤٤-٤٥)

وعلى هذا، فإنه على هوراتيوس البحث عن بديل آخر لتعريف الرجل الصالح[١٨] . ويعتقد ت.سينكو T.Sinko أن هذا التعريف للرجل الصالح جاء مبنيًا على آراء العامة (٤١-٤٣)، ولا يعد ذلك خطأ ، ولكنه تعريف ناقص ، وذلك لأن هذا الرجل حسب رأى العامة لديه قوة نفوذ بين الناس وفى ساحات القضاء ، ولكن الناس لا يفشلون فى التعرف على حقيقة جوهره . ولهذا فإن هوراتيوس يبحث عن الرجل الصالح بين أفراد طبقة أخرى على النقيض تمامًا من طبقة رجال السياسة السابقة ، ألا وهى طبقة العبيد[١٩] .

ومن ثم يعود هوراتيوس ثانية إلى مزرعته السابينية فى بحثه عن معيار الاستقامة بالنسبة للرجل الصالح (٤٦-٥٥) ، حيث يدعى أحد العبيد بالمزرعة كذبًا أنه لم يسرق مكيال البقول وذلك لخشيته من العقاب . ذلك إن سرقة العبد لحبات البقول تعد جريمة ، وذلك لأنه يمكن أن يسرق الكثير إذا أُتيحت له الفرصة . كما أن الانتهاكات لا تُقاس بالنتائج ولكن بطبيعة الإثم . ومن الواضح أن هوراتيوس قد تأثر هنا بشيشرون فى مؤلفه «تناقضات الرواقيين» ، حيث رأى الرواقيون أن الآثام ليست كلها متساوية[٢٠] . وعلى أية حال ، فإن العبيد كانوا يحجمون عن السرقة فقط لخوفهم من العقاب ، أما الصالحون بحق فهم يتحاشون أصلاً الوقوع فى الخطأ لحرصهم على الفضيلة :

« ويكره الصالحون ارتكاب الآثام بدافع من حب الفضيلة ، أما أنت (أيها العبد)
فلن ترتكب أى جرم لخوفك من العقاب :
ولو كان هناك أمل لديك من الإفلاتِ (من العقاب):
فإنك ستخلط بلا ريب بين ما هو مقدس وما هو دنيوى (مدنس) . »

(٥٢-٥٤)

وهكذا فإنه لا يمكن اتخاذ العبد السابينى هو الآخر كنموذج للرجل الصالح[٢١].

ويحاول هوراتيوس البحث عن تحديد إيجابى للرجل الصالح من أجل صديقه ، وفى هذه المرة يرفض نموذج الرجل ذى النفوذ **vir magna auctoritate** المحتال الذى يدعى بأنه هو الرجل الصالح . فهذا النوع من الرجال يستخدم الدين كعون له على

الخداع ، فهو يذهب إلى المعابد ويقدم الأضحيات ويتضرع إلى الآلهين يانوس وأبوللو بصوتٍ عالٍ ، ولكنه في الخفاء يتمتم بشفتيه لكي لا يسمعه أحد وهو يدعو الربة لاڤرنا راعية اللصوص والمحتالين لكي تمنحه القدرة على خداع المواطنين ، ولكي لايعرف أحد حقيقة شخصيته (٥٥-٦٢) . وهكذا فإن هذا النمط من الرجال الذين يرتدون عباءة التدين لخداع الناس ، يعد نمطًا مرفوضًا في رأى الشاعر.

كذلك يرفض هوراتيوس وصف البخيل **avarus** بأنه الرجل الصالح (٦٣-٧٢) لأن دوافع البخيل هي الأمل في الكسب والخوف من الخسارة ، ولهذا فإن هذا الرجل بعيد تمامًا عن الفضيلة :

« لقد خسر أسلحته وتخلى عن مقعد الفضيلة ،

من يسارع دائمًا إلى الاستزادة من الربح وينشغل بجمع المال» (٦٧-٦٨)

فالفضيلة **virtus** والبخل **avaritia** أمران متعارضان [٢٢] .

فحرص البخلاء على عدم الخسارة يقودان إلى الاستفادة من الأسرى ، فالأسير إن قتله سيده فلن يستفيد به ، وإن باعه كعبد أو استغل مواهبه فإن ذلك سيجلب النفع عليه بأقل تدريب . ويرى هوراتيوس أن الأسير هو الآخر لا يصلح لأن يكون نموذجًا للرجل الصالح وذلك لأنه عبد لمخاوفه (٦٩-٧٢) .

بعد ذلك ينقلنا هوراتيوس من الحديث عن الأسرى في روما إلى أسير آخر من الأساطير الإغريقية ، حيث ينهي الرسالة بمشهد من التراچيديا الإغريقية ، وهو مشهد مأخوذ من تراچيدية عابدات باكوس ليوربيديس (٤٩٢-٤٩٨) ، حيث إن الملك بنثيوس ملك طيبة قد أسر غريبًا ووضعه في الأصفاد واستولى على ممتلكاته ، وذلك دون أن يعلم أن هذا الغريب هو الإله ديونيسوس ذاته . ويواجه الإله الأسير الملك بكل ثبات دون أن يأبه بما يتعرض له من معاناة وآلام ، فموت المرء واقفًا في عزة وكرامة خير له من الحياة في ذل وعبودية ، طالما أن الموت هو نهاية كل المخلوقات (٧٣-٧٩) .

غير أن هوراتيوس قد حرص في النهاية على تحديد من هو الصالح **bonus** والحكيم **sapiens** (٧٣) . فالرجل الصالح بحق هو من يعتنق الفلسفة ويدرب نفسه

على العيش باستقامة وحكمة . ولقد عرض هوراتيوس المشهد الدرامى المقتبس من عابدات باكوس بشكل مجازى : فالسجين ، وهو الإله ديونيسوس ، يمثل الرجل الصالح والحكيم الرواقى ، فهو واقع تحت تهديد خطر حقيقى ، ولكنه مع هذا يتصف بالثبات والشجاعة **fortitudo** ، ولهذا سيجرؤ **audebit, (73)** على مواجهة ذلك الطاغية الذى هدد سجينه فى البداية بالاستيلاء على ممتلكاته (٧٥) ، وحيث إن خسارة الممتلكات لا تشغل بال الأسير ، فإن بنثيوس يهدده بعد ذلك بالسجن والتعذيب بواسطة سجان قاس (٧٦-٧٧) ، فيرد الأسير رداً حاسماً :

« عندما أرغب فى ذلك ، فإن الرب نفسه سوف يطلق سراحى»

**ipse deus, simul atque volam, me solvet. (78)**

ويرى شيشرون أن الحرية **libertas** هى « القدرة على أن تعيش كما تشاء » **potestas vivendi ut velis** ، فالرجل الحر بحق هو من يمتلك إرادة حرة من كل أشكال العبودية ولا يخضع للانفعالات والرغبات(٢٣) .

لم يشأ هوراتيوس أن ينهى الرسالة بهذا المشهد الدرامي دون أن يعقب عليه دون أن يذكر الهدف من القصة :

« أعتقد أنه يريد القول: "إننى سأموت" ؛ فالموت هو الخط
الذى يحدد نهاية (كل) المخلوقات»

**opinor**

**hoc sentit "moriar". mors ultima linea rerum est. (78-9)**

ويعتقد ر.س. كيلباتريك أن هوراتيوس لم يكن يعنى بالبيت الأخير أن الانتحار هو الرد على التهديد الذى يهدد حرية الإنسان الشخصية ، بل يعتقد أن الموت الذى اقترب لا يمكنه أن يدمر سكينة الحكيم وثباته ، فالإشارة إلى الحارس القاسى **saevus custos** توحى بالموت تعذيباً، وهو أمر لا يخيف الرجل الصالح الحكيم **vir bonus et sapiens** ، الذى يقبل الموت بطريقة رواقية حقيقية بطاعة للرب حيث تندمج إرادته بإرادة الرب . وإذا كان الموت هو نهاية الطريق لكل الأحياء فمرحباً به(٢٤) .

ومما سبق ندرك أن هوراتيوس فى استهلاله للرسالة قد بادر بالإجابة على بعض استفسارات كوينكتيوس بخصوص مزرعته ، ومن خلال هذه الإجابة قدم لنا وصفًا رائعًا لمزرعته وموقعها الجغرافى ومناخها ومنتجاتها وما تقدمه من خير لحالته الصحية والنفسية . ويأتى حديث هوراتيوس عن مزرعته للتعبير عن منهجه فى الحياة وموقفه من الثروة ، ويرى هوراتيوس أنه يحيا حياة ملائمة ، كما يعتقد أن كوينكتيوس أيضًا سيحيا حياة ملائمة إن حاول بجد أن يكون على مستوى الصورة التى يتحدث بها الناس عنه (١٧) . إن كوينكتيوس أيضًا سعيد **beatus** ولكنه يحاول أن يتبنى معايير غريبة عن طبيعته **natura** الشخصية (١٩) .

ويبدأ هوراتيوس بعد ذلك رحلة البحث عن الرجل الصالح والحكيم **vir bonus et sapiens** ، ثم يرشح أربعة نماذج من البشر لهذا اللقب ، فيسأل : هل الصالح هو السياسى المرائى ، أم العبد الكادح فى الأرض الزراعية ، أم المحتال المدعى للتدين الذى يخدع الناس تحت عباءة الدين ، أم الثرى البخيل ، أم أسير الحرب ؟ وفى النهاية يعلن أن أيًا منهم لا يعد الرجل الصالح والحكيم ، فكل منهم يظهر خلاف ما يبطن . فهم يتمنون ارتكاب الآثام ولكنهم يخشون من افتضاح أمرهم ، وكل منهم لا يرتكب الخطأ بدافع من الخوف وليس بدافع الفضيلة ..فى حين أن الحكيم هو من يعيش حياة قويمة بدافع الفضيلة وحدها ، وهو من يكون ظاهره كباطنه . فالرذيلة هى العبودية ، والعبودية هى الخوف من آراء الآخرين أو من عقابهم كما هو الحال فى حالة العبيد والأسرى ، بينما الحكيم هو من يتحلى بالحرية. ولهذا ينتهى الشاعر بالوصول إلى الحكيم الحق وهو من يثبت على مبادئه وإن كلفه ذلك أن يفقد ممتلكاته أو أن يتعرض للتعذيب حتى الموت(٢٥) .

وإذا أمعنّا النظر إلى المفردات والعبارات التى استخدمها هوراتيوس فى هذه الرسالة فإننا سنجد أنها متخمة بالتعبيرات ذات الدلالات الفلسفية :

الصالح الحكيم **(sapiens bonusque, 20)**، خجل الحمقى **(stultorum pudor, 24)**، حكيم وبلا أخطاء **(sapiens emendatusque, 30)** ، صالح وأمين **(bonus et frugi, 49)**، الرجل الصالح والحكيم **(vir bonus et sapiens,73)** .

كما تضمنت الرسالة بعض تناقضات الرواقيين كقولهم إن الآثام ليست كلها متساوية :

« لأنه عندما تسرق منى مكيالاً واحدًا من ألف مكيال من البقول ،
فإن الخسارة بالنسبة لى فى هذه الحالة تعد طفيفة جداً ، إلا أن
جريمتك لن تكون (هينة عندى بنفس المقدار). »

**nam de mille fabae modiis cum surripis unum,**

**damnum est, non facinus, mihi pacto lenius isto. (55-6)**

لقد صيغت كل هذه العناصر مجتمعة ، علاوة على الفكرة الأساسية ، الرسالة السادسة عشرة بطابع رواقى مما جعل لهذه الرسالة مكانة خاصة من بين رسائل الكتاب الأول[٢٦] .

على أية حال، فإن هذه الرسالة مثل أغلب رسائل هوراتيوس تأتى فى إطار اهتمام هوراتيوس بإصلاح أحوال أصدقائه ، فهو يقوم بدور المربى الذى يأخذ على عاتقه التربية الفكرية **cultura animi** لأصدقائه ، ومثل هذه المساعدة يجب أن تُمنح بلطف وكياسة ، بل وبحزم وجدية أيضاً[٢٧] .

لكى لا تسألنى ، يا كوينكتيوس بالغ النبل، عما إذا كانت مزرعتى تمد
مالكها بأرض مزروعة بالغلال ؟ أم أنها تغدق عليه الثراء بثمار الزيتون ؟
أم بأشجار الفاكهة ؟ أم بالمروج ؟ أم بشجرة صفصاف متدثرة بالكروم ؟
فإن لك إن تتلقى منى هذا الوصف المسهب والمفصل عن طبيعة الأرض وموقعها .
هناك جبال متصلة لا يفصل بينها إلا وادى ظليل ،
إلا أن الشمس وهى تشرق ، تسطع على جانبه الأيمن ،
وأثناء غروبها بمركبتها السريعة تدفىء جانبه الأيسر .
ولعلك تمتدح (مثل هذا) المناخ . ولكن ماذا لو (علمت أن) شجيراتى،
وافرة النماء ، تنتج ثمار الكرز الحمراء وثمار البرقوق؟ وماذا لو (علمت أن)
أشجار السنديان والبلوط تسعد ماشيتى بوافر ثمارها، وتبهج سيدها بوارف ظلها ؟
ولعلك تقول إن تارنتوم (النضرة) بخضرتها قد صارت أقرب ما تكون من (روما) .
هناك أيضًا نبع جدير بأن يعطى اسمه لنهر ،
وإن نهر هيبروس (الذى) يخترق تراقيا ليس بأبرد منه ولا أنقى ،
وهو يفيض (بالعلاج) الناجع لسقم الرأس والمعدة .
هذا المكان المتوارى الجميل والمبهج حقًا ، لو صدقتنى ،
سيجعلنى أبدو أمامك سليم (النفس والبدن) حتى فى ساعات شهر سبتمبر.
حرى بك أن تعيش باستقامة،إذا حرصت على أن تأتى تصرفاتك وفق ماتسمع (الناس وهم
يطلبونه منك). منذ زمن بعيد ونحن نظن - يوصفنا كل (سكان) روما - أنك أنت الإنسان السعيد
لكنى أخشى أن تثق برأى أى شخص آخر بصددك، أكثر من ثقتك بنفسك،
و(أخشى) أن تظن أن السعيد هو أى شخص آخر غير الحكيم الصالح،

و(أخشى) أنه ، إذا دأب الناس مراراً على قولهم إنك سليم البدن وفى أتم صحة،
أن تُخفى (عنهم) عند حلول وقت الغداء أن الحمى الدفينة ( قد أصابتك)،
إلى أن تصيب الرعشة يديك المكسوتين بالدهن[٢٨] .
إن حياء الحمقى الكاذب يخفى (عن الناس) قروحهم التى لم تندمل بعد.
من ذا الذى يذكر المعارك التى خضتها أنت بالبر والبحر ،
ويطرى أذنيك الصاغيتين (بمثل) هذه الكلمات :
"لعل جوبيتر الذى يرعاك أنت والمدينة (أى روما) ، يحفظ عليك سرك (حتى يتضح لك)
ما إذا كان الناس يتمنون رفاهيتك بأكثر مما تتمنى أنت رفاهية الناس"[٢٩] ،
ولعل بوسعك حينئذ أن تقر بثناء الناس على أوغسطس :
وعندما تسمح بأن يُطلق عليك (وصف) الرجل الحكيم الذى لاعيب فيه،
فهل ستكون مسئولاً عن لقبك ؟ أخبرنى أرجوك !"
"بالطبع إننى مثلك أحب أن أُدعى ( بلقب ) الرجل الصالح الحكيم" .
(ولكن اعلم) أن من يمنحك هذا (اللقب) اليوم ، فإنه غداً إن شاء سينتزعه منك،
كمثل من يمنح شارات القنصلية لشخص غير جدير بها ، ثم يقوم هو نفسه بسلبها منه.
وعندما يقول لى : "ضع هذه (الشارات) فإنها ملكى"، فإننى عندئذ
(لاأملك سوى أن ) أتخلى عنها وأنسحب حزيناً.
وإذا صاح (القوم) أنفسهم قائلين بأننى لص محتال ،
وأنكروا أننى شخص قويم ، وأصروا على أننى شنقت أبى بحبل،
أفهل يعضنى (الخوف) بنابه ويتغير لونى بسبب اتهامات زائفة؟
من ذا الذى يبهجه الشرف الزائف وتفزعه الأكاذيب الملفقة ،
سوى ذلك الرجل الآثم الذى يحتاج للعلاج حتماً ؟ من هو إذن الرجل الصالح؟

"هل هو من يتقيد بقرارات السناتو ، وينصاع للتشريعات والقوانين،
والذى بحكمه يتم الفصل فى الكثير من القضايا والمنازعات الصعبة ،
والذى بتدخله كضامن يتم الحفاظ على الممتلكات ، والذى بشهادته تُكسب القضايا؟"
غير أن مثل هذا الرجل لا يعتبر صالحًا بحق،لأن الآخرين سوف يحكمون عليه بأنه مرائى،
كما أن كل الأسـرة وكل الجيران يعتبرون باطنه قبيحًا، (رغم أنه) حسن المظهر بفضل
بـشـرته الجميلة.
"وإن قال لى عبد ما : "" أنا لم أرتكب سرقة ولم أهرب" ؛
فإننى أجيبه : "أنت إذن تنال ما تستحق ، وجزاؤك ألا تجلد بالسياط ".
وإن قال لى : "أنا لم أقتل أى إنسان "؛فإننى أجيبه: أنت إذن لم تُطعم للغربان وأنت
على الصليب".
وإن قال لى :" أنا إنسان صالح وأمين" ؛ فإننى أجيبه : "إن صديقنا السابينى[٣٠]
ينكر ذلك وينفيه ". حقًا إن الذئب الحذر يخشى الشرك ،
كما يخاف الصقر من الفخاخ المموهة،وكما يرتعد سمك الكراكى من شِص الصيد المخبأ.
ويكره الصالحون ارتكاب الآثام بدافع من حب الفضيلة ، أما أنت (أيها العبد)
فلن ترتكب[٣١] أى جرم لخوفك من العقـاب، ولو كان هناك أمل لديك من الإفلات
(من العقاب)،
فإنك ستخلط بلا ريب بين ما هو مقدس وما هو دنيوى (مدنس) .
لأنه عندما تسرق منى مكيالاً واحداً من ألف مكيال من البقول ،
فإن الخسارة بالنسبة لى فى هذه الحالة تعد طفيفة جداً ، إلا أن جريمتك لن تكون
(هينة عندى بنفس المقدار)". الرجل الصالح ، هو الذى تنظر اليه (بتقدير) كل ساحة
سوق وكل ساحة قضاء ، كلما يسترضى الآلهة (بقربان) من خنزير أو ثور ،
فإنه بعد أن ينادى بصوت عالٍ واضح : "أى أبى يانوس، أى أبوللو !"

فإنه يتمتم بشفتيه وهو خائف من أن يُسمع : "أيا لافرنا الجميلة[٣٢] ،
امنحيني (القدرة) على الخداع، وامنحيني (القدرة) على أن أبدو (للناس) في صورة المنصف الورع ،
واستر خطاياي (بظلمة) الليل ، ولف أخطائي بغلال سحابة."
تُرى هل (يمكن أن) يكون البخيل أفضل ، أو أكثر حرية من العبد ،
عندما ينحني في مفترق الطرق ليلتقط الآس (قطعة العملة) المثبت (في عرض الطريق)[٣٣]؟
إنني لا أرى ذلك . إن من يتملكه الجشع يصبح فريسة للخوف أيضًا ،
وبنفس القدر فإن من يصبح فريسة للخوف في حياته ، فلن يكون في رأيي حرًا أبدًا .
لقد خسر أسلحته وتخلى عن مقعد الفضيلة ،
من يسارع دائمًا إلى الاستزادة من الربح ويشغل بجمع المال .
عندما يكون بمقدورك أن تبيع أسيرًا فلا تقتله ، لأنه سيكون عبدًا نافعًا لك ،
فإن كان حقًا جلدًا شديد التحمل فليقم بالرعي والحرث ،
فليبحر إذن وليمض كتاجر فصل الشتاء بين الأمواج،
ولعله يكون نافعًا (في شئون ) السوق ، أو ليحمل المحاصيل والزاد.
سيجرؤ الرجل الصالح الحكيم على أن يقول[٣٤]:
أي بنثيوس[٣٥] ، ياحاكم طيبة ، تُرى هل سترغمني - بغير استحقاق لهذا -
على أن أعاني وأقاسي؟" "سأستولي على خيراتك.
أتعني ماشيتي وأمتعتي وأرائكي ومالي ؛ خذها ! فهذا أمر مسموح لك به."
"سأحتجزك في أصفاد وأغلال تحت حراسة سجّان قاس."
"عندما أرغب في ذلك ، فإن الرب نفسه سوف يطلق سراحي".
أعتقد أنه يريد القول : "إنني سأموت" ؛ فالموت هو الخط الذي يحدد نهاية (كل) المخلوقات[٣٦].

# الهوامش

(١) M.J. McGann, "The Sixteenth Epistle of Horace", CQ x (1960), p. 20.

(٢) R. Mayer, op. cit., p. 219.

(٣) تعد هذه الحيلة إحدى صيغ الاستهلال فى رسائل بلينيوس الأصغر الذى عاش فى القرن الأول الميلادى .

(٤) استخدم هوراتيوس الصفة optimus فى وصف كلاً من مايكيناس ، ڤرجيليوس تريباتيوس ، فوسكوس ، ووالده وقد كان يستعمل هذه الصفة لإظهار حبه العميق واحترامه الزائد ، ولكنه فى بعض الأحيان كان يستخدمها تهكمًا للانتقاص من قدر من يصفه .

R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 97.

ويرى R. Mayer, op. cit., p. 219 أن هوراتيوس لم يقصد من وراء ذكر الصفة optimus التعبير عن رأيه فيه فقط ، بل جاءت لتمهد الطريق إلى تعريف ماهية الرجل الصالح vir bonus . وأعتقد أن هذا الرأى هو الأصوب.

(٥) استعمل هنا هوراتيوس الفعل opulentare ، ورغم أنه تعبير نادر الاستخدام إلا أنه رنان.

(٦) تشير كلمة «مالك erum » إلى علاقة السيد بعبيده وممتلكاته (cf. Hor., Od., ii, 18, 32) ، وقد جاءت هذه الكلمة لتمهد لموضوع أساسى بالرسالة وهو «الاستقلالية والحرية » فالسيد إنسان ذو استقلالية فهو بالتالى غير مضطر إلى إرضاء الآخرين ورغباتهم على حساب مبادئه . وقد أكد هوراتيوس على دلالة هذا اللفظ بتكرار ما يماثله بالرسالة مثل كلمة dominum 1(0), ، والصفة liber (63,66) R. Mayer, op. cit., p. 219.

(٧) Cato, R.R., i, 7.

(٨) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 97 f.

(٩) M.J. McGann, "The Sixteenth Epistle...." op. cit., pp. 20f.

(١٠) Idem,Studies in Horace's First Book of Epistles. op.cit., pp.73 f.

(١١) E. Garn, Odenelemente im I.Epistelbuch des Horaz, Freiburg 1963, p.67.

(١٢) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 98.

(١٣) يؤكد R. Mayer, op. cit., p. 221. أن كلمة sanum قد استخدمت على يد هوراتيوس بشكل مجازى للإشارة إلى الصحة الجسمانية والصحة النفسية ، فمثلما لا ينبغى على المرء أن يثق فى آراء الآخرين بشأن صحته الجسمانية ، وبالمثل ينبغى عليه أيضًا تحاشى الثقة التامة فى الأخذ بآراء الآخرين فى النواحى الأخلاقية كى لا تقوده تلك الآراء إلى الوقوع فى الكثير من الأخطاء .

R. Mayer, op. cit., p. 221.

(١٤) يعتقد R. Mayer أنه قد عمم ببراعة وصفه للحمقى stulti ، وكنها لا تمس كوينكتيوس ، ولكنها فى حقيقة الأمر تعد تحذيراً له من أن يُصنف ضمن هؤلاء الحمقى ibid., p. 221.

(١٥) ibid., p. 221.

(١٦) يعتقد J.Foster, "Horace, Epistles i,16,35 ff.", CQ xxi(1971), p.214 أن هوراتيوس قد اقتبس هذا البيت من لوكريتيوس فى وصفه لسيسفوس :

..... et semper tristisque recedit. (Lucr., De Rer. Nat., iii, 994)

(١٧) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 98 f.

(١٨) M.J. McGann, op. cit., p. 74.

(١٩) T.Sinko, "De Romano viro bono", Acta Acad. Gracoviensis xxxvi (1903), p. 255.

(٢٠) Cic., Parad., 3.20; R. Mayer, op. cit., p. 227.

(٢١) ترتبط هذه الفكرة بالهجائية السابعة من الكتاب الثانى Sat., ii, 7, 22، أنظر: C.Becker, op. cit., p.18.

(٢٢) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 99 f.

(٢٣) Cic. Parad., v, 34.

(٢٤) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 100 f.

(٢٥) ibid., pp. 101 f.

(٢٦) M.J. McGann, op. cit., p. 75.

(٢٧) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 102.

(٢٨) اعتاد الرومان أن يتناولوا الطعام بأصابعهم، ولهذا كانت أصابعهم تتسخ بالدهون والزيوت المستخدمة فى طهى الطعام .

(٢٩) طبقًا لبعض الدارسين ، فإن هذه الأشعار التى اقتطفها هوراتيوس ، تعد مأخوذة من المديح الذى ألقاه ڤاريوس صديق ڤرجيليوس أثناء مديحه لأوغسطس .

(٣٠) يقصد هوراتيوس بكلمة Sabellus أحد جيرانه الشرفاء من السابينيين .

(٣١) الخطاب هنا موجه إلى العبد .

(٣٢) لاڤرنا Laverna : هى الربة الإتروسكية الحامية للصوص والمحتالين ، وكان لها بستان مقدس على طريق سالاريوس Via Salaria ، وكان لها مذبح بالقرب من بوابة لاڤرنا Porta Lavernalis التى سُميت باسمها .

(٣٣) الآس عملة برونزية قليلة القيمة ، وكان الأطفال الرومان يربطونها ثم يلقون بها فى عرض الطريق ، ثم يسخرون من هؤلاء الذين يحاولون التقاطها أو خلعها من الأرض: (cf.Persius 5.3).

(٣٤) هذا الحديث مأخوذ من مسرحية "عابدات باخوس" Bacchae, "492-8" ، وفى هذا المشهد يتحدى ديونيسوس المتنكر بنثيوس ملك طيبة ، وكان بنثيوس يعتزم القضاء على عبادة باخوس، فقام بحبس غريب من ليديا Lydia ، وكان هذا الغريب فى الحقيقة هو باخوس نفسه، حيث إنه لم يعبأ بتهديدات الملك واعتبرها مجرد هراء ولغو فارغ .

(٣٥) بنثيوس Pentheus : هو ملك طيبة ، وهو ابن إخيون وأجاوى ابنة كادموس، ورث الملك عن جده كادموس، وعارض بشدة عبادة ديونيسوس ، فقتلته أمه ومعها إينو وأوتونى أثناء ممارستهن لعبادة باخوس ، فى لحظة جنون باخية حيث ظنن أنه حيوان مفترس وقطعنه إربًا .

(٣٦) الفعل moriar ليست له علاقة بالمشهد المسرحي المأخوذ من مسرحية عابدات باخوس ، بل هو تعليق من هوراتيوس ، حيث إن الرواقيين يعتقدون أن الانتحار هو وسيلة للهروب من شرور الحياة ، والعبارة ultima linea تشير إلى خط النهاية الذى كانوا يتخذونه في مسابقات العدو .

# الرسالة السابعة عشرة

تأتى الرسالة السابعة عشرة كخطاب يحمل نصيحة إلى أحد الأشخاص ويُدعى سكايڤا ، والذى يُقال إنه الفارس لولويس المذكور فى الرسالة الثامنة عشرة ، وذلك طبقًا لبروفيريو(1). ومضمون هذه النصيحة يدور حول السلوك الملائم من جانب الشخص الذى يحظى برعاية أحد العظماء فى تعامله مع راعيه . ونلاحظ أن هوراتيوس يفتتح هذه الرسالة ويضمنها تباعًا ألفاظًا تؤكد على أهمية المعرفة لماهية هذه العلاقة وأهمية الاستعداد لتعليمها وتعلمها :

**per te tibi consulis - scis - disce - docendus - censet - monstrare - aspice - cures proprium fecisse.**

ولعل الشاعر أراد بهذه الألفاظ أن يدعو سكايڤا إلى أن يتخذ دور الطالب الذى عليه أن يتعلم جزءًا من مضمون علاقة الراعى بتابعه ، والتى سبق وأن تناولها الشاعر فى أكثر من رسالة . وهو يخص بالذكر المضامين الفلسفية لهذا الجانب من هذه العلاقة الإنسانية المهمة(2) ، والتى سوف يسوقها هوراتيوس هنا فى هذه الرسالة. ولعلنا ندرك بسهولة أهمية دلالة الفعل «يليق» **deceat** الذى يظهر فى البيت الثانى من الرسالة السابعة عشرة ، وكذلك الكلمات المشتقة منه مثل **decorus, decus**، فى هذا الكتاب الأول كله من رسائل هوراتيوس ، وذلك حين نتذكر أن الاهتمام الأول لهوراتيوس فى هذا الكتاب والذى أورده فى الرسالة الأولى ، كان هو :

« فأهتم وأبحث عما هو حقيقى ولائق ، وأكون فيه بكل كيانى.»

**quid verum atque decens, curo et rogo et omnis hoc sum. (11)**

ولكننا نلاحظ أن الشاعر لا ينغمس مباشرةً فى مناقشة هذا الجانب من علاقة الراعى بتابعه ، ألا وهو السلوك الملائم من جانب التابع كما ذكرنا سالفًا ، بل يتحدث فى اختصار عن إدراكه هو نفسه لقيمة حياة الانزواء فى الريف والابتعاد عن المدينة ، والتى يبدو أن سكايڤا لا يدرك أهميتها :

«إن كانت السكينة الممتعة والنوم حتى الساعة الأولى(من النهار) تبهجك،

وإن كانت الأتربة وضجيج العجلات ، (أو) كانت الحانة تقض مضجعك ،

فإنى سآمرك أن تولى وجهك شطر فيرينتيوم لأن المتع ليست من نصيب الأثرياء وحدهم،

وإنَّ من يولد مجهولاً ويموت مجهولاً دون أن يلفت إليه الأنظار ، فكأنه لم يحيا حياة طيبة قط .» (٦-١٠)

فالسعادة الناجمة عن الحياة الهادئة لا يحتاج المرء من أجل تحقيقها إلى الثروة ، وهى من السهل ضمانها إذا ما رغب الإنسان فى أن يستمتع ببعض الأشياء البسيطة والجميلة مثل التى تتوفر فى حياة الريف ، إذا ما عزف عن الشهرة ولفت أنظار الناس . وفى هذا المضمون إشارة إلى المبدأ الإبيقورى (λάθε βιώσας) بمعنى «العيش فى عزلة » عن طريق الإقامة فى الريف [٣] ، وهو المبدأ الذى أشار إليه هوراتيوس فى الرسالة الثامنة عشرة (١٠٣) .

ويرى هوراتيوس أيضًا أن المجد العظيم والثروة يمكن أن يكونا من نصيب رجال قليلين ، لكنه ينصح صديقه سكايڤا بأن مصادقة هؤلاء العظماء من الرجال من شأنه أن يحقق السعادة . ويضرب هوراتيوس مثالاً على هذا بحياة كل من الفيلسوفين أرستيبوس وديوجينيس وأسلوب كل منهما الذى اختاره لنفسه [٤] ، ونرى فى الأبيات من (١٣-٢٥) أن ديوجينيس الفيلسوف الكلبى يتهم أرستيبوس لأنه يصاحب الملوك ويتطفل على موائدهم ، ويدفع أرستيبوس عن نفسه هذه التهمة بقوله لديوجينيس إنه يقوم بدور المهرج أو المضحك **scurra** أمام الملوك من أجل منفعته الشخصية بينما ديوجينيس يحيا حياة التقشف لأجل الجمهور ، ففى سلوكه نوع من النفاق للعامة

والبسطاء من الناس ، أما أرستيبوس فيحاول أن يجعل بسلوكه فى الحياة متلائماً مع ظروفه حتى يتحاشى المعاناة والفقر المدقع ، وهو فى هذا يتحلى بصفة المكر والدهاء ποικιλία . وهوراتيوس حين يقدم هذا النموذج إلى صديقه الرومانى سكايفا ،فإنه يقدمه له كما رأينا فى مصطلحات فلسفية إغريقية . ولذا فهذا النموذج ربما لا يؤخذ بعين الاعتبار من جانب شخص أمامه نموذج الفضيلة الرومانية virtus . ولذا فإن هوراتيوس يعود فيتحدث عن أولئك الرجال الذين تتفوق لديهم الفضيلة virtus التى تتمثل فى إنكار الذات وتحقيق الانتصارات المجيدة للوطن:

« إن إنجاز الأعمال المجيدة ، وعرض أسرى العدو على المواطنين ،

يجعل المرء يلمس عرش جوبيتر ويسعى (للوصول إلى) عنان السماء»

(٣٣-٣٤)

لكنه يعود مرة أخرى فيؤكد لسكايفا أنه ليس هناك ما يُخجل فى أن يسعد الإنسان بفضل إنسان بارز وعظيم :

« (وإن) كنت قد سعدت( بفضل) الرجال البارزين ،

فإن ذلك لن يكون أحط درجات المجد» (٥) (٣٥)

ويرى هوراتيوس أن الرجل الذى يخشى المغامرة ، وليس لديه القلب الجسور للقيام بها ، فلن ينجح فى إقامة علاقة الصداقة مع رجل عظيم ، وبالتالى لن يحقق لنفسه شيئًا من المجد ، ويسوق لنا الشاعر هذا المعنى ضاربًا المثل بالتكلفة العالية لحياة المتع التى اشتهرت بها مدينة كورنثة اليونانية ، وأن من أراد الفوز بها فعليه المغامرة بالسفر والمال :

« ليس مقدراً لكل إنسان أن يشد الرحال إلى كورنثة.

بل سيتقاعس عن شد الرحال إليها من يخش عدم النجاح . فلتكن القضية على هذا النحو :» (٣٦-٣٧)

ثم يضيف قائلاً عن الذى يخشى المشاق ولا يغامر فى سبيل المتع ، أى المجد :

« فهناك رجل يخشى الأعباء، لأنها أكبر من روحه الصغيرة وجسمه الضئيل ؛
وهناك رجل آخر ينجح فى حملها وإنجازها .
فإما الرجولة ذات اسم أجوف ، وإما أن الرجل
الذى يسعى عن حق لإنجازها لا ينشد سوى المجد والجائزة. » (٣٩-٤٢)

ويرى الأستاذ م. ج. مكجان أن هذه المناقشة من جانب هوراتيوس حول علاقة من يصادق العظماء ويحظى برعايتهم ، سبق وأن تناولها الشاعر فى كل من الرسالة الأولى والرسالة السابعة، حيث أوضح أن علاقة الصداقة والرعاية التى تمتد إلى وقت طويل، ربما تفرض على التابع أسلوباً معيناً من الحياة قد يضيق به ، خاصة إذا ما شعر هذا الصديق التابع أنه يدخل فى حياة جديدة غير معتاد عليها وعليه أن يعتادها رغماً عنه[٦]. أما هنا فى الرسالة السابعة عشرة ، كما يرى الأستاذ م.ج.مكجان ، فلايجب أن نأخذ هذه المناقشة على أنها انتقاد عدائى من جانب هوراتيوس ، ساقه هنا فى مصطلحات فلسفية ، لعلاقة الرعاية بين الأديب وبين راعيه ، أى بين هوراتيوس ومايكيناس ، بل علينا أن نفهم المعنى المعاكس تماماً ، وهو أن هذه المناقشة أراد بها الشاعر أن يوضح أن حياة من يصادق شخصاً عظيماً هى نوع من الحياة جدير بالثناء والإطراء ، ليس فقط فى مصطلحات من القيم الرومانية التراثية كما رأينا ، ولكن أيضاً فى مصطلحات فلسفية إغريقية من خلال نموذج مستمد من حياة فيلسوفين ، هما أرستيبوس وديوجينيس .

أما النصيحة التى يجب على سكايفا أن يتلقاها ، فهى أن يكون جسوراً لايهاب مصادقة العظماء ، ولكنه يجب أن يتحلى كمتلقى للرعاية ببعض الصفات المهمة ، وأن يكون معتدلاً :

« هؤلاء الذين يلتزمون بالصمت فيما يختص بفقرهم فى حضرة مولاهم،
يحصلون (على مغانم) أكثر من ذلك الذى يلحف فى الطلب .
هناك فارق بين أن تأخذ باعتدال ،
أو أن تختطف (فى جشع) ، فهذا (المبدأ) هو أساس كل شىء ومصدره.»
(٤٣-٤٥)

ويواصل هوراتيوس نصائحه لسكايڤا ، بأنه في أثناء ترحاله مع صديقه وراعيه لايجب عليه أن يشكو من الضجر أو عدم الراحة من التعب ، أو من الخسارة التي مُني بها لقاء تركه لأهله وممتلكاته ، خاصة إذا كانت خسارته هذه غير حقيقية . ولعل صورة رفيق السفر إلى برونديسيوم في الأبيات الأخيرة من هذه الرسالة تذكرنا بصورة مجموعة الأصدقاء الذين يرافقون أحد الأثرياء في سفره، والتي وردت في الهجائيات[٧].

ويؤكد هوراتيوس على أن الصديق التابع لصديقه الغني ، من الممكن أن يكون مفيداً لنفسه ولصديقه أيضاً . لكن عليه ألا يذهب إلى مائدة صديقه الفاخرة إلا وهو جائع ، فيأكل ويتمتع ويؤنس وحدة صديقه :

« فإذا رغبت أن تكون مفيداً لأصدقائك وأن تعامل نفسك ذاتها بقدر أقل من السخاء ،

فلتذهب وأنت جائع إلى مأدبة فاخرة » (١١-١٢)

وعليه أيضاً ألا يطلب عطايا راعيه ، في قلة صبر وتعجل وفي شكوى مسموعة من شأنها أن تجعل الآخرين يشاركونه في عطايا صديقه الغني السخي[٨] :

« فإن مثل من يتحدث على هذا النحو مثل من يصرخ عاليًا : "أعطوني طعامًا"

فيقاطعه شخص آخر بقوله : "وأعطوني أنا أيضًا" . وعلى هذا النحو

تنقسم المنحة وتنشطر كسرة الخبز. » (٤٨-٤٩)

وكما في النصف الثاني من الرسالة الخامسة عشرة ، هنا أيضاً في الجزء الأخير من الرسالة السابعة عشرة ، يستخدم الشاعر عنصر التصوير الكاريكاتوري ، والذي يذكرنا بالهجائيات ، حين يدلل على فقدان مصداقية من يداوم على الشكوى أو يبالغ فيها ، كي يعطيه راعيه أكبر قدر من العطاء ، فيعرض هذه الصورة الكاريكاتورية[٩] :

« يستدعي إلى الذهن الحيلة المعروفة للعاهرة التي لا تفتأ تنتحب كثيراً على (فقد) قلادتها،

وعلى خلخالها الذي أُنتزع منها ، (ثم تظل على نحيبها هذا)

إلى أن تنعدم الثقة تمامًا في خسارتها الحقيقية وأحزانها .» (٥٥-٥٧)

ونرى أيضًا صورة الشحاذ الأعرج الذى لم يعد يصدقه الناس لأنهم اكتشفوا كذبه ، وعند حاجته الحقيقية إليهم لم يكن فى مقدورهم تصديقه ورفضوا مساعدته:

« ورغم أنه يقسم بأوزوريس المقدس ويهتف قائلاً :

« صدقونى إننى لا أخدعكم! أيها القساة، (ساعدوا) الأعرج على الوقوف!»

وهنا تصيح فيه جارته حتى يبح صوتها (بقولها) : «ابحث عن (ضالتك المنشودة فى شخص) رجل غريب.» (٦٠-٦٢)

ويرى الأستاذ م.ج. مكجان أن هوراتيوس رغم أنه يبدو ماديًا وأنانيًا فى نصيحته النفعية لسكايڤا ، إلا أنه ربما قصد أن يقوض المثالية الأخلاقية المبالغ فيها ، مثالية العطاء دون انتظار المقابل ، ولكن ختام الرسالة بالصور الكاريكاتورية النقدية التى رأيناها يعكس من جديد مادية هوراتيوس فى نصيحته لسكايڤا[١٠] .

وهناك من يرى أن الفكرة الرئيسية لهذه الرسالة ، هى إمكانية تبرير أن يكون الإنسان مهرجًا scurra طفيليًا يسرى عن راعيه ، وكيف يستغل هذه الرعاية دون أن يضايقه[١١] . أو أن هوراتيوس أراد أن يهجو فى صراحة نقيصة الأنانية والجشع والطمع ، ليشير إلى رضائه عن الطريق الشريف لكسب العيش. وهو بهذا يدافع عن تجربته الشخصية فى الحياة، وسلوكه فى علاقته بمايكيناس ، وأنه هنا لايدافع عن الأسلوب المادى فى كسب العيش[١٢] ، خاصةً وأنه قد سبق وأن هجا نفس هذه النقائص فى الهجائية الخامسة من الكتاب الثانى وسخر فى استفاضة من فن التطفل[١٣] .

ويرى الأستاذ ج. ويليامز أن هذه الرسالة مليئة بروح هوراتيوس الساخرة الفكهة ، وأنها ليست نصيحة جادة ، بل هى سخرية من الفلاسفة ومن سذاجتهم ومن عباراتهم الرنانة التى يصعب تطبيقها فى واقع الحياة [١٤] .

على أية حال، فقد أراد هوراتيوس أن يعرض من خلال نصحه لسكايڤا نوعين من الحياة: الأول حياة الفراغ المتوارى otium obscura بمعنى العيش فى انزواء بعيدًا عن الاستيقاظ مبكرًا ومتاعب مرافقة صديق غنى سخى من ترحال وغيره . وهو هنا عليه

أن يتقبل العيش فى فقر لكنه فقر غير قاسٍ ، ويمكن من خلال هذا الهدوء أن يوفر لنفسه السعادة، فالسعادة لا يمكن احتكارها بواسطة الإنسان الغنى وحده . أما النوع الثانى فهو حياة تحقيق المنافع من خلال القبول بمصاحبة الغنى السخى رغم ما تجلبه من بعض المتاعب، وذلك يجلب المنفعة لنفسه هو وربما أيضًا لعائلته ومن يحبونه . والنوع الأول هو الأنموذج الإبيقورى من الحياة ، وسوف يذكره هوراتيوس فى الرسالة الثامنة عشرة . ويذكر هنا أن شيشرون قد رأى فى تحقيق الفوائد الشخصية وأيضًا جلب المنافع للأصدقاء والأقارب هدفًا يتفق فلسفيًا مع كل من الطبيعة **natura** والمنطق **ratio**(١٥) . وربما نلمح أن سكايڤا لم يكن يتطلع إلى حياة أفضل وذلك من خلال خطاب هوراتيوس له ، كما أنه لا يحاول أن يثير أحد النبلاء ليتخذه راعيًا إذا ما انتابه خوف من فشل المحاولة (١٦) (١١-١٢) .

ولذا فعليه أن يختار بين مائدة عامرة **uncta mensa** بأطايب الطعام ، أو طريقة حياة خشنة **aridus victus** . وهوراتيوس فى رأى الأستاذ ر.س. كيلباتريك يبعث الحياة فى هذه الفكرة ، فكرة المقارنة بين العيش الناعم والعيش الخشن بحوار بين أرستيبوس الفيلسوف القورينى ، صاحب مذهب اللذة ، وبين الفيلسوف الكلبى ديوجينيس فى الأبيات (١٣-٢٢) ؛ ويُذكر أن هذه القصة وُجِدت أيضًا لدى ديوجينيس لائيرتيوس(١٧). ويريد هوراتيوس من خلال الأبيات السابقة أن يصف ديوجينيس بعدم القدرة على الكفاح والمغامرة حتى الوصول إلى النجاح كى يحظى بحياة أفضل ، وربما يضيّع بذلك على نفسه ثروة ربما كادت تصيبه ، وذلك بسبب خوفه، الذى يصل إلى حد المرض ، من النجاح والازدهار . وكل هذا فى واقع الأمر، وكما ذكرنا سالفًا ، ما هو إلاّ محاولة حمقاء فى رأى هوراتيوس للتخلص من أى مظهر من مظاهر رغد العيش ، وذلك مجاملة للفقراء من الناس :

« أما الرجل الآخر (أى ديوجينيس) فإنه سيتجنب (ارتداء) عباءة تم نسجها فى ميليتوس ،(١٨)
وكأنها أسوأ من عضة كلب أو (لدغة) ثعبان ،
وسيموت من البرد ، إن لم ترد إليه أسماله وخرقه .
أعدها إذن إليه وليعش غريب الأطوار كما هو فى الواقع» (٣٠-٣٢)

أما أرستيبوس القوريني صاحب مذهب اللذة ، فربما كان موقفه أصوب من ديوجينيس الكلبي :

**« (لتعلم أن) رأى أرستيبوس قد يكون هو الأفضل.» (١٧)**

وفى موضع آخر يقول أرستيبوس مخاطبًا ديوجينيس :

**« إن مسلكى هذا أفضل وأنبل كثيرًا ( من مسلكك) » (١٩-٢٠)**

بعد ذلك يقدم هوراتيوس لصديقه الشاب سكايفا نموذجًا لكيفية التمتع بفوائد وميزات الصداقة دون أن يخسر احترامه لنفسه أو استقلاليته .

لكننا بعد ذلك المثل من حياة الفلاسفة نجد هوراتيوس يقدم الإجابة على السؤال الذى طرحه فى بداية الرسالة وهو :

**« وتدرك جيدًا بأى عرف يجب أن تعامل علية القوم ،» (٢)**

لكن الإجابة التى أتت لتحض على الاعتدال وعدم الطمع فى الأخذ من الصديق الغنى ، وعدم الشكوى الدائمة من خسارات وهمية ، تبدو غير متطابقة مع ما أوحت به المقارنة السابقة بين أسلوب أرستيبوس فى الحياة وأسلوب ديوجينيس الكلبى الذى يتسم بالنفعية(١٩) . ولكن عدم التطابق هذا ربما يعضده رأى الأستاذ ج. ويليامز الذى ذكرناه سالفًا ، ومؤداه أن هوراتيوس أراد أن يسخر بصراحة من العلاقات الإنسانية التى أقامها الفلاسفة الإغريق ، باعتبارها علاقات لا تتسق مع المفهوم العملى للرومان عن الحياة ، خاصة أن دور الراعى الصديق **patronus amicus** فى المجتمع الرومانى بصفة عامة كان دورًا شريفًا وإنسانيًا ، وهو ما فهمناه خاصة من الرسالة السابعة تطبيقًا على علاقة هوراتيوس براعيه وصديقه مايكيناس(٢٠) . وفى الرسالة العشرين نجد إشارة إلى علاقات هوراتيوس بالعظماء من معاصريه :

**« (وسيقول) إننى سعدت (بحظوة) البارزين فى الدولة ،**

**فى وقت الحرب والسلم » (٢٣-٢٤)**

وفى وصايا هوراتيوس لصديقه سكايفا حول ضرورة التحلى باللباقة والصراحة والأمانة فى علاقته براعيه كى لا يفقد مصداقيته يومًا ما ، نرى صدى لما ذكره شيشرون(٢١) :

« شيئان يجب أن يتحاشاهما المرء فى المقام الأول، هو ألا يكون متخنثًا أو ناعمًا ، وألا يكون فظًا أو أخرق. »

**duo maxima sunt fugienda, ne quid effeminatum aut molle et ne quid durum aut rusticum sit. (Cic., de Off., i, 35, 129)**

ومقياس هوراتيوس فى نجاح العلاقة بين الصديق وراعيه الغنى السخى هما مدى التمسك بمبدأين هما : الملائمة **decus** والفضيلة **virtus** ، وهما الخاصيتان اللتان جعلتا صداقة **amicitia** الشاعر براعيه مايكيناس مثالاً يُحتذى(٢٢). ولكن فى ضوء ما ناقشه شيشرون لعلاقة الصداقة ، نفهم أن مبدأ السعى وراء إقامة هذه العلاقة الإنسانية مع عظماء الرجال من أجل المنفعة المادية لا يتناقض مع الفضيلة **virtus** والاعتدال **modestia** ، والملائمة **decus** . فلا مانع أن يتلقى الإنسان المنفعة المادية وهو يشعر أنه لم يحطم هذه المبادئ ، فالملائمة **decus** والقيمة المادية **pretium** لا يتصارعان ، فالأول يجلب الثانى دون أن يقع ضحية له :

« الفضيلة ، ياعزيزى جايوس فانيوس ، وأنت ياكوينتوس موكيوس ، تخلق الصداقة وتحفظها ، لأن فى الفضيلة حقًا يكمن تناغم الأشياء ، وفيها يكمن الإستقرار والإخلاص . ومن ثم فإن الحب أو الصداقة يبدآن فى التوهج ، وذلك لأن كلتا الكلمتين فى الحقيقة مشتقتان من كلمة تعنى الانتقال إلى مرتبة أعلى ، بل إن الحب ليس شيئًا آخر سوى أن تسبغ إعزازك على من تحب لذاته، دونما حاجة ، ودونما فائدة مادية ترجى . »

**virtus inquam, C. Fanni, et tu, Q Muci, et conciliat amicitias et conservat. in ea est enim convenientia rerum, in ea stabilitas, in ea constantia .... ex quo exardescit amor sive amicitia; utrumque enim dictum est ab amando. Amare autem nihil est aliud nisi eum ipsium diligere quem ames, nulla indigentia, nulla utilitate quaesita. (Am., 27., 100).**

إن جدارة عظماء الرجال principes viri برعاية تابعيهم الفقراء إنما هى من تحليهم بالفضيلة ، لأن الفضيلة تجعل هؤلاء يقتربون ممن هم أقل منهم فى المناصب والأموال . وبالمثل فعلى التابع أن يتحلى بالفضيلة والصدق ، فى هذه العلاقة[٢٣] . ويختم شاعرنا الرسالة بنصيحة جادة إلى سكايفا ، نتذكر من خلالها قصة الرجل الثرثار ثقيل الظل التى وردت فى الهجائيات[٢٤] ، والذى كان يرى أن علاقة الصداقة بالبارزين من الرجال هى بوابة إلى المكسب المادى الشخصى . وقد حث هذا الرجل هوراتيوس على أن يفسح له المجال بالتملق المستمر وتقديم الرشاوى . وهنا يتضح أن هذا الرجل لديه مفهوم غير صحيح عن هذه العلاقة الإنسانية الأساسية فى حياة الناس وهى الصداقة amicitia ، كما أنه لا يعرف أنها مرتبطة بالفضيلة virtus برباط وثيق . وعليه ، كى يكون صديقًا صدوقًا ، أن يتحلى بالاحتشام pudor وأن يكون لبقًا يتحلى باللياقة decus ، وقبل كل شيء عليه أن يتمسك بالفضيلة virtus، وهى السمات التى يريدها شخص مثل مايكيناس فيمن يقربهم إلى دائرة رعايته . فالحياء pudor فى شخصية سكايفا يجعل منه مرشحًا جديرًا – على عكس ذلك الشخص الثرثار ثقيل الظل – لعلاقة الصداقة هذه . لكنه لايزال فى حاجة إلى مزيد من التوجيه والتشجيع من جانب صديق مخلص أكبر منه سنًا ، كى يتأتى له أن يُقدِم على هذه المحاولة .

بالرغم من أنك ، يا سكايـفـا ، تراعى مصالحك تمامًا، بالاعتماد على نفسك ،
وتدرك جيدًا بأى عرف يجب أن تعامل علية القوم
استمع إلى (الآراء) التى يقدرها صديقك العزيز،
الذى لا يزال ينبغى عليه أن يتعلم ، كمثل ضرير يود أن يرشد (الآخرين) إلى الطريق،
فانـظر ، على أية حال ، مـا إذا كنت قد أخـبرتك بشىء تحـرص الآن على أن تجـعله ملائمًا (لك) .
إن كانت السكينة الممتعة والنوم حتى الساعة الأولى(من النهار) تبهجك[٢٥] ،
وإن كانت الأتربة وضجيج العجلات ، (أو) كانت الحانة تقض مضجعك ،
فإنى سآمرك أن تولى وجهك شطر فيرينتيوم[٢٦] لأن المتع ليست من نصيب
الأثرياء وحدهم، وإن من يولد مجهولاً ويموت مجهولاً دون أن
يلفت إليه الأنظار[٢٧] ، فكأنه لم يحيا حياة طيبة قط .
فإذا رغبت أن تكون مفيدًا لأصدقائك وأن تعامل نفسك ذاتها بقدر أقل من السخاء ،
فلتذهب وأنت جائع إلى مأدبة فاخرة .
"إن كان بمقدور أرستيبوس أن يقتات على الخضروات فى رضا ،
فإنه سيعزف عن الاستمتاع (بموائد) الملوك[٢٨]." (وهنا يرد أرستيبوس قائلاً):
"لو كان من ينتقدنى ، يعـرف كيف يستمتع ( بمـوائد ) الملوك ، فإنه سيضـرب صفحًا (عن أكل) الخضروات
أخبرنى إذن ": مَن مِن هذين الاثنين ، تستحسن أنت أقواله وأفعاله ؟

أو اصغ إلىّ ، حيث إنك الأصغر سنًا، (لتعلم أن) رأى أرستيبوس قد يكون هو الأفضل.
لأنه - كما يقولون - اعتاد أن يراوغ الكلبي اللاذع على النحو التالى :
"إننى أقوم بدور المضحك[٢٩] من أجل منفعتى ، بينما تقـوم به أنت لأجل الجمهور ، وإن مسلكى هذا أفضل وأنبل بكثير (من مسلكك) .
فهناك جواد يحملنى وأمير ثرى يطعمنى ، لقاء الخدمة (التى) أؤديها،
بينما تستجدى أنت (صدقات) قليلة القيمة؛ وإنك حقًا (ستغدو) أدنى من المعطى،
بالرغم من أنك تتظاهر بأنك لست فى حاجة لأحد ".
يلائم أرستيبوس كل أسلوب معيشة وكل حال وكل ظرف من الظروف ،
فهو من يسعى وراء أفضل الأشياء ، وهو راضٍ عمومًا بما لديه الآن .
ومن ناحية أخـرى ، فلـسوف تتملكنى الدهشة ، لو أن هناك طريقـة معيشة مـختلفة تناسب ذلك الرجل ،
الذى تستر قوة الاحتمال (جسده) برقع مزدوجة[٣٠] .
فالرجل الأول (أى أرستيبوس) لن يقعد فى انتظار العباءة الأرجوانية ،
بل سيسير فى الأماكن المزدحمة جداً وقد ارتدى أى لباس يروق له ،
كما أنه سوف يلعب دور كل شخصية وهو فى هيئة ليست مزرية ؛
أما الرجل الآخر (أى ديوجينيس) فإنه سيتجنب (ارتداء) عباءة تم نسجها فى ميليتوس ،
وكأنها أسوأ من عضة كلب أو (لدغة) ثعبان ، وسيموت من البرد ،
إن لم ترد إليه أسماله وخرقه. أعدها إذن إليه وليعش غريب الأطوار كما هو فى الواقع.
إن إنجاز الأعمال المجيدة ، وعرض أسرى العدو على المواطنين ،
يجعل المرء يلمس عرش چوبيتر ويسعى (للوصول إلى) عنان السماء[٣١] :

(وإن) كنت قد سعدت( بفضل) الرجال البارزين، فإن ذلك لن يكون أحط درجات للمجد. {٣٥}
ليس مقدراً لكل إنسان أن يشد الرحال إلى كورنثة[٣١].

بل سيتقاعس عن شد الرحال إليها من يخش عدم النجاح. "فلتكن القضية على هذا النحو: ما الذى فعله ببسالة ذلك الذى (تمكن من) الوصول (إلى كورنثة)؟"

على أية حال فإن ما نبحث عنه ليس هنا أو فى أى مكان آخر .

فهناك رجل يخشى الأعباء، لأنها أكبر من روحه الصغيرة وجسمه الضئيل ؛ {٤٠}
وهناك رجل آخر ينجح فى حملها وإنجازها .فإما الرجولة ذات اسم أجوف ،
وإما أن الرجل الذى يسعى عن حق لإنجازها لا ينشد سوى المجد والجائزة.

هؤلاء الذين يلتزمون بالصمت فيما يختص بفقرهم فى حضرة مولاهم[٣٢]، يحصلون (على مغانم)

أكثر من ذلك الذى يلح فى الطلب . هناك فارق بين أن تأخذ باعتدال ،
أو أن تختطف (فى جشع) ، فهذا (المبدأ)[٣٤] هو أساس كل شيء ومصدره. {٤٥}
من يقول : "إن لى أختا بلا دوطة ، وأم بائسة ، ومزرعتى غير صالحة للبيع وغير قادرة على إطعامنا"، فإن مثل من يتحدث على هذا النحو مثل من يصرخ عاليًا :
(أعطونى طعامًا) ، فيقاطعه شخص آخر بقوله : (وأعطونى أنا أيضًا) .
وعلى هذا النحو تنقسم المنحة وتنشطر كسرة الخبز.
فلو كان بمقدور الغراب أن يُطعم وهو صامت[٣٥] ،
لحصل على المزيد من الطعام ، وعلى (قدر) أقل كثيراً من العراك والحسد .
إن الرجل الذى يشكو – بعد اصطحابه كمرافق إلى (مدينة) بروندیسیوم أو إلى مدينة سورينتوم الجميلة ، ويتذمر من رداءة الطرقات ومن البرد القارس ومن الأمطار الغزيرة ،

أو ينتحب على خزانته التى كُسرت وعلى مدخراته التى سُرقت ،
يستدعى إلى الذهن الحيلة المعروفة للعاهرة التى لا تفتأ تنتحب كثيراً على (فقد) قلادتها،
وعلى خلخالها الذى أُنتزع منها ، (ثم تظل على نحيبها هذا) إلى أن تنعدم الثقة
تمامًا في خسارتها الحقيقية وأحزانها .ولن يكترث ذلك الذى تتم السخرية منه عند
مفترق الطرق ، بأن (يساعد) شحاذا ذا رجلٍ مكسورة على أن يقف منتصبًا،
رغم أن الدموع المدرارة تنهمر من عينيه ،
ورغم أنه يقسم بأوزوريس المقدس ويهتف قائلاً :
"صدقونى ، فأنا لا أخدعكم! أيها القساة، (ساعدوا) الأعرج على الوقوف!"
وهنا تصيح فيه جارته حتى يبح صوتها (بقولها) : «ابحث عن (ضالتك المنشودة فى شخص) رجل غريب . »

# الهوامش

(١) apud R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 44, 131.
(٢) ibid., p. 44.
(٣) A.A. Long, op. cit., p. 16.
(٤) M.J. McGann, op. cit., p. 75.
(٥) ibid., p. 75-76
(٦) ibid., p. 76.
(٧) Hor. Sat., i,5.
(٨) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 45-46 .
(٩) M.J. McGann, op. cit., pp. 76-77.
(١٠) ibid., p. 77.
(١١) E.Fraenkel, op. cit., p. 321.
(١٢) E.P. Morris, op. cit., p. 103.
(١٣) J.Perret, op. cit., p. 104.
(١٤) G.Williams, op. cit., pp. 14-17.
(١٥) Cic. de. Off., i,5,7.
(١٦) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 44-45; cf. A. Long, op. cit., p.17.
(١٧) Diog. Laer., ii, 8, 68.
(١٨) ميليتوس ، إحدى مدن إقليم إيونيا فى آسيا الصغرى .
(١٩) J.W. Duff, A. Literary History of Rome, p.187.
(٢٠) P.A. Brunt, " Amicitia in the Late Roman Republic", PCPS xi (1965) pp. 1-20.
(٢١) R.S. Kilpatrick., op. cit., p. 46.
(٢٢) ibid., p. 47.
(٢٣) G.Maurach, "Der Grundriss von Horazens erstem Epistelbuch", Act Class xi (1968), pp. 73-124, 114.
(٢٤) Hor. Sat., i, 9.

(٢٥) الساعة الأولى من النهار هى الساعة السابعة صباحاً .

(٢٦) فيرينتيوم ، مدينة تتميز بالهدوء ، وتقع فى منطقة ألبا بسهل لاتيوم .

(٢٧) يتفق هذا الكلام مع المبدأ الإبيقورى λάθε βιώσας .

(٢٨) لم يكن ديوجينيس الكلبى ينظف الخضروات لغدائه ، بينما يتغاضى أرستيبوس عن ذلك . وكان ديوجينيس الكلبى يقول : "إن كان بمقدورك أن تصبر على هذا فإنك لن تجلس على موائد الملوك" ، ويسخر أرستيبوس من هذا الكلام ويرد عليه قائلا : « إن كنت تعلم كيف تنسجم مع الناس فإنك لن تنظف الخضروات » (Diog., ii, 8, 68).

(٢٩) الفعل scurror يعنى القيام بأشياء مضحكة scurra ، فديوجينيس كان يسخر من أرستيبوس ، ويصفه بأنه طفيلى يرتاد موائدالأثرياء ، دون أن يُدعى ، وأنه يكسب ماله بالتملق .

(٣٠) تُسمى العباءة التى كان يرتديها الكلبيون pannus ، وذلك من باب الاحتقار ، وقد كانوا لا يرتدون ملابس داخلية ، بل كانوا يستخدمون عباءات ذات طبقتين، ولذلك كانت هذه العباءة تُعرف باسم الأسمال البالية δῖπλοις .

(٣١) يشير هنا هوراتيوس إلى إنتصارات أوغسطس التى ترفعه إلى مصاف الآلهة .

(٣٢) ينقل هوراتيوس هنا المثل اليونانى · "ليس بوسع كل رجل الإبحار إلى كورنثه." Οὐ παντός ἐς Κορινθόν ἐσθ' ὁ πλοῦς

ويشير هذا المثل فى الأصل إلى التكلفة العالية لحياة المتع بكورنثة ، لكن هنا على أية حال المعنى المراد مختلف تماماً ، فهو يريد أن يقول إنه ليس بإمكان كل إنسان أن يحصل على جائزة الفضيلة .

(٣٣) جاءت كلمة rex فى الكوميديا الرومانية على لسان شخصية الطفيلى عند وصفه لمولاه (Plaut, Capt., 92; Terent. Phorm., 338).

(٣٤) يقصد بكلمة «هذا» hoc ، مبدأ الحصول على أكبر قدر ممكن من المال من السيد.

(٣٥) عندما يصيح الغراب فإن نعيبه يدعو بقية الغربان لمشاركته فى الغنيمة التى حصل عليها .

# الرسالة الثامنة عشرة

الرسالة الثامنة عشرة ، وهى مثل الرسالة السابعة عشرة ، تتناول أيضًا موضوع الصداقة amicitia ، وهو الأمر الذى يدعو إلى المقارنة بينهما ، فكلتاهما موجهتان إلى صديقين شابين من أصدقاء الشاعر ، يصغرانه فى السن . وهو من جانبه ، وهو صاحب الخبرة والنظرة الأعمق للحياة ، ينصحهما بخصوص هذه العلاقة الإنسانية ، منطلقًا فى البداية من علاقة الصداقة الخاصة التى تربط كل واحد منهما براعيه ، الذى ينتسب إلى طبقة أكابر الرومان .

ولقد سبق أن وجه هوراتيوس الرسالة الثانية - كما هو الحال فى هذه الرسالة الثامنة عشرة -من هذا الكتاب إلى لولليوس أيضًا ، حيث ناقش هوراتيوس فيها أهمية التحكم فى النفس وضرورة تحاشى انفعال الغضب ، وبالتالى إمكانية تحاشى المغبة التى تترتب عليه . وضرب الشاعر على هذا مثلين من الأساطير هما أخيليوس وأوديسيوس ، وكلاهما يعد نقيضًا للآخر فى مدى القدرة على التحكم فى مشاعره وانفعالاته .

ونحن نفهم من شخصية سكايفا فى الرسالة السابعة عشرة أن صاحبها كان يريد أن يحتفظ لنفسه ولعائلته بالكرامة dignitas ، دون أن يكون لديه ما يكفيه من المال (٥٩-٦٤) ، رغم أنه فى مكانة اجتماعية قريبة من مكانة صديقه صاحب النفوذ potens amicus . وسكايفا لم يكن قد أقام بالفعل علاقة بأحد من أصحاب السلطة ، بينما القراءة المتأنية للرسالة الثامنة عشرة توحى لنا بقدر من الاندفاع فى سلوك لولليوس ، الأمر الذى جعل إقامة مثل هذه العلاقة أمرًا صعبًا . ووجد هوراتيوس نفسه ملزمًا أخلاقيًا بأن يسوق إليه النصيحة لكونه صديقًا له وأكبر منه سنًا amicus natu maior[١] .

ويُذكر أن هوراتيوس فى الرسالة الثانية يخاطب لولليوس بكلمة **puer** :

«تشرّب الآن بكلماتى أيها الصبى وأنت لاتزال طاهر القلب نقى السريرة.»

(٦٧-٦٨)

لكنه هنا فى الرسالة الثامنة عشرة يلفت انتباهنا إلى وجود علاقة صداقة راسخة تربطه بالمرسل إليه، وهو بذلك يمهد فى لباقة وذكاء للنصيحة التى سوف يقدمها لصديقه ، ويصدِّر الشاعر هذه الرسالة بالصفة **liberrime** (الصريح إلى أقصى حد)، وهو ما يذكرنا بالصديق الصريح **liber amicus** الذى عدّه هوراتيوس أحد ركائز حياة المرء[٢] . وذلك لأنه يعتمد عليه فى قول الحقيقة ، كما نقول نحن فى المثل العربى السائر «صديقك من أصدقك القول لا من صدَّقك» . وهنا يُتوقع أن يشعر لولليوس باشمئزاز وأنفة غريزية إذا ما شعر أنه سوف يقوم كصديق بدور المهرج **scurra** ، لقاء أن ينجح فى إقامة صداقة **amicitia** زائفة مع أحد أكابر الرومان . وهنا نستطيع أن نفهم قصد هوراتيوس من استخدام الكلمة **scurra** :

« فكما أن الزوجة لن تستوى مع العاهرة ، وعنها تختلف ،

فكذا فإن الصديق سيختلف عن الطفيلى الخائن.»

**ut matrona meretrici dispar erit atque**

**discolor, infido scurrae distabit amicus. (3-4)**

وقد رأينا صورة العاهرة **meretrix** فى الرسالة السابعة عشرة كصورة مضادة للصديق الحقيقى الذى يقول الحقيقة ، وهنا نراها أيضاً إلى جانب الزوجة **matrona** التى تمثل الصديق الصدوق[٣] . ويصف الشاعر الطفيلى ، أو الصديق المزيف، بأنه مثل ممثل الميميات :

« أو أنه مثل ممثل للميميات يؤدى دوراً ثانويًا» (١٤)

ومثلما كان الممثل فى الميميات يؤدى دوراً ثانويًا إلى جانب الممثل الرئيسى، فيقوم بتقليد الممثل الرئيسى فى كلامه وفى إيماءاته[٤] ، فإن هذا الطفيلى بسلوكه

المتملق لصديقه الغنى هذا يصل إلى درجة المهرج كى يحافظ على هذه العلاقة القائمة على المنفعة :

« ثم يكرر أحاديثه ويردد الكلمات التى يتلفظ بها ،

حتى أنك لتعتقد أنه مثل تلميذ يكرر ما أُملى عليه من معلمه القاسى،»

(١٢-١٤)

ولولليوس ، بناءً على نصيحة صديقه هوراتيوس ، سوف يتحاشى أن يؤدى مثل هذا الدور فى الحياة .

وهكذا نفهم أن نقيصة الخنوع والتملق تأتى على النقيض منها شيمة الصراحة والاعتداد بالنفس . لكن هوراتيوس يضع أمامنا طرفًا آخر لشيمة الصراحة ويحذر من الوصــول إليــه ، وهو الفظاظة فــالمرء يمكن أن يكون فظًا غليظًا إذا مــا تطرف فى صراحته وتجاهل مشاعر الآخرين[٥] :

« إنها الفظاظة الفجة الخرقاء والعدوانية ،

التى تزكى نفسها ببشرتها الخشنة وأسنانها السوداء ،

بينما تتمنى أن تُنعت بأنها الصراحة المجردة والفضيلة الحقة. »

**asperitas agrestis et inconcinna gravisque,**

**quae se commendat tonsa cute, dentibus atris,**

**dum volt libertas dici mera veraque virtus. (6-8)**

هذه الفظاظة الخرقاء التى تجلب عداء الناس وتذهب برضاهم ، يشبهها الشاعر فى مظهرها المثير للغيظ بمظهر الفيلسوف الكلبى الذى يبدو غير حليق الذقن ، متسخ الأسنان ، متـنزعًا بالزهد والقناعة وترك ملذات الحيـاة ، فـالكلبى يرى الفضيلة فى حريته وصراحته التى تصل إلى حد الفظاظة وإغلاظ القول عند إبداء الرأى ، وهنا نتذكر المبدأ الشيشرونى الذى يرى فى البساطة مقومًا أساسيًا من مقومات الصداقة ، إلى جانب الأساس الذى لا يتزعزع فى هذه العلاقة وهو الثقة fides[٦] .

ومن قبل الرسائل ، نجد هوراتيوس فى الهجائيات ، يساوى بين الشخص الذى يتصف بأنه صريح liber وبين الذى يصفه الناس بأنه فظ truculentus [٧]. ولاشك فى أن هوراتيوس ينطلق فى نصيحته هذه من مبدأه الذى طالما نادى به وهو مبدأ الوسط الذهبى :

« الفضيلة هى وسط بين رذيلتين وهى بعيدة عن كليهما.»[٨]

virtus est medium vitiorum et utrimque reductum. (9)

ومن الجدير بالذكر أن شخصية الطفيلى الفظ scurra asper هى شخصية مألوفة فى أعمال بلاوتوس ، وشيشرون وكوينتليانوس[٩]. فالطفيلى عند بلاوتوس عادة مايكون شاباً صغيراً من عائلة محترمة يشغل أحياناً وظيفة دافع الضرائب الثرى scurra assiduus ، لكنه أحياناً كان بائعاً بالمزادات أو من طبقة اجتماعية أقل ، حيث كان يسىء استخدام منزلته الاجتماعية كعبد معتق libertus . وهو دائماً ما يقدم نفسه على أنه رجل حر ولكن حاله فى الحياة يؤكد عكس ذلك ، فهو يخضع لأوامر ورغبات راعيه[١٠] . وكثيراً ما وُصِفَ الطفيلى فى الكوميديا بأنه «غبى» stultus أو «كذاب» mendaciloquus أو «وقح» petulans ، وبغير ذلك من الصفات التى تثبت عليه تفريطه فى كرامته dignitas ، وهى النقيصة التى تُعد عيباً كبيراً فى تراث العادات الرومانية القديمة[١١] . وفى هذا الصدد يقول شيشرون :

« من (المألوف) قديمًا ، فيما يحكى عن الطفيلى أنه

كان بإمكانه أن يذعن لرجل ثرى بخضوع أكثر من خضوعه لسلطة أبيه. »

vetus est, de scurra multo facilius divitem quam patrem familias fieri posse". (Cic., Quinct., 17, 55)

ولأن الطفيلى كان يتخذ لنفسه فى الكوميديا مظهر الخطباء ، كى يشرح فلسفته فى الحياة وأسلوبه الخاص فى التعامل مع الناس والأحداث ، وكى يعتد فى فصاحته بمهنة الآباء المشرفة فيبدو ثرثاراً يتكلم فى كل شىء[١٢] ، فقد كتب شيشرون عن ما يميز الخطيب orator عن الطفيلى المهرج scurra :

« حساب الوقت ذاته ، الاعتدال فى الاحتداد

وضبط النفس ، وقلة الكلمات.»

"temporis ratio ipsius dicacitatis moderatio et

temperantia, et raritas dictorum". (Cic.,de Or., ii, 247)

وقد ساق شيشرون فى أعماله عدداً من الصفات التى تؤثر فى علاقة الصداقة تأثيراً سلبيًا ، أهمها الرغبة الشديدة **libido** وسرعة الغضب **iracundia** والمقامرة ، وقد عدَّ شيشرون الافراط فى الانفعال وعدم الاعتدال فيه **intemperantia** بأنه مصدر كل ما يفسد العلاقات الإنسانية(١٣) :

« مصدر كل الاضطرابات .»

ominum perturbationum fons". (Cic., Tusc., iv, 9, 22.)

ولاشك أن هوراتيوس وهو يكتب هذه الأبيات ناصحًا صديقه لولليوس ، كان متأثراً بما كتبه شيشرون ، وبما صوره شعراء الكوميديا فى مسرحياتهم :

« لكن ماهو إذن موضوع النقاش ؟ ومن أكثر مهارة ؟

كاستور أم دوليخوس؟» (١٩)

وذلك كناية عن التحدث فى كل شىء مهما كان تافهاً .

ثم يضيف هوراتيوس فى الأبيات من ٢١-٢٤ وصفاً للتابع غير الحكيم :

« إن مَنْ تجرده (من ملابسه) وتصيره عاريًا شهوته الجنسية المدمرة ،

أو لعبة القمارة الخطرة،

ومَنْ (يدفعه ) خيلاؤه إلى التزين فى ملبسه وإلى التطيب بالعطر

بصورة تفوق إمكاناته ، ومَنْ يتملكه ظمأ لا يرتوى وجوع (لايشبع) للمال،

ومَنْ يتملكه الخجل والخوف من الفقر »

وهنا أمام شخصية التابع الشهوانية المقامرة المتعجرفة دونما إمكانيات حقيقية ، والتى يسيطر عليها الطمع وحب المال والخوف من الفقر ، ربما يكون رد فعل الصديق الثرى رداً سيئًا لقاء هذه الصفات السيئة التى تندرج تحت الإفراط وعدم الاتزان ، حتى وإن كان هو نفسه يحمل تلاً من الرذائل وعدم الاعتدال **intemperantia** فى السلوك :

**«فإن صديقه الثرى، الذى غالبًا ما يكون متخمًا بأكثر من عشر رذائل،**

**يكرهه ويخشاه»[١٤]** **(٢٤-٢٥)**

أما إذا كان الصديق الثرى رجلاً طيباً وعلى خلق كريم ، فسوف يطلب من تابعه أن يكون أكثر اعتدالاً فى سلوكه :

**« أو ، إن لم يكن يكرهه فإنه يوجهه ، كما لو كان أمًا بارة به ،**

**ويتمنى له أن يكون أكثر حكمةً منه هو نفسه ، وأسبق منه فى الفضائل»(٢٦-٢٧)**

ثم يحذر هوراتيوس صديقه لولليوس من أن يكون رجلاً سريع التأثر فى إفراط بما يأتيه من نعم ومال **homo intemperans** ، وأن يكون متزنًا فى التعامل مع الثروة المفاجئة التى يمكن أن تأتيه . ويذكر له أن من الأتباع من يغير حياته كليةً ، إذا ما جاءه المال ، فيصبح كسولاً تافهاً ، منقاداً لشهواته ، فيخسر احترامه لنفسه ، ولا يقدر واجباته العملية والتزامه «بالواجب الشريف» **honestum officium**[١٥] . فيصير به الحال نتيجة لذلك من سيئ إلى أسوء ، ويفقد ماله ويعجز عن سداد ديونه، حتى أنه يضطر للنزول إلى ساحة النزال ليصبح مصارعًا فى عروض المجالدين أو يعمل كبائع للخضروات .

ويضرب الشاعر مثلاً على ذلك بشخص يُدعى يوترابيلوس[١٦] **Eutrapilus** الذى كان قاسيًا مع أتباعه الأغبياء الحمقى ، حيث يهبهم الملابس الفاخرة ، فينقلب حالهم إلى النوم والكسل والشهوات ، بدلاً من العمل الجاد . ويقول هوراتيوس على لسان أحد الأثرياء وهو يخاطب تابعه بغية أن يجلّى له الحقيقة :

« إن ثروتى تسمح لى بالحماقة - فلا تحاول أن تنافسنى -
فإمكاناتك أنت ضئيلة .
إن العباءة الضيقة تلائم التابع اللبيب ، فتوقف إذن عن منافستى .
فإن يوترابيلوس - إذا رغب فى إيذاء شخص ما -
كان يمنحه الملابس الفاخرة (ويقول) :
"لأنه سعيد الآن بامتلاك الملابس الجميلة، فإنه سيتخذ لنفسه غايات جديدة وآمال جديدة،
وسينام حتى الضحى، وسيجعل العمل النبيل يأتى فى المرتبة الثانية بعد مرافقة العاهرة،
وستتضاعف ديونه ، وفى النهاية سيصير مجالداً متدثراً بدرع تراقى ،
أو سيصبح قائداً مأجوراً لجواد صاحب مزرعة الخضر. » (٢٨-٣٦)

ولاشك أن الإلتزام والإعتدال ، وضبط النفس **temperantia** بنوازعها وشهواتها، يعنى فى نظر هوراتيوس أيضًا ضرورة أن يكون التابع أهلاً لثقة **fides** راعيه حافظاً لأسراره مؤتمنًا عليها :

« وستحفظ (السر) الذى أنت مؤتمن عليه ، حتى لو عُذبت بالخمر والغضب » (٣٨)

**commissumque teges et vino tortus et ira.**

فضبط النفس **temperantia** أمر ضرورى ضد الفضول المفرط وضد التدخل فى شئون الآخرين ، والتدخل فى شئون الآخرين والغضب يعدان من مظاهر الانفعال النفسى المفرط بالشهوة **libido**(١٧) .

ويشير شيشرون إلى أن الاهتمامات الشخصية المختلفة باختلاف الناس ، من شأنها أن تفصم عرى الصداقة :

« لأن الشخصيات المختلفة تتبع اهتمامات متباينة ، ولأن تباين تلك
الاهتمامات ( من شأنه أن) يفصم عُرى الصداقة»

**" disparis enim mores disparia studia sequuntur, quorum**
**dissimilitudo dissociat amicitias".**

**(Cic., de Am., 20, 74)**

ولكن شيشرون قام بشرح هذه الفكرة بدقة (Am., 30, 107) مستخدمًا نموذج الصداقة القائمة بين سكيبيو ولايليوس[١٨] ، كصداقة حقيقية قائمة على الفروق والاختلافات بين الاثنين ، اختلافات تُتمم بعضها بعضاً ولا تتعارض ، وذلك لأنها لاتفتقر إلى المنطق السليم . وفى هذا الصدد يقول هوراتيوس مخاطباً لولليوس :

« ولن تمدح اهتماماتك أو تقدح اهتمامات الآخرين ،

ولن تقرض الشعر بينما سيدك يرغب فى الذهاب للصيد»(٣٩-٤٠)

وهوراتيوس هنا يحث لولليوس على التخلى عن مدح ما يحب ويهوى وألاّ يقلل من شأن اهتمامات راعيه ، حتى لو كان الأمر به مشقة يتكبدها . ويسوق إليه مثالاً من الأساطير ، حيث نجد أن أمفيون وهو الذى يهوى الشعر والموسيقى ، قد تخلى عن قيثارته لأن أخاه زيثوس ، الذى كان يفضل حياة الصيد ورعى الأغنام ، كان لايطيقها[١٩]، لأنه شعر أن اتفاقه وأخيه أهم من هوايته التى يحيا بها ، وذلك كى يستطيعا الانتقام لأمهما أنتيوبى :

« وعلى هذا النحو ظل ( حبل ) الود مقطوعًا بين الأخوين التوأمين أمفيون وزيثوس،

إلى أن صمتت القيثارة التى كان يزدريها (زيثوس) الصارم .

فلقد كان هناك اعتقاد مؤداه أن أمفيون قد خضع لطباع أخيه :

أفلا تخضع أنت ( بالمثل) للأوامر الرقيقة (الصادرة عن) صديقك القوى!

فهو كثيراً ما يقود نحو الحقول

كلاب الصيد والبغال المحملة بشباك الصيد الأيتولية . » (٤١-٤٦)

وكان هوراتيوس ذكيًا فى اختياره لهذا المثال الأسطورى ، لأن من الأبيات نفهم أن الشاعر يشير إلى أهمية حياة التأمل والفن أيضًا ، ومع ذلك أذعن أمفيون لرغبة أخيه فى الحياة العملية الفاعلة vita activa. وهوراتيوس يحض لولليوس على أن يتخلى عن بعضٍ من وقت فراغه otium كى يلازم صديقه فى هواية الصيد ، بينما هو يسلّم بمبدأ مؤداه أن الشعر شىء جدير بالاهتمام وذو شأن[٢٠]. وهوراتيوس دائماً ما يتحلى باللباقة عند إسداء النصح فيحاول أن يجعل نشاط الصيد أكثر جاذبية

إلى نفس لولليوس ، وذلك حتى لا يفقد الأخير مـاء وجهـه إذا مـا تخلـى عن هوايته ، أى عن الشعر . ويوعز الشاعر لصديقه الشاب بأن حياة الشعر ربما ينقصها الجانب الاجتماعى لأنها تجعل الإنسان يميل إلى حياة الوحدة والنفور من الناس :

« انهض إذن واطرح عنك تبرم كامينا (ربة الشعر) الفظة.» (٤٧)

ويذكره بأن حياة الصيد إنما تتفق مع ما فُطر عليه الرومان من حب لحياة العمل الشاق الجاد الدؤوب والإنجاز ، وأنه لابد وأن يصيب طعامًا شهيًا حتى تزدهر صحته البدنية[٢١] :

« فلعلك تتناول معه وتشاركه طعامًا شهيًا تم شراؤه بكدك ،

إن العمل الدؤوب للرجال الرومان كان (سببًا) فى شهرتهم ،

ومفيدًا لحياتهم (وسلامة) أطرافهم ، لاسيما وأنت فى أتم صحة.» (٤٨-٥٠)

وبعد أن ذكَّر هوراتيوس لولليوس بأن رياضة الصيد ستعود بالفائدة على لياقته البدنية ، وربما جلبت له أيضًا الشهرة . وحتى لو كانت هذه الرياضة من قبيل اللهو والتسلية ، فلا بلأس ، فكثيرًا ما كان لولليوس ينفق الوقت فى اللعب فى مزرعة أبيه:

« فإنك أحيانًا تلهو فى مزرعة والدك بالريف» (٦٠)

interdum nugaris rure paterno.

ثم ينتقل هوراتيوس إلى فكرة الثقة **fides** مرة أخرى ، الثقة التى يجب على من يتقرب إلى صديق مهم أن ينجح فى أن يكتسبها منه ، وهو الطرف الأقوى بالطبع . فعلى المرء ألا يعطى نفسه مطلق الحرية **libertas** فى الحديث ، بل عليه أن يراقب نفسه دائمًا فيما ينطق به ولمن يتوجه بحديثه ، وذلك حفاظًا على أسرار صديقه صاحب السلطان :

« فكر مليًا فيما تقوله وعن أى رجل تقوله ولمن تقوله .

تجنب الإنسان الفضولى : لأنه ثرثار، ما فى ذلك شك،

كما أن الآذان المفتوحة لا تحفظ الأسرار بإخلاص ،

والكلمة بمجرد أن يتم التلفظ بها تطير ويتعذر تغييرها » (٦٨-٧١)

**quid de quoque viro et cui dicas, saepe videto.**

**percontatorem fugito: nam garrulus idem est,**

**nec retinent patulae commissa fideliter aures,**

**et semel emissum volat irrevocabile verbum.**

وفيما يخص الفوائد **beneficia** التى يحصل عليها الإنسان من علاقة الصداقة هذه ، فعلى المرء أن يكون عفيفًا رفيع الذوق ، فلا يهبط بنفسه لدرجة أن يعبر عن رغبة هى فى الحقيقة رغبة تافهة :

« فلا تدع خادمة أو غلامًا – في نطاق عتبة منزل صديقك

المرمرية الواجب التبجيل – يشعل قلبك بالنيران ،

حتى لا ينعم عليك مالك الصبى الجميل أو الفتاة الأثيرة إلى قلبك،

بهدية تافهة أو يعذبك برفضه وعدم موافقته . » (٧٢-٧٥)

**non ancilla tuum iecur ulceret ulla puerve**

**intra marmoreum venerandi limen amici,**

**ne dominus pueri pulchri caraeve puellae**

**munere te parvo beet aut incommodus angat.**

وذلك لأن نزوةً كهذه لو حققت للإنسان السعادة الوقتية أو اللحظية ، لابد وأن تظهر ضعفه البشرى ، ولربما أيضًا ، أغضبت هذه الرغبة الصديق صاحب النفوذ . ومن المؤكد أيضًا ، كما يدرك كل إنسان ، أن تكرار الطلبات التافهة من صديق قريب لابد وأن ترهق علاقة الصداقة وتصيبها بالتوتر(٢٢) .

ومن واجبات الصديق التابع ، أى لولليوس هنا ، أن يقدم أو يزكّى إلى راعيه وصديقه صاحب النفوذ **potens amicus** شخصيات ذات مكانة اجتماعية أو على الأقل ذات موهبة أدبية وذوق رفيع ، كما سبق وأن قدم كل من ڤرجيليوس ، ومعه ڤاريوس ، هوراتيوس إلى مايكيناس. وعليه أيضاً أن يدفع عنه كيد الآخرين من أعدائه(٢٣) ، حتى لا يعرض نفسه لحرج إذا ما حدث وأن زكّى لدى راعيه شخصاً غير جدير بالثقة ، فيخطئ الأخير ويقع اللوم على الصديق التابع :

« فأيًا كان الشخص الذى تزكيه ، فاختبره مراراً وتكراراً ،

حتى لا تجلب عليك أخطاء الآخرين الخزى والمتاعب

فى القريب العاجل. » (٧٦-٧٧)

**qualem commendes, etiam atque etiam aspice, ne mox**

**incutiant aliena tibi peccata pudorem.**

فإذا ما حدث وأخطأ التابع فى تصرف ما ، فعليه أن يبادر بالاعتراف بخطئه ، ولا يدافع عن الباطل ، أما إذا كان مقتنعاً بصحة تصرفه ، فعليه أن يدافع فى ثبات وثقة عن نفسه ، أو عن الشخص الذى هو محل اللوم ، وذلك حتى تمتد خيوط الثقة بين جميع الأطراف . فالصديق الحقيقى لا يقبل أن يكون صديقه متهماً دون أن يدافع عنه(٢٤) ، ولا يرضى بأن يقلل أبداً من شأنه مهما كان الأمر . فهذا هو برهان الصداقة الحقيقية ، مثلما يفعل الوالد تجاه ابنه الذى هو من صلبه ، فمهما كان فى الابن من نقص أخلاقى، عليه ألا يزدريه أو يهينه أبداً :

«ولعلك تدافع عن الإنسان الذى تعرفه جيداً ، إذا انهالت

عليه الاتهامات وتحميه لأنه يعول على رعايتك له » (٨٠-٨١)

**ut penitus notum, si temptent crimina, serves**

**tuterisque tuo fidentem praesidio :**

ويرى هوراتيوس أن من واجب الصديق اللبق ، كى ينجح فى علاقته مع الآخرين، ألاّ يأتى سلوكه مناقضاً لسلوك صديقه ، حتى لا يشعر الأخير أن سلوكه بذلك محل

انتقاد ، فالإنسان يمقت من الناس من يلفت النظر إلى أخطائه ، حتى ولو لم يكن يفعل ذلك عن عمد :

« يكره المحزونون الإنسان المرح ، ويكره المتفكهون الرجل الحزين ،

والمتعجلون يمقتون الرجل المتأنى الرزين ، أما الكسالى فيمقتون

الرجل النشيط الفعال؛

كما يبغض السكيرون ، المولعون بشرب الخمر الفاليرنى فى منتصف الليل،

الرجل الذى يرفض اليد الممتدة إليه بالأقداح» (٨٩-٩٢)

**oderunt hilarem tristes tristemque iocosi,**

**sedatum celeres, agilem navumque remissi,**

**potores bibuli media de nocte Falerni**

**oderunt porrecta negantem pocula,**

فإذا ما كان الرجل يفضل الصمت والاعتدال ، فعليه أن يتنازل بعض الشىء عن صمته واعتداله ، وأن يشارك صديقه رغباته حتى لا يبدو على النقيض منه دائماً ، وأن يتحلى بالروح المرحة حتى لا يبدو غامضاً متجهماً :

« بدد إذن سحابة الكآبة من على جبهتك :

فكثيراً ما يتخذ الإنسان المعتدل مظهر الإنسان الغامض ،

كما يتخذ الرجل الصامت سمت الإنسان العابس المتجهم. »[٢٥] (٩٤-٩٥)

**deme supercilio nubem : plerumque modestus**

**occupat obscuri speciem, taciturnus acerbi.**

ويُذكر أن شيشرون قد أوصى صديقه كايسونينوس بنفس هذه الوصية ، مبيناً أن مفتاح النجاح فى ذلك هو التحلى بالاعتدال فى الرغبات وكبح جماح النفس وأهوائها **temperantia**[٢٦] . هـذا المعنى يذكرنا بتساؤل سبـق وأن طـرحـه هـوراتيوس

فى الهجائيات حول ماهية الإنسان الحكيم ، قائلاً إنه هو الإنسان الذى يستطيع أن يسيطر على نفسه والذى لا يفزع من الفقر ولا من الموت ، هو الماهر فى كبح رغباته والزاهد فى المناصب[٢٧] .

وبالطبع فإن المصدر الذى يستقى منه لوليوس مثل هذه الحكمة العالية هو بالطبع كتب الفلاسفة ، كما سبق وأن ذكر الشاعر فى الرسالة الثانية من هذا الكتاب.

والمقصود بالمثقفين هنا هم الفلاسفة ، ومثل هذه الحكمة الرواقية أو الإبيقورية هى التى يمكنها أن تواجه خطر الرغبات البشرية العارمة ، كالطمع فى المال مثلاً ، مما يؤدى بالإنسان فى النهاية إلى السكينة والسعادة والتوائم مع النفس ذاتها :

« وفى خضم كل (هذه) الأشياء (ينبغى عليك) أن تقرأ (مؤلفات)
المثقفين وتستشيرهم،
عن الطريقة التى يمكنك بها قضاء عمرك فى سكينة واعتدال ،
بحيث لا يقض الفقر أبداً مضجعك ، ولا يبعث الجشع
الاضطراب فى نفسك،» (٩٦-٩٨)

**Inter cuncta leges et percontabere doctos,**

**qua ratione queas traducere leniter aevum,**

**num te semper inops agitet vexetque cupido,**

ويتساءل هوراتيوس هنا عن التعليم ، وهل هو الذى يؤدى بالإنسان إلى اكتساب الحكمة ، ثم التحلى بالفضائل ، أم أن الفضيلة هى منحة من الطبيعة . ويذكر أن أفلاطون قد ناقش هذا الأمر فى محاورة «مينو» ، حيث تساءل عما إذا كان يمكن للإنسان أن يكتسب الفضيلة بالتعليم (διδακτή)[٢٨] .

« ولعلى أمتلك وفرة لا بأس بها من الكتب ومن الزاد المتاح لى طوال العام،
ولعلى لا أرتجف فى قلق بأمل يراودنى فى كل ساعة مبهمة وغامضة،
لكن حسبى التضرع لجوبيتر الذى يهب من يشاء ويحرم من يشاء،

ألا فليمنحني الحياة ، وليهبني الثروة ، وسأزود أنا نفسي بعدها بعقل راجح. »

(١٠٩-١١٢)

sit bona librorum et provisae frugis in annum

copia, neu fluitem dubiae spe pendulus horae.

Sed satis est orare Iovem, quit ponit et aufert,

det vitam, det opes ; aequum mi animum ipse parabo.

فى الأبيات السابقة يريد هوراتيوس أن يبين لصديقه لولليوس أن الآلهة ربما تهب الإنسان الحياة والثروة إذا ما تضـرع الشخص طالبا إياها ، لكنهـا ، أى الآلهـة ، لا تهب سلام العقل وطمأنينة النفس ataraxia ، أو العقل الراجح . فالإنسان هو نفسه الذى يستطيع أن يكتسب سلامة نفسه ورجاحة عقله باجتهاده فى الحيلولة بين النفس وبين تحقيق رغباتها. ويُذكر أن رجاحة العقل لدى شيشرون مرتبطة بالاعتدال temperantia والثبات fortitudo والحصافة prudentia ، بالإضافة إلى الصواب أو الحق rectum[٢٩] .

والموقف الدرامى لهذه الرسالة يحدو بالشاعر إلى التصريح بأن الصديق صاحب النفوذ لابد وأن يتمتع برجاحة العقل ، ولذا فهو يحث لولليوس على مرافقته فى رحلة للصيد . لكن لولليوس ربما لايرغب فى ذلك فهو صريح liber ولا يجامل ، ولكنه يفتقر إلى كبح جماح نفسه والسيطرة على ميوله . والشاعر من خلال نصائحه لصديقه لولليوس يريد منه ألاّ يفسد صداقته بصديقه صاحب النفوذ potens amicus . ومن المرجح أن الأخير صديق مشترك بين هوراتيوس ولولليوس ، وقد قبل لولليوس فى صداقته بناءً على توصية من هوراتيوس . ومن وصايا الشاعر نشعر أنه يريد القول أيضًا إن الشخص الذى يوصى بشخص آخر لدى طرف ثالث يصبح مسئولاً عن صحة علاقة الصداقة التى تنشأ وسلامتها . وقد كان شيشرون بالمثل مهتمًا بأن يتحلى صديقه الشاب تريباتيوس بالحكمة sapientia ، حتى يظل محتفظًا بعلاقته بقيصر ،

وفى هـذا الصـدد يستشهد شيشرون ببيت مـن تراچيدية «ميديا المنفيـة» التى كتبها إنيوس :

« من لايظفر بفائدة من كونه حليمًا ، فمن المحال أن يكون حكيمًا»(٢٠)

**qui ipse si sapiens prodesse non quit, nequiquam sapit**

**(Fr. 271)**

ويُذكر هنا أن الدعوة إلى الاعتدال وعدم الإفراط فى التمتع بالحرية الشخصية – كى يتمكن الإنسان من إقامة علاقة صداقة قوية ومستمرة – لا تتعارض مع ما جاء به هوراتيوس فى الرسالة السابعة عشرة التى حث فيها على التمسك بالكرامة والحرية الشخصية . وذلك لأن الموقف فى الرسالتين مختلف ، حيث إن لولليوس فى هذه الرسالة شاب سريع الغضب يفرط فى الصراحة **libertas** والحرية . ولقد خاطبه هوراتيوس فى البداية بالعبارة **liberrime Lolli** فى إطراء مبكر ، غير أنه ما لبث أن تحول إلى نقد لسلوكه ، ولقد فهمنا من هذا النقد أن على لولليوس أن يتحكم فى أعصابه وانفعالاته ، إذا ما أراد لصداقته أن تزدهر(٣١) . ولاشك أن نصائح هوراتيوس فى الجزء الأخير من هذه الرسالة ، والتى ساقها فى نغمة فلسفية إبيقورية وأيضًا رواقية ، قد أتت أشبه بالفحص النفسى الذى شخَّصَ الداء وخلص إلى أنه عدم الاتساق مع النفس ، لكننا إذا حققنا هذا التوازن النفسى ، عن طريق تحقيق العقل الراجح **animus aequus** أو « النفس المتزنة » ، أمكننا أن نحيا فى سلام مع أنفسنا وأيضًا مع الآخرين(٣٢).

أيا لولليوس ، أيها الصريح إلى أقصى حد ، إن كنت أعرفك جيداً ،
فإنك ستخشى أن تبدو لنا فى صورة الطفيلى (المتملق)[٣٣] ، إن ادعيت أنك صديق .
فكما أن الزوجة لن تستوى مع العاهرة ، وعنها تختلف ،
فكذا فإن الصديق سيختلف عن الطفيلى الخائن .
إن هناك رذيلة على النقيض من هذه ، بل ربما أسوأ منها ،
إنها الفظاظة الفجة الخرقاء والعدوانية ،
التى تزكى نفسها ببشرتها الخشنة وأسنانها السوداء ،
بينما تتمنى أن تُنعت بأنها الصراحة المجردة والفضيلة الحقة.
إن الفضيلة هى وسط بين رذيلتين[٣٤] وهى بعيدة عن كليهما .
فهناك رجل ميال أكثر مما ينبغى إلى الخضوع ،
وهو مهرج من الدرك الأسفل للأرائك[٣٥] ، يرتعد إلى حد كبير من
إيماءة للرجل الثرى ، ثم يكرر أحاديثه ويردد الكلمات التى يتلفظ بها ،
حتى أنك لتعتقد أنه مثل تلميذ يكرر ما أُملى عليه من معلمه القاسى،
أو أنه مثل ممثل للميميات يؤدى دوراً ثانوياً[٣٦] .
وهناك رجل آخر كثير التشاحن على صوف عنز[٣٧].
وهو يشن هجومه وهو مدجج بالسلاح على توافه الأمور ، ويقول :
"حقا قد لا أتمتع بثقتى الماضية ، وقد لا أنطق بقوة ما يدور فى خلدى فى الحقيقة!
إن حياة أخرى لا تساوى نقير."
لكن ماهو إذن موضوع الخلاف ؟ ومن أكثر مهارة ؟ كاستور أم دوليخوس؟[٣٨]

وأى طريق يؤدى إلى بروندیسیوم هو الأفضل؟أهو طريق مینوکیوس أم طریق أبيوس؟
إن مَنْ تجرده (من ملابسه) وتصيره عاريًا شهوته الجنسية المدمرة أو لعبة القمارة الخطرة،
ومَنْ (يدفعه) خيلاؤه إلى التزين فى ملبسه وإلى التطيب بالعطر بصورة
تفوق إمكاناته ، ومَنْ يتملكه ظمأ لا يرتوى وجوع (لايشبع) للمال،
ومَنْ يتملكه الخجل والخوف من الفقر ،
فإن صديقه الثرى،الذى غالبًا مايكون متخمًا بأكثر من عشر رذائل،يكرهه ويخشاه،
أو ، إن لم يكن يكرهه فإنه يوجهه ، كما لو كان أمًا بارة به ،
ويتمنى له أن يكون أكثر حكمةً منه هو نفسه ، وأسبق منه فى الفضائل.
ويخبره بما هو أقرب للحقيقة (بقوله) :
"إن ثروتى تسمح لى بالحماقة – فلا تحاول أن تنافسنى –فإمكاناتك أنت ضئيلة .
إن العباءة الضيقة تلائم التابع اللبيب ، فتوقف إذن عن منافستى."
فإن يوترابيلوس[٣٩] –إذا رغب فى إيذاء شخص ما–كان يمنحه الملابس الفاخرة (ويقول) :
"لأنه سعيد الآن بامتلاك الملابس الجميلة فإنه سيتخذ لنفسه غايات جديدة وآمال جديدة ،
وسينام حتى الضحى ، وسيجعل العمل النبيل يأتى فى المرتبة الثانية بعد مرافقة العاهرة ،
وستتضاعف ديونه ، وفى النهاية سيصير مجالداً متدثراً بدرع تراقى ،
أو سيصبح قائداً مأجوراً لجواد صاحب مزرعة الخضر."
إنك لن تتطفل أبدًا على أسرار (سيدك) ،
وستحفظ (السر) الذى أنت مؤتمن عليه حتى لو عُذبت بالخمر والغضب .
ولن تمدح اهتماماتك أو تقدح اهتمامات الآخرين ،
ولن تقرض الشعر بينما سيدك يرغب فى الذهاب للصيد .

وعلى هذا النحو ظل ( حبل ) الود مقطوعًا بين الأخوين التوأمين أمفيون وزيثوس[٤٠] ،
إلى أن صمتت القيثارة التى كان يزدريها (زيثوس) الصارم .
فلقد كان هناك اعتقاد مؤداه أن أمفيون قد خضع لطباع أخيه :
أفلا تخضع أنت ( بالمثل) للأوامر الرقيقة (الصادرة عن) صديقك القوى!
فهو كثيراً ما يقود نحو الحقول كلاب الصيد
والبغال المحملة بشباك الصيد الأيتولية[٤١] .
انهض إذن واطرح عنك تبرم كامينا[٤٢] (ربة الشعر) الفظة ،
فلعلك تتناول معه وتشاركه طعامًا شهيًا تم شراؤه بكدك :
إن العمل الدؤوب للرجال[٤٣] الرومان.كان (سببًا) فى شهرتهم ،
ومفيداً لحياتهم (وسلامة) أطرافهم ، لاسيما وأنت فى أتم صحة،
وبإمكانك أن تفوق الكلب فى السرعة ، والخنزير البرى فى القوة .
أضف إلى هذا أنه ليس هناك من هو أكثر منهم تألقًا فى استخدام أسلحة الرجال[٤٤] ؛
إنك تعلم جيداً مدى تهليل الجمهور وصياحه عندما تقوم بتشجيع المنازلات
فى ساحة مارس[٤٥] ؛ وخلاصة القول ، لقد خضت ،
وأنت صبى ، غمار معركة ضارية وغمار الحروب الكانتبرية،
تحت (قيادة) القائد الذى حتى الآن يعيد تثبيت راياتنا (بعد أن استعادها) من معابد البارثيين[٤٦] ،
وإن كان هناك شىء مازال بعيداً عن منال (نفوذنا) ، فإنه يعهد به للأسلحة الإيطالية.
ولعلك لا تنأى بنفسك بعيداً عن هذا ، وتتغيب دون عذر ،
رغم أنك حريص كل الحرص على ألا تفعل شيئًا يفوق قدرك وطاقتك ،
فإنك أحيانًا تلهو فى مزرعة والدك بالريف :

إن الجيش يقسم السفن ( إلى مجموعتين متساويتين) ،
ويقوم عبيدك بتمثيل معركة أكتيوم (البحرية) بأسلوب قتالى ،
تحت قيادتك[٤٧] ؛ وسيظل البحر الأدرياتى هو خصمك ،
إلى أن تتوج ربة النصر المجنحة واحداً منكما بإكليل الغار .
وإن مناصرك الذى يعتقد أنك راضٍ عن اهتماماته ،
سيمتدح عرضك المسرحى بكل إبهام من إبهاميه[٤٨] .
فلعلى أستمر فى نصحى لك ( إن كنت فى حاجة لناصح لك فى أى أمر ) ،
فكر مليًا فيما تقوله وعن أى رجل تقوله وإلى من تقوله .
تجنب الإنسان الفضولى : لأنه ثرثار، ما فى ذلك شك،
كما أن الآذان المفتوحة لا تحفظ الأسرار بإخلاص ،
والكلمة بمجرد أن يتم التلفظ بها تطير ويتعذر تغييرها .
فلا تدع خادمة أو غلامًا – فى نطاق عتبة منزل صديقك المرمرية
الواجب التبجيل – يشعل قلبك بالنيران ،
حتى لا ينعم عليك مالك الصبى الجميل أو الفتاة الأثيرة إلى قلبك،
بهدية تافهة أو يعذبك برفضه وعدم موافقته .
فأيًا كان الشخص الذى تزكيه ، فاختبره مراراً وتكراراً ،
حتى لا تجلب عليك أخطاء الآخرين الخزى والمتاعب فى القريب العاجل.
ففى بعض الأحيان قد نُخدع ونزكى رجلاً غير جدير :
لذلك إذا ما خُدعت ، فامتنع عن حماية هذا الرجل الذى ينزل به الأذى سلوكه السيئ ،
ولعلك تدافع عن الإنسان الذى تعرفه جيداً ، إذا انهالت عليه الاتهامات ،

وتحميه لأنه يعول على رعايتك له :
لذا عندما يُلدغ هذا الرجل بناب ثيون[٤٩] (افتراء وكذبًا)
أفلا تشعر ، ولو بعد ذلك بقليل ، أن الأخطار ستدهمك أنت (أيضًا) ؟
إن ممتلكاتك ( ستغدو ) في خطر ، عندما تشتعل النار في الحائط المجاور (لبيتك)،
والنيران التي يُهمل أمرها من دأبها أن تستجمع قوتها. {٨٥}
إن التودد إلى صديق ذى نفوذ عظيم يغدو مستحبًا عند من هو عديم الخبرة :
أما الرجل المجرب فإنه يخشى ذلك . أما أنت ، فعندما يكون قاربك في المياه العميقة ،
فتدبر أمرك (بنفسك) حتى لا تردك الرياح على أعقابك ، بعد أن يتغير (مسارها) .
يكره المحزونون الإنسان المرِح ، ويكره المتفكهون الرجل الحزين ،
والمتعجلون يمقتون الرجل المتأنى الرزين،أما الكسالى فيمقتون الرجل النشيط الفعال؛ {٩٠}
كما يبغض السكيرون ، المولعون بشرب الخمر الفاليرنى فى منتصف الليل، الرجل الذى
يرفض اليد الممتدة إليه بالأقداح. وأيًا كان الأمر فقد أقسمت أنك تخشى الانفعالات
(الناجمة عن الخمر) أثناء الليل . بدد إذن سحابة الكآبة على جبهتك ،
فكثيراً ما يتخذ الإنسان المعتدل مظهر الإنسان الغامض ،
كما يتخذ الرجل الصامت سمت الإنسان العابس المتجهم . {٩٥}
وفى خضم كل (هذه) الأشياء (ينبغى عليك) أن تقرأ (مؤلفات) المثقفين[٥٠] وتستشيرهم،
عن الطريقة التى يمكنك بها قضاء عمرك فى سكينة واعتدال ،
بحيث لا يقض الفقر أبداً مضجعك ، ولا يبعث الجشع الاضطراب في نفسك،
ولا (يساورنك القلق من) الفزع أو الطمع فى الأشياء قليلة الفائدة[٥١] ،
هل التعليم هو الذى يجلب لنا الفضيلة ؟ أم أن الطبيعة هى التى تمنحها لنا ؟[٥٢] {١٠٠}

وما الذى عساه أن يقلل من همومك ؟ وما الذى قد يعيدك صديقًا لنفسك؟
وما الذى قد يجلب لك السكينة النقية ؟ أهو المقام الرفيع أم الربح الممتع؟
أم هو السفر فى انزواء والمضى فى طريق الحياة دون لفت الأنظار[٥٣] ؟
لطالما بث ديجنتيا فى قلبى الانتعاش ، ذلك النبع البارد
الذى تنهل منه مانديلا[٥٤] ، القرية التى تغضنت بسبب طقسها البارد ،
ما الذى تظن أننى أشعر به ؟ وما الذى تظن يا صديقى أنّى أرجوه وألتمسه ؟
فلعلنى أحظى بما هو عندى الآن ، أو حتى بما هو أقل منه ،
ولعلى أعيش من أجل نفسى ما هو باق لى من العمر ،
لو أن الآلهة تشاء أن يتبقى منه شىء؛ ولعلى أمتلك وفرة لا بأس بها من الكتب
ومن الزاد المتاح لى طوال العام، ولعلى لا أرتجف فى قلق بأمل يراودنى فى
كل ساعة مبهمة وغامضة،
لكن حسبى التضرع لجوبيتر الذى يهب من يشاء ويحرم من يشاء،
ألا فليمنحنى الحياة ، وليهبنى الثروة ، وسأزود أنا نفسى بعدها بعقل راجح.

# الهوامش

(١) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 50.

(٢) Hor., Sat., i, 4; iii, 132.

(٣) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 50-51.

(٤) G.Williams, op. cit., p.48.

(٥) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 51.

(٦) Cic., de Am., 18.65; cf. Sen., de Tranq. An., 6.3.

(٧) Hor., Sat., i, 3, 52.

(٨) Arist., Nicom. Eth., ii, 6: μεσότης δύο κακιῶν

(٩) Corbett, op. cit., p. 124.

(١٠) د. أحمد عتمان ، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري ، ص ٥٦، ص٦١.

(١١) تاريخ الأدب الروماني ، الجزء الأول ، تأليف ج. و. دف ، ترجمة د. محمد سليم سالم ، راجعه د. محمد صقر خفاجة ، الناشر : مركز كتب الشرق الأوسط (١٩٦٣)، ص ص ٥٦-٥٨.

(١٢) د. أحمد عتمان ، نفس العمل ، ص ٦١ .

(١٣) cf. Cic., Tusc, iii, 5, 11.

(١٤) حول فكرة الخوف الدائم من الفقر ، والسعي الدائم وراء كسب المال ، قارن :
Hor., Sat., i, 1, 92-100.

(١٥) R.S. Kilpatrick; op. cit., p. 51.

(١٦) حول شخصية يوترابيلوس ،أنظر حاشية رقم ٣٩ .

(١٧) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 52.

(١٨) سكيبيو أيميليانوس ١٨٥ – ١٢٩ق.م. ، هو أحد كبار الساسة الرومان ، وقد كرس نفسه لرعاية الأدب والأدباء . أما لايليوس فهو أحد معاصري سكيبيو ومن رجال الدولة البارزين .

(١٩) حول تفاصيل الأسطورة ، انظر حواشي الترجمة ، حاشية رقم ٤٠ .

(٢٠) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 52-53.

(٢١) تاريخ الأدب الروماني ، الجزء الأول ، ص ص ٥٨-٥٩ ، ص ص ٦٢-٦٥.

(٢٢) G.Williams, The Nature., op. cit., pp. 90f..

(٢٣) Hor., Sat., i, 9.

(٢٤) Cic., de Am., 18. 65, cf. Hor., Sat., i, 3, 32-34..

(٢٥) E.Fraenkel, op. cit., p. 318.

(٢٦) Cic., Prov., 4.8.

(٢٧) Hor., Sat., ii, 7, 83-85.

(٢٨) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 53.

(٢٩) Cic., ad Fam., xiii, 14, 2.

(٣٠) idem., ad Att., vii, 6, 1; cf. M.J.McGann, op. cit., p. 78.

(٣١) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 55.

(٣٢) حـول فـكرة استعـادة الإنسـان صداقتـه لنفسـه ، والتى ذكـرها هنـا هـوراتيوس ، قارن: Cic. Tusc., iv, 4, 8ff.

(٣٣) قارن Ep., i, 17, 19.

(٣٤) Arist; Nicomach Eth., ii, 6.

(٣٥) قارن Hor., Sat., ii, 8, 40f. ، حيث يقول إن الطفيليين scurrae كانوا يجلسون مع مضيفهم على الأريكة الأدنى.

(٣٦) فى الميميات يؤدى الممثل دوراً ثانوياً ، فهو عادة يقوم بتقليد الممثل الرئيسى فى كلامه وفى إيماءاته.

(٣٧) يعد صوف الكبش lana caprini مثالاً على الأشياء عديمة القيمة .

(٣٨) الرجلان من المبارزين فى ساحات النزال .

(٣٩) يوترابيلوس Eutrapelus : هو الفارس الرومانى ڤولومنيوس يوترابيلوس ، وقد لُقب بهذا اللقب لخفة دمه وظرفه . وجه إليه شيشرون رسالتين (ad., Fam., vii, 32, 33)، وفى رسالة أخرى إلى بايتوس (ad.Fam., ix, 26) تحدث شيشرون عن حضوره مأدبة فاخرة لدى يوترابيلوس ، وقد كان صديقاً حميماً لأنطونيوس وكان يشاركه فى ملذاته وفسقه (cf. Cic., Phil., 13.2) ، وبعد هزيمة أنطونيوس فى موتينا Mutina عام ٤٣ ق.م. كان سيواجه عقوبة الإعدام لولا تدخل أتيكوس وشفاعته (Nep., Att., ix, 10, 12) .

(٤٠) أمفيون Amphion وزيثوس Zethus : هما ولدا زيوس من أنتيوپى ، تزوجت أنتيوپى من ليكوس ، فقامت زوجته الأولى ديركى بتقييدها بالأغلال ، فجاءها زيوس وحل قيودها وفر بها إلى جبل كيثايرون حيث أنجبت هناك ابنيها اللذين كبرا بين الرعاة . منح أبوللو قيثارة إلى أمفيون ونمت لديه موهبة الغناء والموسيقى ، بينما كان أخوه يفضل الصيد ورعى الأغنام ، وقد تناول يوريبيديس هذه الأسطورة فى مسرحية بعنوان «أنتيوپى» ، وتناولها أيضاً باكوڤيوس فى مسرحية تحمل نفس العنوان .

(٤١) كلمة (أيتولية) ربما تعد صفة مرتبطة بكلمة شباك ، وهى تذكر القارئ بصائد الخنازير الأسطورى ملياجروس من كاليدون .

(٤٢) كامناى Camenae:انظرحاشية رقم(١) بالقصيدة الأولى، وقارن Ep.,i,1,195.

(٤٣) cf. Hor., Sat., ii, 2. : tu pulmentaria quaere sudando

(٤٤) cf. Hor., Sat., ii, 2, 10f. ، حيث يصف الصيد بأنه Romana militia .

(٤٥) يقصد هنا الألعاب الرياضية التى تقام فى مساحة مارس .

(٤٦) فى عام ٢٠ق.م. ، استعاد أوغسطس من البارثيين الرايات التى كانوا قد أخذوها من كراسوس ، وتم ذلك من خلال معاهدة أُبرمت بين الطرفين (cf. Hor., Ep., i, 12, 28) .

(٤٧) قام لولليوس وأخوه بتمثيل معركة أكتيوم البحرية .

(٤٨) يشير هنا إلى الطريقة التى يعبر بها الجمهور فى ساحة النزال عن استحسانهم لأداء المجالدين .

(٤٩) ناب ثيون ، هو مثل على الافتراء وتشويه السمعة . وأصل هذا المثل غير معروف لنا .

(٥٠) يقصد هنا الفلاسفة .

(٥١) قد تتعارض الفضيلة summum bonum مع الأشياء قليلة الفائدة ، وهى ممتلكاتنا التى صنفها الرواقيون بأنها غير مهمة aδιάφopa .

(٥٢) ناقش أفلاطون فى محاورة مينو ما إذا كانت الفضيلة يمكن اكتسابها بالتعليم διδακτη

(٥٣) cf. Hor. Ep., i, 17,10

(٥٤) قرية مانديلا ، هى حاليًا كانتا لوبو بارديللا ، وهى قرية صغيرة يذهب سكانها إلى نبع ديجنتا لينهلوا من مياهه .

# الرسالة التاسعة عشرة

تعد الرسالة التاسعة عشرة فريدة بين رسائل هذا الكتاب ، وذلك من جهة مانلمسه فيها من اهتمام كبير بالمواضيع الأدبية ، غير أن الأستاذ م.ج. مكجان يرى أنها تتضمن إلى جانب الموضوعات الأدبية أيضًا عناصر أخلاقية . تلك العناصر التى تؤكد على أنها تأتى فى سياق المهمة الأخلاقية الرئيسية لهذا الكتاب مع بقية الرسائل . ومن العناصر التى تميز هذه الرسالة التاسعة عشرة نجد عنصر السخرية، الأمر الذى يذكرنا بالهجائيات(١) :

« إيه أيها المقلدون ، أيها القطيع الوضيع ، كم من مرة
أثار صخبكم غضبى ، وكم من مرة أثار عليكم ثائرتى! »

**o imitatores, servum pecus, ut mihi saepe**

**bilem, saepe iocum vestri movere tumultus!**

**(19-20)**

ولعل هوراتيوس فى الرسالة التاسعة عشرة يرد على النقد المناوئ الذى وُجِهَ له ضد الغنائيات ، حيث زعم النقاد أن هذه القصائد قد افتقرت إلى الأصالة وأنها مجرد تقليد للنماذج الغنائية الإغريقية . وهوراتيوس هنا يعارض التقليد الساذج المستسلم للأصل الذى يقلده . وجدير بالذكر أن الشاعر حين قلد النماذج الإغريقية لم يقلدها تقليداً أعمى ، فقد تأثر ببحور الشعر التى ابتكرها أرخيلوخوس ، لكنه كان أصيلاً فى مواضيعه ، فلم يأخذها عن أرخيلوخوس . ويؤكد هوراتيوس أنه لا يحاول اكتساب استحسان الناس لأعماله ، مثلما يفعل الساسة حين يسعون لكسب أصوات الناخبين عن طريق الهدايا وإقامة الموائد . فهو لم يدع الناس لسماع قصائده، وربما بسبب

سلوكه هذا يتهمه الناس بالتعالى ، إلاّ أنه فى نهاية الرسالة يحاول أن يبرأ نفسه من هذه التهمة(٢) .

ويُذكر أن اللجوء إلى مرجعية سابقة للاستشهاد بها على ما يقول - حيث يلجأ هوراتيوس فى الافتتاحية إلى الاستشهاد بالشاعر الكوميدى الإغريقى القديم - الذى اشتهر بإدمانه الخمر - يُعد تقليداً يذكّرنا بافتتاحية الهجائية الرابعة من الكتاب الأول وكذلك الهجائيتان الثانية والثالثة من نفس الكتاب(٣) . والرسالة التاسعة عشرة تماثل الرسالة الأولى فى اهتمامها بقضية الشعر ،كما أن العبارة **servum pecus** «القطيع الوضيع» التى وردت فى البيت التاسع عشر تذكرنا بانتحال كلسوس لمؤلفات الآخرين فى الرسالة الثالثة . وكما ذكرنا فإن الأبيات العشرين الأولى من هذه الرسالة بها نغمة عالية من السخرية من مقلدى هوراتيوس وهم من خاطبهم بالعبارة **servum pecus** . ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى قضية الأصالة كى يقابل بها قضية التقليد الأعمى التى ذكرها ، فتحدث عن التقليد المبدع الأصيل :

« لقد كنت أول من طبع آثار قدميه الحرة على أرض فضاء ،
ولم أطأ بقدمىّ آثار أقدام غيرى.
من يثق فى نفسه فسوف يتحكم فى القطيع ويصبح قائده ،
وكنت أنا أول من عرض فى لاتيوم إيامبيات جزيرة باروس،
متبعًا (فى ذلك) بحور الشعر عند أرخيلوخوس وروحه ،
لا موضوعاته وكلماته التى أثارت ليكامبيس وضايقته. »

**libera per vacuum posui vestigia princeps,**
**non aliena meo pressi pede. qui sibi fidet,**
**dux reget examen. Parios ego primus iambos**
**ostendi Latio, numeros animosque secutus**
**Archilochi, non res et agentia verba Lycamben. (21-25)**

ويتحدث هوراتيوس فى السطور السابقة عن أشعاره الغنائية التى اتبع فى إبداعها نماذج الشعر الغنائى الإغريقى ، مشيراً إلى أصالته فى تناول هذه النماذج . فهو لم يكن مقلداً فى كل شىء بل كانت موضوعاته من البيئة الرومانية . ثم يشير هوراتيوس بعد ذلك إلى قُرّاء أشعاره ، فيرى أن البعض منهم «رجال محترمون» ذوى أصول عريقة، بينما يوجد بينهم هؤلاء العامة متقلبو المشاعر الذين يذمون أعماله على الملأ، بينما هم أنفسهم يمتدحونها إذ يستمعون إليها فى المجالس الخاصة. ولعل نغمة حديث الشاعر أصبحت جادة وبها شىء من الكبرياء ، حيث صنّفَ الجمهور إلى نبلاء وعامة وهوراتيوس يعتقد أنه قد فشل فى كسب مساندتهم له على المستوى الشعبى[٤] ، لأنه لا يتبع أساليب الدعاية الانتخابية التى تجرى فى مجال السياسة من أجل الدعاية لأشعاره ، حيث يرفض أن يلقى قصائده فى القاعات المزدحمة بالناس ، وهو ما يسمى بحفلات الإلقاء **recitatio** . كما أنه لايسعى إلى ذلك ، ولا يقيم الموائد كى يتوافد عليه الناس، ولايخطب ود هؤلاء النحاة أو معلمى الخطابة ، الذين يقومون بإلقاء الدروس حول الشعر والأدب ، كى يحظى باهتمامهم . ويستخدم هوراتيوس كلمة **tribus** مشيراً بها إليهم ، وذلك على سبيل السخرية منهم . لكن هذه النغمة الحادة تعود فتتسم بالتواضع ، حين يشير هوراتيوس إلى خشيته من أن يصدق الجمهور هذه النغمة الحادة ويقتنع برأى النقاد الذين يرون أن الشاعر واثق إلى حد الغرور فى أشعاره هو فقط[٥]، وأنه هو فقط الشاعر الممتاز ، وأنه يزدرى الجمهور ويفكر فقط فى رأى أوغسطس ، الذى يشير إليه بكلمة چوبيتر . عند هذا الحد نجد أن هوراتيوس – فى معركة مع الناس ومع النقاد – فهو يتصرف مثل مصارع يخشى أن تصيبه خربشات منافسه ، صارخًا طالباً الغوث والعون ، فلعبة **ludus** تحدى الجمهور من قِبَل المبدع هى فى رأيه ، مهما كان المبدع على صواب ، لعبة مثيرة للأعصاب وعواقبها وخيمة :

« لأن (هذه) اللعبة تؤدى إلى منافسة مثيرة (للأعصاب) وإلى الغضب،

ولأن الغضب (يسبب) عداوة ضارية وقتالاً مميتًا. »

**ludus enim genuit trepidum certamen et iram,**

**ira truces inimicitas et funebre bellum. (48-49)**

وهنا لا نجد هوراتيوس الشاب المتحمس - كما كان قديماً - لكننا نجد هوراتيوس الذى عبّر عن نفسه فى الرسالة الأولى من هذا الكتاب :

« إن العمر ليس كما كان ، وكذا مزاجى. »

**non eadem est aetas, non mens,**

فهوراتيوس يرى نفسه هنا أشبه بمصارع عجوز يعتزل اللعب ، وتأتى هذه الرؤية على النقيض من الدعوة إلى المنافسة والمشاكسة التى نراها فى الغنائيات(٦) .

لكن الأستاذ م.چ. مكجان يرى أن عدم رغبة هوراتيوس فى أن يستأنف التشاحن والشجار ربما يكون دليلاً على أن الهجوم الذى يلاقيه ليس هجوماً عدائياً بالفعل(٧) ، ويعضد رأيه هذا بأنه وردت فى حديث هوراتيوس كلمات توحى بالسخرية ، سخرية الشاعر من نفسه مثل **rides, 43** ؛ كما أن السطر العشرين ينطق بالسخرية .

ولو أننا صدقنا مضمون الأبيات التالية، وأخذناه على محمل الجد، لكانت الخصومة بين الشاعر وبين جمهوره خصومة حادة لايمكن الرجوع فيها، ولذا يرى م.ج. مكجان أننا يجب أن نستخرج مايشى بالسخرية المألوفة من جانب هوراتيوس:

«ولو قلت : "إنه من المخجل أن أتلو كتاباتى عديمة القيمة

فى صالوناتكم (المزدحمة) وأن أبدى اهتماماً بالتفاهات.»

**... "spissis idigna theatris**

**scripta pudet recitare et nugis addere pondus",**

**si dixi, "rides" ait, (41-43)**

وكذا البيت التالى :

«من يثق فى نفسه سيقود الجمهور كقائد.»

**... qui sibi fidet, dux reget examen. (22-23)**

ورغم أن هوراتيوس قد عرض نفسه من خلال عيون النقاد فى الهجائيات(٨) ، إلاّ أنه هنا فى الرسائل لم تكن لديه نفس الجرأة ، فانسحب من ميدان الخصومة

الأدبية كما ينسحب المصارع من حلبة المصارعة . ولكن ختام هذه القصيدة الذى جاء بالبيتين (٤٨-٤٩) - في رأى الأستاذ م.ج. مكجاي - يحمل قدراً كبيراً من المبالغة ، بحيث يجعلنا لا نأخذ هذه الخصومة الأدبية على محمل الجد ، خاصة إذا فهمنا إشارات هوراتيوس إلى خوفه وتراجعه في إطار التهكم المعهود عنه ، وأن انسحابه من ميدان الجدل الأدبي وميدان الشعر كانت له أسباب أخرى غير النقد الشديد الذى يواجهه[٩] . ويُذكر هنا أن الرسالة العشرين وهى الأخيرة فى هذا الكتاب ، يوجهها الشاعر إلى كتابه ، كما لو كان يتحدث إلى عبد تربى جيداً فى منزل سيده، إلاَ أنه عندما يحين وقت تركه هذا المنزل ، يشعر بالقلق ، فكتابه لا يرحب بالخروج إلى الجمهور خشية أن يسيء الناس استقباله .

ويرى الأستاذ ج. ويليامز أن هوراتيوس فى الرسالة التاسعة عشرة حين تشغله صورته كشاعر ومكانته أمام الجمهور ، إنما يؤكد أنه حين تحدث فى الرسالة الأولى عن تركه للشعر جانبًا ، لم يكن جاداً فى هذا الحديث[١٠] . حيث إننا منذ مطلع هذه الرسالة التاسعة عشرة ندرك أن أشعار هوراتيوس الغنائية هى موضوع الرسالة ، كما أنها تعد الرسالة الثالثة التى يوجهها الشاعر إلى صديقه صاحب النفوذ مايكيناس الذى يتمتع بقدرة أدبية عالية **docte Maecenas** ، كى يحتكم إلى حاسته النقدية ، محاولاً جذبه كى ينهمك فى مجادلات صديقه الأدبية وفى ظرفه الساخر[١١] . ويلفت هوراتيوس نظرنا إلى فضل الخمر على قرض الشعر ، حين يضرب مثلاً بالشاعر الكوميدى الإغريقى كراتينوس ، الذى سخر منه أريستوفانيس فى مسرحية «الفرسان» وصوره كشيخ مخرِّف[١٢] ، وصوره أيضًا فى مسرحية «السلام» سكيراً مدمنًا يسقط ميتًا أمام زقٍ مليءٍ بالخمر ، مما حدا بالأخير أن يكتب ملهاةً بعنوان «قارورة الخمر» **Pytine** ، نالت الجائزة الأولى ، سخر من نفسه فيها لإدمانه الخمر[١٣] . ويشير هوراتيوس أيضًا إلى هوميروس وذكره للخمر والنعوت التى أضفاها عليها ، مع ذكره أيضًا لإنيوس أبى الملحمة الرومانية كنظير لهوميروس عند الرومان ، والذى تحدث عن نفسه قائلاً :

**« إننى لا أنهمك أبداً فى الشعر ، إن لم أعافَ من مرض النقرس»**

**numquam poetor nisi si podager.**

**(Enn., Sat., fr. 21)**

ويؤكد هــوراتيوس أن الذين لا يسـترخون لا يستطيعون أبداً أن يكتبوا الشعر ، بل يجب عليهم أن يكرسوا أنفسهم لعمل شيء آخر، ويؤكد ذلك بإيراد الدليل. ويتلخص هذا الدليل في أنه إذا كان كاتو الأكبر - أشد من عُرف بتمسكه بأخلاق الرومان القدامى القويمة وسنة الأسلاف mos maiorum - قد عَرَف متى يمكنه أن يسترخي رغم صرامته وجديته ، فإن صديقه ميسالا يجب أن يفعل الشيء نفسه[١٤] .

ولعل هوراتيوس قد تعمد الحديث عن الخمر في سياق حديثه عن تقييم الجمهور والنقاد لأعماله ، وعدم رضائه عن هذا التقييم لأنه يتحدث عن غنائياته التي امتلأت بالحديث عن الخمر وأغراض احتسائها . تلك الغنائيات Odes التي تأثر فيها هوراتيوس بالنماذج الغنائية الإغريقية . بيد أن هوراتيوس قد أضفى على أشعاره روحه وأفكاره ، فجاءت مفعمة بالأصالة ومصورة بدقة للبيئة الرومانية ، لذا فقد عز عليه أن يقوم الرومان بالاستمتاع بهذه الأشعار التي نُظمت لأجلهم ولاقت استحسانهم في بيوتهم ، بينما هم أنكروها متعمدين حين استمعوا لها في المحافل الأدبية[١٥] .

وهوراتيوس يريد القول أيضاً إن شرب الخمر ليس دليلاً ولا وسيلة للبراعة في قرض الشعر، مشيراً بذلك إلى مقلديه من الشعراء الذين يفتقرون إلى الموهبة الحقيقية، فهم يقلدون تقليداً أعمى ، حتى وإن شربوا الخمر التي تشحذ قريحة الشاعر صاحب الموهبة . ويسخر هوراتيوس من هؤلاء حين يقول إنهم سيجرعون حتى شراب الكمّون ، إن هم ظنوا يوماً أنني قمت باحتسائه ، وذلك إمعاناً في تقليده تقليداً أعمى ، حتى يبدو لونهم شاحباً مثلي :

« لذا إن حدث مصادفة أن شحب لوني ،

فإن (هؤلاء الشعراء) قد يقدمون على شرب الكمون الذي يسلب الاحمرار (من البشرة) .»

... quod si pallerem casu,

biberent exsangue cuminum. (17-18)

هنا ــ أيضاً يدافع الشاعر عــن أسلوبه في تقليد النماذج الغنائية الإغريقية ، كما سبق وأن ذكرنا ، والجدير بالذكر أن شاعرنا كان مبدعاً في محاكاته لبحور الشعر وللمواضيع الغنائية الإغريقية ، كما أنه كان انتقائياً يجيد اختيار ما هو جدير بالمحاكاة ؛ وقد اعتبر هوراتيوس المحاكاة أسلوباً من أساليب التجديد والأصالة[١٦] .

وهوراتيوس حين يتحدث عن قرائه ناكرى الجميل ingrati lectores ، فلعله يقصد بهم أساتذة الخطابة grammatici وكذلك مقلدى الشاعر من الشعراء الأقل موهبة . فهؤلاء جميعًا ليست لديهم الأصالة الرومانية ingenuitas ، خاصةً أولئك الشعراء ، فهم قطيع وضيع servum pecus . وهذا الرأى النقدى الصريح يذكّرنا بالرأى الذى أبداه الشاعر فى الرسالة الرابعة فى صديقه ألبيوس :

« أيا ألبيوس أيها الناقد النزيه لهجائياتى . »

**Albi, nostrorum sermonum candide iudex, (1)**

ولعل هوراتيوس كان يمارس هذا النوع من النقد الصريح وهو مستمتع به، ولكن فى نطاق أصدقائه فقط ، وعلى رأسهم بالطبع صديقه صاحب النفوذ مايكيناس ، فهوراتيوس لم يكن معتمداً فى تقييم أعماله على النقاد المحترفين[١٧] ، بل على دائرة مايكيناس وأعضائها التى كانت كل شىء بالنسبة للشاعر. وهو موقف ليس بالجديد من جانبه ، فقد سبق وأن عبر عن يأسه من تفادى مخالب ذلك الشخص ثقيل الظل الذى سوف يقتحم دائرة مايكيناس[١٨] ، مشيراً بذلك إلى واحد من أساتذة الريتوريقا الذى أراد أن يجبر هوراتيوس على دخول عالم النقاد الملىء بالرياء والنفاق وبالمنافسات التافهة، مما جلب عليه غضب هؤلاء النقاد وحقدهم [١٩] . ولا يفوتنا أن نؤكد على أن هوراتيوس من خلال حديثه هذا إنما يعترف بأسلوب غير مباشر بدينَه وبمعروف مايكيناس ودائرته ، وفضلهما فى وصول الشاعر إلى هذه المكانة الأدبية الرفيعة . وقد جاء هذا الاعتراف فى لغة اصطلاحية نقدية وذلك حتى يكون خطابه على مستوى مايكيناس المثقف Maecenas doctus[٢٠].

وهكذا تركنا هوراتيوس ، بين سخريته وبين صراحته التى أبداها هنا ، فى حيرةٍ حول قضية ممارسة الشعر ، فهل نظم الشعر يحتاج إلى بعض الحماقة كالسكْرِ مثلاً ؟ فلا شك أن هوراتيوس يكتب وفى ذهنه حرفة الشعر وشخصية الشاعر من الوجهة الأخلاقية ، ومن ثم فإن هذه الرسالة تساهم كما فهمنا من قرائتها فى تجلية المهمة الأخلاقية للكتاب كله . وهى تدفعنا إلى تساؤل لا محيص عنه هنا ، وهو : هل حكم هوراتيوس على نفسه بأنه أصبح غير قادر كشاعر على التعامل مع النقاد ومع الجمهور ؟[٢١].

إيه يا مايكيناس ، أيها المثقف ، إن تصدق كراتينوس[٢٢] العجوز ،
فليست هناك أية قصائد غنائية قادرة على الإمتاع ولا البقاء لفترة طويلة ،
تلك القصائد الغنائية التى يدونها من (يكتفون) بشرب الماء .
ومنذ اللحظة التى سجل فيها ليبر[٢٣] الشعراء الملهمين ضمن الساتيروى وأتباع فاونوس[٢٤]،
فإن ربات الشعر العذبة قد اعتادت أن تبعث لهم برائحة الخمر تقريبًا كل صباح.
لقد اُتهم هوميروس[٢٥] ، بسبب مدحه للخمر ، بأنه سكير ؛
والأب إنيوس نفسه لم يكن ينطلق قط إلى الحديث عن الأسلحة
إلا وهو مخمور[٢٦] (حتى الثمالة). " سأعهد بساحة السوق وجب القاضى ليبو [٢٧]
إلى الذين لا يقربون الخمر[٢٨] ، وسأحرم القساة وغلاظ القلوب من الغناء ":
فمنذ أن أعلنت (أنا) عن هذا المرسوم[٢٩] ، لم يتوقف الشعراء
عن التنافس فى احتساء الخمر ليلاً ، وعن أن تفوح منهم رائحتها نهاراً .
فماذا يكون عليه الأمر لو أن شخصًا همجيًا قام بمحاكاة كاتو عن طريق
سحنة متجهمةعابسة وقدمين عاريين وهو متدثر بعباءة قصيرة ؟
تُرى هل يقوم حقًا بمحاكاة فضيلة كاتو وأخلاقه (القويمة) ؟
إن اللسان الذى ينافس تيماجينيس (هو الذى ) دمر إياربيتاس[٣٠]،
طالما هو حريص على أن يكون مليحًا ويسعى لأن يبدو فصيحًا .
إن النموذج الحافل بالرذائل والذى من السهل تقليده لهو نموذج يفضى إلى الهلاك .
فإن (هؤلاء الشعراء) قد يقدمون على شرب الكمون الذى يسلب الاحمرار (من البشرة)[٣١].
إيه أيها المقلدون ، أيها القطيع الوضيع ، كم من مرة

أثار صخبكم غضبى ، وكم من مرة أثار عليكم ثائرتى!
لقد كنت أول من طبع آثار قدميه الحرة على أرض فضاء ،
ولم أطأ بقدمىّ آثار أقدام غيرى. من يثق فى نفسه فسوف يتحكم فى
القطيع ويصبح قائده . وكنت أنا أول من عرض فى لاتيوم إيامبيات
(جزيرة) باروس[٢٢]، متبعًا (فى ذلك) بحور الشعر عند أرخيلوخوس وروحه ،
لا موضوعاته وكلماته التى أثارت ليكامبيس وضايقته[٢٣] .
وخشية أن تتوجنى لهذا السبب بإكليل صغير إلى حد ما .
لأنى كنت أخشى تغيير بحور القصيدة الشعرية ونمطها ،
(فانظر كيف) تتحكم (الشاعرة) سابفو ، (شبيهة) الرجال[٢٤] ،
فى ربة الشعر ، عن طريق بحور شعر أرخيلوخوس،
وانظر كيف يتحكم فيها ألكايوس كذلك ، لكنه مختلف عن (أرخيلوخوس) فى
الموضوعات وفى الترتيب ، فهو لا يبحث عن حم ليشوه سمعته بأشعار سوداء مفتراه،
ولم يعقد أنشوطة (يشنق بها ) عروسه بقصيدة تشهير وهجاء .
فأنا الشاعر الغنائى اللاتينى الذى جعلته (أى ألكايوس) معروفًا[٢٥].
رغم أنه لم يُحتف به من قبل على أى لسان آخر . وإنه ليبهجنى أن
أقدم أعمالاً جديدة ، لتقرأها عيون النبلاء وتمسكها أيديهم .
تود أن تعلم لماذا يثنى القارئ الناكر للجميل على أعمالى ،
ويولع بها فى بيته ، بينما ينتقدها بقسوة ودون وجه حق وهو خارج منزله !.
(السبب فى ذلك هو) أننى لا أتسول استحسان العامة متقلبى (المشاعر) ،
عن طريق إقامة الموائد أو بهدية معتبرة من الملابس المستخدمة[٢٦] ،

كما أننى لست بالذى يداوم على الاستماع (لمؤلفات) الكتاب البارزين، ولست بآخذاً
ثأرى منهم[٣٧] ، ولست جديراً بأن أتردد على رهط النحاة ومدارسهم[٣٨].
ومن هنا (ذرفت ) تلك العبرات[٣٩] . ولو قلت : "إنه لمن المخجل لى أن
أتلو كتاباتى عديمة القيمة ، فى صالوناتكم المزدحمة (بالجمهور) ،
وأن أبدى اهتمامًا بالتفاهات والترهات" ، فسوف يرد (أحدهم) : " إنك تمزح،
وإنك تحتفظ بتلك (الكتابات )لأذنى چوبيتر[٤٠]: إنك لجميل فى نظر نفسك ، لأنك واثق
فى أنك وحدك الذى تقطر أشعاره عسـلاً " عند هذه الكلمات فإنى أخاف أن أشمغ
بأنفى (ازدراء) ،
وخشية أن أُجرح بأظافره الحادة أثناء عراكنا ، فإنى أصرخ :
"ذلك المكان لا يناسبنى"[٤١]، وأطلب الهدنة أثناء النزال ،
لأن (هذه) اللعبة تؤدى إلى منافسة مثيرة (للأعصاب) وإلى الغضب،
ولأن الغضب (يسبب) عداوة ضارية وقتالاً مميتًا.»

# الهوامش

(١) E.Courbaud, op. cit., p. 318; cf. Hor., Sat., i, 10, 21.

(٢) H.R. Fairclough, op. cit., p. 379.

(٣) M.J. McGann, op. cit., p. 82.

(٤) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 20

(٥) ibid., p. 20.

(٦) Hor., Od., iii, 14 ( 24.B.C.), cf. S. Commager, The Odes of Horace, Yale (1962), pp. 226 f.

(٧) M.J. McGann, op. cit., p. 84.

(٨) Hor., Sat., ii, 3, 7.

(٩) M.J. McGann, op. cit., p. 85.

(١٠) G.Williams, op. cit., p. 4.

(١١) R.s. Kilpatrick, op. cit., pp. 18-19.

(١٢) Equit., pp. 531-534.

(١٣) Pax., 700; cf. N.B. Crowther, " Water and Wine as Symbols of Inspiration", Mnemosyne xxxii (1979), pp. 1-11.

(١٤) Hor., Od., iii, 21, 9-12.

(١٥) د. على عبد التواب ، خمريات هوراتيوس ، بين المحاكاة والأصالة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة، مجلد (٦١)، عدد (١)، يناير ٢٠٠١، ص٤٥٤ .

(١٦) نفس العمل، ص ٤٥٤ – ٤٥٥ . وحول رأى هوراتيوس فى التعامل مع النصوص الإغريقية والنقل عنها ، انظر العمل نفسه ، ص ٥٠١ .

(١٧) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 21

(١٨) Hor., Sat., i, 4,73-76.

(١٩) ibid., i, 9 ; cf. R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 22.

(٢٠) ibid., pp. 22-23.

(٢١) ibid., pp. 23-24.

(٢٢) كراتينوس Cratinus : أحد شعراء الكوميديا الإغريقية القديمة ، سخر منه أرسطوفانيس فى مسرحية القرسان (Equit. 531-534)، وصوره كشيخ مخرف. أثار هذا الهجوم كراتينوس فاستجمع كل قواه وكتب ملهاة بعنوان «قنينة الخمر» وحصل بها على الجائزة الأولى ، وفى هذه الملهاة سخر من نفسه لإدمانه الخمر .

(٢٣) ليبر Liber : هو أحد آلهة الخصوبة الإيطاليين ، وهو يساوى باكوس .

(٢٤) فاونى Fauni : هم آلهة الغابات ، ويساويهم عند الإغريق الساتيروى ، أتباع ديونيسوس .

(٢٥) cf. Hom., ii,

6.261:ἀνδρὶ δὲ κεκμηῶτι μένος μέγα οἶνος ἀέξει,

وكذلك استخدام الصفات المناسبة للخمر مثل :

ευήνωρ, ἡδύποτος, μελιηδής, μελίφρων

(٢٦) يقول إنيوس عن نفسه : " إننى لا أنظم الشعر أبداً إلاحينما تشتد علىّ آلام النقرس" numquam poetor nisi podager .

(٢٧) ليبو Libo : هو لوكيوس سكريبونيوس ليبو ، تريبون العامة عام ١٤٩ ق.م.، وقد خصص مكاناً مقدساً فى السوق العامة يُقال إنه فى العصور القديمة كان مقر العراف ناقيوس ، على أية حال فإنه قد أحاط هذا المكان بسور سمي باسمه Puteal Libonis ، ولقد نُقشت صورة هذا الجدار على العملات ، وأقام ليبو بجوار هذا الجدار داراً للقضاء ليمارس فيه البرايتور جميع مهامه . ولذا فقد كان يتردد على هذا المكان كل من له قضية ، وقد صار التعبير forum putealque Libonis إشارة إلى الحياة العملية .

(٢٨) يقصد بكلمة الوقورين هنا غير مدمنى الخمر .

(٢٩) حول التعبيرات المستخدمة هنا ، قارن : Hor., Sat., ii, 2, 51

(٣٠) تيماجينيس Timagenes : مواطن سكندرى ، أسره جابينيوس ، وباعه كعبد، وفى روما أعتقه فاوستوس بن سولا ، وقام بتدريس البلاغة وحظى برعاية كل من أوغسطس وأسينيوس بولليو، وقد أقام فى توسكولوم . أما إيارببيتاس Iarbitas ، فهو رجل بربرى من بلاد المغرب . والمعنى الدقيق للفعل rupit هنا أن محاولة منافسة فصاحة تيماجينيس قد جعلت من إيارببيتاس ينفجر ويتقطع إرباً .

(٣١) يقصد أن شرب شراب الكمّون ينتج عنه شحوب فى الوجه .

(٣٢) باروس ، هى جزيرة تقع فى بحر إيجه ، وتشتهر بالرخام الأبيض ، وهنا يقصد هوراتيوس الإشارة إلى عمله الأهازيج Epodes .

(٣٣) هذه إشارة إلى نيوبولى ووالدها ليكامبيس ، اللذين هجاهما أرخيلوخوس ، قارن : Hor., Epod., 4, 13 .

(٣٤) يرى البعض أن سابفو كشاعرة يجب أن تُساوى بالشعراء الرجال .

(٣٥) يقصد هوراتيوس باسم الإشارة hunc، أن يشير إلى ألكايوس ، وليس أرخيلوخوس . وهو هنا يتباهى ويتفاخر ، ليس بعمله الأهازيج ولكن بعمله الأناشيد Odes.

(٣٦) يفرق الشاعر هنا بين نفسه وبين رجال السياسة الذين يسعون لتصيد أصوات الناخبين ، فهو لم يدع الناس للحضور لسماع قصائده الشعرية ، لئلا يكون بذلك قد سعى بطرق غير لائقة به لكسب استحسانهم .

(٣٧) يرى بعض الدارسين أن استخدام هوراتيوس لكلمة nobiles قد جاء من باب التهكم ، فقد كان بعض الأدباء يُطلق عليهم تسمية النبلاء ، ويعتقد البعض الآخر أنه كان يقصد ڤيرجيليوس وبولّيووڤاريوس ، وليس هناك تهكم فى الأمر، فهو يقصد أنه يستمع لهؤلاء الشعراء المميزين . ويرى الفريق الأول أن كلمة ultor (المنتقم) يقصد بها التهكم والسخرية ، بمعنى أن الشاعر بعد سماع قراءات ممن يطلقون على أنفسهم nobiles scriptores ، فإنه يهب لإلقاء أشعاره هو الآخر.

(٣٨) يعد معلموا وأساتذة الريتوريقا gammatici الذين يلقون محاضراتهم عن الشعراء من على منصاتهم ، معلمين محترفين لتدريس الأدب ، ولقد استخدم هوراتيوس كلمة «القبائل» tribus من باب التحقير من شأنهم .

(٣٩) استخدم ترنتيوس هذا التعبير بمعنى حرفى فى مسرحية «أندريا» (25) حيث ذرف بامفيلوس الدموع أثناء جنازة خريسيس ، وأصبح هذا التعبير يُذكر كمثل فى الأدب اللاتينى على الدموع الزائفة ، كما هو الحال عند هوراتيوس : cf. Cicero, Pro Cael., 25, 61.

(٤٠) يُقصد بجوبيتر هنا أوغسطس : cf. Hor., Sat., ii, 6, 52

(٤١) أصبحت مباريات المزاح والسخرية من مسابقات المتبارزين ، وكان أحد أطراف هذه المباريات إذا رأى أن خصمه لديه ميزة ما ستمكنه من الفوز عليه ، فإنه كان يصرخ ويطالب بوقف المسابقة diludia ، تحت زعم توفير تكافؤ الفرص .

# الرسالة العشرون

يقول إ. فرانيكل إن الشعر قد استفاد كثيراً من جنس الأسماء ، فلقد كانت الشعوب التى تعمل فى البحار ، على سبيل المثال ، تنظر إلى السفينة على أنها كائن حى وليست كشىء ؛ كذلك كان الرومان يتحدثون عن السفينة **navis** وكأنها امرأة . وقد أوحت هذه العادة إلى هوراتيوس كتابة قصيدة مجازية رائعة . يستفيد هنا من كون أن كلمة كتاب **liber** فى اللغة اللاتينية مذكرة الجنس ، وأن كلمة **liber** أيضاً تعنى العبد المعتق[١] .

وجه هوراتيوس الرسالة الختامية إلى كتابه الرسائلى **liber** ، وقد خاطبه وكأنه عبد معتق صغير من آل بيته ، وأنه رغم تنشئته الطيبة ، فإنه قلق لتركه سيده وبيته ، كما أنه يتجمل ليصل إلى ذروة الحسن ليدخل ككتاب إلى دنيا البائعين ، وكعبد إلى دنيا العاهرات[٢] :

**« إنك تبدو ، يا كتابى، وكأنك تتطلع إلى ڤرتومنوس ويانوس ،**

**لدرجة أنك قد تُباع بعد أن صرت براقًا وصقلت بحجر الصقل لدى الأخوين سوسيوس.»**

**Vertumnum Ianumque, liber, spectare videris,**

**scilicet ut prostes Sosiorum pumice mundus. (1-2)**

والبيت الأول فى حد ذاته لا غبار عليه ، فلماذا لا يتمنى الكتاب أو العبد الصغير أن يُعرض لدى المتاجر **tabernae** فى السوق ولدى العالم بعد ذلك ؟ ويأتى البيت الثانى ليفسر الأول ويؤكد على رغبته القوية فى أن يُباع . وقبل أن تُعرض لفافات أوراق البردى (أى الكتاب) كان ينبغى صقلها أو جليها بحجر الصقل **arida pumice expolitum**

لكى تكون صالحة للعرض (prostes) . ويحتوى هذا البيت إيماءات جنسية فى حالة العبد ، فإن العبد يتجمل بالحجر[٣] لكى يُعرض (prostes) فى الأسواق كالعاهرات .

على أية حال فإن الكتاب أو العبد حتى ذلك الحين لم يكن لديه الخبرة فى التعامل مع العالم الخارجى فقد حُفظ تحت الأقفال والأختام بواسطة سيده :

« فأنت تكره المفاتيح والأختام المحببة (للعمل الأدبى ) المتواضع ،

وتحزن إن عُرضت على عدد قليل (من الجمهور) وتحبذ الأماكن العامة ،

رغم أنك لم تُنشأ لهذا الغرض. اهرب إذن إلى حيث تتلهف للذهاب ،

فلن تكون لك عودة بعد أن أُرسلت إلى الخارج ... ».

**odisti clavis et grata sigilla pudico;**

**paucis ostendi gemis et communia laudas,**

**non ita nutritus. fuge quo descendere gestis.**

**non erit emiso reditus tibi... (3-6a)**

لقد كان من عادة الرومان حفظ الكتب فى خزينة scrinium ، وكانت الخزينة تُغلق بأقفال وأختام[٤] . وهكذا فإن ( الكتاب – العبد ) قد عاش فى كنف هوراتيوس لمدة طويلة ، وسارت الأمور على ما يرام . وكان هوراتيوس وبعض المقربين منه فقط هم الذين يعرفون قيمته ، فلم يكن من المسموح لأى غريب أن يقترب منه أو يتعرف عليه[٥]. ولكن هذا الكتاب ، نظراً للاهتمام بإعداده ، كان يتطلع إلى الخروج إلى النور وقراءته ومناقشته فى الصالونات الأدبية بروما ليحظى بإعجاب الجميع[٦] . ويعتقد م.ج. مكجان أن وصف هوراتيوس لعمله بأنه ( لم يُنشأ لهذا الغرض non ita nutritus ) يشير إلى المحتوى الأخلاقى للكتاب[٧] . فى حين يرى إ. فرانيكل أن كلمة nutritus تصور حال العبيد الذين تتم تنشأتهم فى بيوت الأثرياء المثقفين أمثال أتيكوس[٨] .

ولكن بمجرد أن تحققت الرغبة فى العرض على الجمهور ، فلن يُسمح له بالعودة إلى منزل سيده ، كما أنه صار عليه أن يواجه مصيره بنفسه ، وعليه أن يتحمل تبعات رغباته ، إن الشكوى التى تلى ذلك لن تجدى إذن :

« وعندما تلقى الضرر على يد أى شخص ، سوف تقول :

ما الذى فعلته أنا البائس ؟ وما الذى أتوق إليه وأريده؟ » (٦-٧)

ثم يلعب هوراتيوس دور العراف (vates) ويتنبأ بمصير ( الكتاب - العبد ) :

« وتعلم أنه سيتم تجميعك (مثل رزمة)[٩] فى حيز ضيق عندما يمل

عاشقك المتلهف ويصاب بالضجر[١٠] .

لكن إن لم يتحامل عليك العراف بسبب غيظه من أخطائك ،

فإنك ستصير محبوبًا فى روما إلى أن يرحل عنك سن (الشباب)؛

وعندما تشرع فى أن تغدو حقيراً ، بعد أن أُمسكت بأيدى الغوغاء ،

فإنك إما ستصير طعامًا وأنت صامت لسوس الكتب والعتة ،

وإما أنك ستفر إلى أوتيكا ، أو ستُرسل مكبلاً إلى إيلردا . »(٨-١٣)

إن هذا المخلوق الصغير سينتمى فى بداية حياته العملية إلى عاشق amator وهو أول رجل اشتراه ، ولكنه بمرور الوقت سيمل منه ويضجر ، وهنا سيتنبأ له العراف[١١] (augur أى هوراتيوس نفسه ) أنه قد يصير هو المفضل لدى المثقفين بروما لفترة من الزمن ، ولكنه سرعان ما ينحط قدره فتتداوله أيدى العامة ، وعندئذ سيؤول حاله إلى البؤس ، وسيؤدى عدم الإنصاف هذا إلى أنه سيفقد مظهره الجذاب الذى كان لديه ، وسيلجأ فى النهاية إلى الابتعاد عن روما مركز الثقافة والحضارة ويتوارى فى أى مدينة نائية مثل إيلردا أو أوتيكا[١٢] .

ولقد صاحب التوقع بالفشل الرهيب لهذا المخلوق العنيد خليط من المشاعر الجياشة على مصيره والسخرية من عناده لأنه لم ينصت إلى نصائح سيده بالبقاء فى المنزل وعدم الخروج إلى العامة :

« إن مرشدك الذى لم تنصت إليه بعناية سوف يقهقه ضاحكًا ،

مثل ذلك الرجل الذى يدفع وهو غاضب حماره الحرون فوق الصخور ،

فمن الذى يجهد نفسه – على غير رغبة منه – لإنقاذ (حمار) ؟ » (١٤-١٦)

وتنتهى النبوءة بالإعلان عن خزى ساحق للمصير الذى سيئوول إليه :

« فهذا هو (المصير) الذى ينتظرك أيضًا، حيث إن الشيخوخة المتعلثمة سوف تحل بك،

وأنت تعلم الصبية حروف الهجاء فى الضواحى النائية[١٣] (١٧-١٨)

إنها حقًا لنهاية حزينة لكثير من المثقفين ، شعراء ودارسين ، أن يصلوا إلى سن الشيخوخة حيث التلعثم فى الحديث، و أن لا يجدوا سبيلاً لكسب لقمة العيش سوى تدريس الصبية الحروف الهجائية ومبادئ النحو والأدب فى إحدى الضواحى النائية بروما أو بالولايات الرومانية .

ولقد كان حجر الزاوية فى نظام التعليم الأساسى بالمدارس أن يتعلم الأطفال قراءة الشعر[١٤] ، ونظراً لارتفاع سعر أوراق البردى فإن أى عمل شعرى سيؤدى هذا الغرض ، حتى لو كان عديم القيمة ، إن لم تكن المؤلفات الشعرية للشعراء الكلاسيين متاحة بين أيديهم[١٥] .

لقد حذر هوراتيوس ( عبده – كتابه) من الابتعاد عنه والخروج للجمهور ونصحه بالبقاء معه حيث ستظل فضيلته فى أمان من أيدى الغوغاء . وترتبط هذه الفقرة بالرسالة التاسعة عشرة حيث أخبرنا بشكل ساخر أن مصير أغانيه (Odes) قد آل إلى أيدى أساتذة الريتوريقا grammatici لكى تُستخدم كنصوص مدرسية؛ ولهذا فإن الرسالة العشرين تتطلع إلى المصير الذى ينتظر كتابه الرسائلى[١٦] . هذا فى حين تتناقض نبوءة هوراتيوس بالمصير المشئوم الذى ستؤول إليه كتبه الغنائية حيث قال من قبل إنه شيد جبلاً أكثر خلوداً من البرونز وأكثر ارتفاعًا من الأهرامات[١٧] . وكأن نبوءته بالمصير المشئوم لأشعاره كلها بما فيها الرسائل جاءت لتنقض نبوءته الأولى حول أشعاره الغنائية[١٨].

ثم يصل هوراتيوس إلى نهاية الرسالة بالحديث عن سيرته على لسان كتابه – عبده:

« عندما تجلب لك الشمس الدافئة المزيد من آذان (المستمعين) ،
فإنك ستقول لهم عنى إننى ابن لأب معتق ، وأننى – فى ظروف بائسة –
قد فردت جناحى بعد أن صارا أكبر حجمًا من العش ،
وبهذا فقد تضيف لميزاتى بقدر ما تسلبه من مولدى ؛" (١٩-٢٢)

يصور هوراتيوس فى السطور السابقة شيخوخة كتابه – عبده ، ويذكر لنا أنه سيجلس أمام كوخه لينعم بالشمس الدافئة قبل الغروب ، وعلى الفور سيلتف حوله بعض الجيران ومعهم أطفالهم، وسيستجيب الشيخ الذى يشعر بالوحدة لتوسلاتهم، وهو سعيد . وسيشجعه هذا المناخ الذى ينم عن روح الود والصداقة على أن يندفع نحو ذكرياته ولن يمانع من أن يتباهى قليلاً بماضيه المجيد ، كما أنه سيروى كل ما يعرفه عن سيده بدءًا بأصله المتواضع حيث أنه ابن لأب معتق **me libertino natum patre** ، وهى حقيقة لم يخجل هوراتيوس من ذكرها ، بل كان يكررها على مسمع من جمهوره الأدبى ، فقد ذكر نفس العبارة السابقة منذ خمسة عشر عامًا :

**ut me libertino patre natum. (Sat., i, 6.6)**

**Nunc ad me redeo libertino patre natum,**

**quem rodunt omnes libertino patre natum,**

**( Sat., i, 6, 45-6)**

على أية حال فإن (العبد – الكتاب) المسن سيؤكد على اعتزاز سيده بأن فقره وأصله لم يحولا دون ارتفاع شأنه فى روما :

**maiores pinnas nido extendisse loqueris, (21)**

وهو ما كان مصدر فخر له فى بعض غنائياته :

**pauperum sanguis parentum (Od., ii, 20, 5)**

**ex humili potens (Od., iii, 30, 12)**

وندرك من خلال وصف العبد المسن له أن هوراتيوس يعد نموذجًا للرجل العصامى، فهو يتمتع بالكثيرمن الخصال الحميدة **virtutes** وقد لا ينقص من قدره أى شىء سوى أصله البسيط :

**ut quantum generi demas virtutibus addas; (22)**

ويذكرنا حديثه عن فضائله **virtutes** ومولده المتواضع بختامه للكتاب الثالث من الغنائيات حيث يشير – فى معرض حديثه إلى ربة الحظ **Fortuna** – إلى أن نصيبه من الفضيلة **virtus** كان أكبر من نصيبه من الحظ **fortuna**(١٩) :

« أمتدح (ربة الحظ) طالما بقيت ( معى) ، لكن إن خفقت بجناحيها

السريعين ، فإننى أرد لها ما منحته لى ، وأتدثر

بفضيلتى وأتقدم لخطبة ربة الفقر

النبيلة بلا دوطة . »

**Laudo manentem; si celeres quatit**

**pinnas, resigno quae dedit et mea**

**virtute me involvo probamque**

**Pauperiem sine dote quaero. ( Od., iii, 29, 53-56)**

ويستطرد العبد فيذكر أن طموح سيده جعله ينضم إلى صفوة المجتمع سواء فى وقت الحرب أو السلم :

« (وستقول) إننى سعدت ( بحظوة) البارزين فى مدينة (روما) ،

سوإء فى وقت الحرب أو فى زمن السلم .» (٢٣)

ويرى إى فراينكل أن هوراتيوس لم يكن مضطراً للحديث عن الحرب ، أى عن مشاركته فى معركة فيليبى فى صف بروتوس وكاسيوس وأعضاء الحزب الجمهورى ، وأنه رغب فقط فى أن يلمح إلى أن هذه الأحداث ظلت محفورة فى ذاكرته وغدت جزءاً من سيرته [٢٠] .

ثم ينتقل العبد إلى وصف بعض سمات سيده الجسدية والشخصية :

**« (وستقول أيضًا) إننى قصير القامة ، وإن شعرى شاب ( قبل الأوان) ،**

**وإننى مغرم بالشمس ، سريع الغضب ، ولكننى أهدأ بسهولة . »**

والحق أن هوراتيوس لم يشأ أن يجعل وصفه يرتكز على خصاله الإيجابية ، وأن يعتم على بعض عيوبه ، ولكنه فعل العكس حيث جاء وصفه لبعض الجوانب التى لا تجمل من صورته كقصر القامة والشعر الأشيب وسرعة الغضب[٢١] .

على أية حال فإن أرسطو يعتقد أن الإنسان الذى يثور ثورة عارمة بسرعة ، ثم يهدأ بسرعة كذلك إنساناً نقى السريرة ، وأنه أفضل من ذلك الإنسان الذى يخفى غضبه ويسره فى نفسه لسنوات ثم ينتقم بعد ذلك بقسوة ممن أغضبه فى الماضى حينما تتاح له الفرصة[٢٢] .

ويعتقد إ. فراينكل أن هوراتيوس كان فى ذهنه رأى أرسطو عن الإنسان سريع الغضب حيث ينتهى أرسطو إلى أن هذا النوع من البشر نقى السريرة .

والحق أن الفلسفات الأخلاقية الهلّينستية قد وجدت صدى لدى الكثير من المثقفين الرومان، حيث اعتنقوها وجعلوا من مبادئها مرشداً لهم فى سلوكهم فى مواجهة مشكلات حياتهم اليومية . فهذا شيشرون يظهر امتعاضه من تصرف أخيه كوينتوس ، عندما أثبت «كقائم بأعمال البرايتور» "pro Praetore" فى ولاية آسيا عدم القدرة على التحكم فى نفسه ، وظل يتنمر بمن هم أضعف منه من سكان الولاية .

ولكى يصرف أخاه عن هذا السلوك المعيب طلب منه أن يلجأ إلى الأدب[٢٣] . وفى رسالة إلى أتيكوس ، صهر كوينتوس ، اقتبس شيشرون بعض عبارات أرسطو عن الغضب فى محاولة للدفاع عن أخيه :

« إذن فقد استقر رأيك على أن النفوس سريعة الغضب والتى هى نفسها سهلة التهدئة ، تنتمى فى الغالب إلى أفضل الناس. »

ita statueris et irritabiles animos esse optimorum saepe

hominum et eosdem placabiles.

(Cic., ad Att., i, 17, 4)

ولعل كلمة **placabilis** التى وصف بها هوراتيوس نفسه لم تأتِ من قبيل المصادفة فى مثل هذه السياق[٢٤] .

وينهى هوراتيوس الرسالة بالإيعاز إلى عبده بأن يخبر الناس عن عمره[٢٥] إن سأله أحدهم عنه :

« وإن استفسر أحد منك بالصدفة عن عمرى ،

فدعه يعرف أننى أتممت شهر ديسمبر الرابع والأربعين ،

فى ذلك العام الذى اتخذ فيه لولليوس لبيدوس زميلاً له (فى القنصلية) . »

(٢٦-٢٨)

لقد كان هوراتيوس حريصًا على ألايعطى انطباعًا بأنه يقدم سيرة ذاتية للقارئ ، فقد وضع بعض أجزاء سيرته على لسان (عبده -كتابه) الذى قدم تلك المعلومات عنه طوعًا لأهالى الولايات النائية . والعبد ثرثار بطبعه ، كما أن الصمت **(taciturna, 12)** يمثل له مصدر حزن وألم مثل الموت البطئ .

وهكذا فقد خصص هوراتيوس الجزء الأخير من الرسالة (٢٠-٢٨) لإعطاء نبذة عن أصله **sui generis** وعن شخصيته . وتعد البصمة الختامية **sphragis** نهاية الأعمال الأدبية بجزء من السيرة الذاتية للدلالة على أصالة العمل الأدبى من التقاليد الأدبية الهلّينستية ، وقد قدم ڤرجيليوس فى الأبيات الثمانية الأخيرة من الزراعيات أشهر بصمة ختامية فى الشعر الأوغسطى .

على أية حال ، فإن ختام الرسالة يحتوى بعض العناصر التى تنتمى إلى السيرة الهلّينستية ، وهذه العناصر هى: أولاً : عبارة تتحدث عن أصله (٢٠-٢١). ثانياً : وصف لهيئته الجسمانية (٢٤) ، ثالثًا : تقرير عن شخصيته (٢٥) .

وهكذا فإن هوراتيوس قد قدم سيرة ذاتية موجزة فى ذلك الموقع من مؤلفه حيث سيبحث القارئ عن بصمة ختامية **sphragis** للشاعر[٢٦] .

والحق أنه لا يوجد أى مثال سابق فى الشعر خاطب الشاعر فيه كتابه وكأنه أحد عبيده ، ولا يوجد كذلك شاعر سابق على هوراتيوس خاطب كتابه على الإطلاق .

على أية حال فإن هوراتيوس فى أكثر من مرة قد أنهى بعض مؤلفاته بمخاطبة عبيده . ففى نهاية الكتاب الأول من الهجائيات يخاطب هوراتيوس أحد عبيده ، وهو الناسخ الذى من المفترض أنه سيأخذ نص الهجائية العاشرة ويلحقها بالهجائيات التسع السابقة من العمل لكى يكتمل الكتاب بهذه الطريقة :

**« اذهب ، أيها الغلام ، وأضف بسرعة هذه الأبيات إلى نهاية كتابى. »**

**I, puer, atque meo citus haec subscribe libello.**

**(Sat ., i, 10, 92)**

وفى نهاية الكتاب الأول من الغنائيات وجه القصيدة الأخيرة إلى عبده المكلف بالإعداد لحفل الشراب الذى يعتزم سيده إقامته ، وفيها يوجهه هوراتيوس إلى تحاشى مظاهر الترف الفارسى التى يرغب فيها العبد [٢٧] .

ومن اللافت للنظر أن هوراتيوس كان يبرز فى مؤلفاته اختلاف آراءه ووجهات نظره مع آراء عبيده وتوجهاتهم ، ولعل أشهر هذه النماذج هو الخلاف فى الرأى بين هوراتيوس وداڤوس فى الهجائية السابعة من الكتاب الثانى[٢٨] . كذلك أظهر هوراتيوس وجود خلاف بينه وبين (العبد - الكتاب) ، فبينما هو حريص على الحفاظ عليه داخل المنزل ، فإن (العبد - الكتاب) كان حريصاً على الخروج لتتداوله أيدى العامة . ويبدو أن هوراتيوس قد رغب فى الإيحاء بأن هذا العبد يتسم بعدم الثبات من خلال إشارته فى البيت الأول إلى الإله ڤرتومنوس الذى يرمز إلى التغير[٢٩] .

إنك تبدو ، يا كتابى، وكأنك تتطلع إلى ڤرتومنوس[٣٠] ويانوس ،
للدرجة أنك قد تُباع بعد أن صرت براقًا وصقلت بحجر الصقل لدى الأخوين سوسيوس[٣١].
فكنت تكره المفاتيح والأختام[٣٢] المحببة (للعمل الأدبى ) المتواضع ،
وتحزن إن عُرضت على عدد قليل (من الجمهور) وتحبذ الأماكن العامة ،
رغم أنك لم تُنشأ لهذا الغرض. اهرب إذن إلى حيث تتلهف للذهاب ،
فلن تكون لك عودة بعد أن أُرسلت إلى الخارج. وعندما تلقى الضرر على يد أى شخص ، سوف تقول :"ما الذى فعلته أنا البائس ؟ وما الذى أتوق إليه وأريده؟"
وتعلم أنه سيتم تجميعك (مثل رزمة) فى حيز ضيق عندما يمل عاشقك المتلهف ويصاب بالضجر،
لكن إن لم يتحامل عليك العراف بسبب غيظه من أخطائك ،
فإنك ستصير محبوبًا فى روما إلى أن يرحل عنك سن (الشباب)؛
وعندما تشرع فى أن تغدو حقيراً ، بعد أن أمسكت بك أيدى الغوغاء ،
فإنك إما ستصير طعامًا وأنت صامت لسوس الكتب والعتة ،
وإما أنك ستفر إلى أوتيكا ، أو ستُرسل مكبلاً إلى إيلردا[٣٣] .
إن مرشدك الذى لم تنصت إليه بعناية سوف يقهقه ضاحكًا ،
مثل ذلك الرجل الذى يدفع وهو غاضب حماره الحرون فوق الصخور ،
فمن الذى يجهد نفسه - على غير رغبة منه - لإنقاذ (حمار) ؟
فهذا هو (المصير) الذى ينتظرك، حيث إن الشيخوخة المتلعثمة سوف تحل بك،
وأنت تعلم الصبية حروف الهجاء فى الضواحى النائية.
عندما تجلب لك الشمس الدافئة المزيد من آذان (المستمعين) ،

فإنك ستقول لهم (عنى) إننى ابن لأبٍ معتق ، وأننى - فى ظروف بائسة -
قد فردت جناحىّ بعد أن صارا أكبر حجمًا من العش ،
وبهذا فقد تضيف لميزاتى بقدر ما تسلبه من مولدى ؛
(وستقول) إننى سعدت ( بحظوة) الصفوة فى مدينة (روما) ، سواء فى وقت الحرب،
أو فى زمن السلم. (وستقول أيضًا) إننى قصير القامة ، وإن شعرى شاب ( قبل الأوان)،
وإننى مغرم بالشمس ، سريع الغضب ، ولكننى أهدأ بسهولة.
وإن استفسر أحد منك بالمصادفة عن عمرى ،
فدعه يعرف أننى أتممت شهر ديسمبر الرابع والأربعين ،
فى ذلك العام الذى اتخذ فيه لولليوس لبيدوس[٢٤] زميلاً له (فى القنصلية) .

# الهوامش

(١) E. Fraenkel, op. cit., p. 356.

في حين يرى C.W. Macleod, op. cit., pp. 23 f. أن حرف (i) الطويل كما (liber , liber) سيؤثر في هذه التورية .

(٢) M.J. McGann, op. cit., p. 85

(٣) يقول R. Mayer, op. cit. p. 269 إن الصبية كانوا يستخدمون الحجر pumice mundus ، في إزالة الشَعر الذى يصاحب سن البلوغ من فوق جلودهم كى لايبدو عليهم أنهم تقدموا فى السن ، فينفر العُشّاق منهم (cf.Od., iv,10,2) .

(٤) cf. quas novit unus scrinio signatas custodit
ipse virginis pater chartae. (Mart., Epigr., i, 66, 6f.)

(٥) لقد حذر هوراتيوس أحد أصدقائه من الوقوع فى غرام عبيد أصدقائه:

"لاتدع خادمة أو غلام ما ، خلف العتبة المرمرية لمنزل صديقك المبجل يشعل قلبك ....." ( الرسالة الثامنة عشرة ٧٢-٧٣)

(٦) E. Fraenkel, op. cit., p. 357.

(٧) M.J. McGann, op. cit., p. 85.

(٨) pueri litteratissimi anagnostae optimi et plurimi librarii. (Nep., Att., 13.3 f.)

(٩) يعتقد Porphyrio أن عبارة "in breve te cogi" قد لاتعنى لف أوراق البردى ووضعها فى صندوق أسطوانى ، بل تعنى أن الكتاب سيستخدم فقط للقراءة فى نطاق محدود بعد تناول وجبة العشاء ، وإن جعلنا هذه العبارة تصور العبد فإنها تعنى أنه قد فقد مكانته التى كان عليها وزالت فترة ازدهاره وجاذبيته .

R. Mayer, op. cit., p. 270.

(١٠) يقول S.J. Harrison إن عرض العبد الصغير للبيع كبغى فى السوق العامة قد فتح الباب إلى بعض التلميحات الجنسية ، فقبل عرضه قام بالتجمل بإزالة الشعر بالحجر (٣) ، وبعد العرض سيؤول فى البداية إلى عاشق amator (٨)، ولكنه سرعان ما يزول عنه بهاء سن (الشباب) aetas (١٠) فيؤول مصيره إلى أن تتداوله contrectatus أيدى الغوغاء فى روما .

S.J. Harrison, " Deflating The Odes : Horace , Epistles 1.20", CQ xxxviii (1988), pp. 473 f.

(١١) قدم هوراتيوس نبوءته بطريقة تقليدية :

cf. Hor., Od., iii, 12, 12 f. Verg., Aen., iii, 433 f.

(١٢) S.J. Harrison, op. cit., p. 473.

(١٣) يروى سويتونيوس أن لينايوس أحد معتقى بومبى الأكبر قد لاقى المصير نفسه :

Lenaeus, Magni Pompei libertus et paene omnium expeditionum comes, defuncto eo filiisque eius schola se sustentavit in Carinis ad Telluris, in qua regione Pompeiorum domus fuerat. (Suet. Gram. 15)

(١٤) يخبرنا كوينتليان أن المنهج الدراسى النموذجى يبدأ بقراءة أشعار كل من هوميروس وڤرجيليوس :

optime institutum est ut ab Homero atque Vergilio lecito inciperet, quamquam ad intellegendas eorum virtutes firmiore iudicio opus est. ( Quint. Inst., Orat., i, 8, 5).

(١٥) E.Fraenkel. op. cit., pp. 358.

(١٦) R.S. Kilpatrick, op. cit., p. 104.

(١٧) Hor. Od., iii, 30, 1-2.

(١٨) S.J. Harrison, op. cit., pp. 473 f.

(١٩) R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 104.

(٢٠) E. Fraenkel, op. cit., p. 360.

(٢١) يقول م. ج. مكجان إن إشارة هوراتيوس لنفسه بأنه سريع الغضب لم تأت من قبيل المصادفة ؛ فقد أولى اهتمامًا خاصًا بانفعال الغضب فى هذا العمل حيث خصص له الرسالة الثانية .

M.J. McGann, op. cit., p. 86.

(٢٢) Arist., Eth. Nic., iv, 11, 426a 13 ff

(٢٣) quae de iracundia dici solent a doctissimis hominibus ( Cic., ad Quint. Fr., i, 1, 37).

(٢٤) يـرى م. ج. مكجـان أن حديث هوراتيوس عن سنه هو إشارة إلى دخوله إلى مرحلة الكهولة ، فهو هنا يؤكد ما ذكره فى الرسالة الافتتاحية بأن سنه لم يعد كما سبـق عندما شرع فى كتابة الغنائيـات non eadem est aetas. (Ep., i, 1, 4)

(٢٥) E. Fraenkel, op. cit., p. 362.

(٢٦) ibid., p. 363.

(٢٧) Hor., Od., i, 38.

(٢٨) cf. Od., i, 38, Ep., i, 14, 16.

(٢٩) Ep., i, 20, 1; M.J. McGann, op. cit., p. 85

(٣٠) ڤرتومنوس Vertumnus . هو أحد الآلهة الإتروسكية التى عُبدت فى روما ، وقد اشتُق الجزء الأول من اسمـه من alo ولذا فـإن اسمـه يعنى « الإله الذى يغيـر من شكلـه» . وقد ارتبط هذا الإله بكل مظاهر

التغيير والتحول مثل تغيير فصول السنة ، والبيع والشراء (cf. Hor., Sat., ii, 7, 14) كما ارتبط بتطور نمو النباتات من براعم صغيرة إلى ثمار ناضجة . ويقصد هوراتيوس هنا أن كتابه في الرسائل قد اكتمل وصار ناضجاً .

(٣١) كان حجر الصقل يُستخدم لتنعيم حواف لفافات الورق ، أما الأخوان سوسيوس فهما من أشهر بائعي الكتب بروما :cf. Ars Poetica, 345 .

(٣٢) تشير هذه العبارة إلى الصناديق scrinia التي تُحفظ بداخلها الكتب ، وكانت هذه الصناديق تُغلق بأقفال وأختام .

(٣٣) تقع مدينة أوتيكا بالقرب من قرطاجة ، أما إيليردا Ilerda فهي إحدى مدن أسبانيا ، ويقصد من ذكرهما أن كتابه سيُرسل إلى الولايات الرومانية .

(٣٤) تقلد كل من لولليوس ولبيدوس منصب القنصل عام ٢١ق.م.

# الخاتمة

إن الأسباب التى دفعت هوراتيوس فى الأعوام ٢٣-٢٠ق.م. لتأليف الكتاب الأول من الرسائل ليست كلها معروفة ، لكن بعضها على الأقل واضح لنا . إذ إنه قرر ترك الشعر الغنائى عندما آذاه بشدة الاستقبال الفاتر لقصائده الغنائية **carmina** من قبل الجمهور . وتكشف الرسالة التاسعة عشرة عن مدى استيائه لهذا الأمر . ولذلك أخذ على نفسه عهداً بعدم قراءة قصائده على الجمهور الرومانى ما دام أفراده غير قادرين وغير مستعدين لتقديرها وإعطائها حقها من التقدير . وفى مناسبات عديدة كان الشاعر يعلن بوضوح عن عزمه الانسحاب من ساحة قرض الشعر التى تعنى بالنسبة له الشعر الغنائى ، وأن ذلك القرار كان قراراً لا رجعة فيه [١]. ويبدو أن هوراتيوس يقصد بالفعل مايقوله ، ولكن هناك مسحة من السخرية (εἰρωνεία) التى تعد جزءاً من شخصيته ، فلعل قراره يأتى من باب السخرية والتهكم من مكانة الشعر والشعراء لدى الجمهور الرومانى .

إن هجر قرض الشعر قرار صعب للغاية ما فى ذلك شك ، خصوصاً وأن الشاعر قد كرس نفسه لأجل هذه المهنة لسنوات طويلة ، على أية حال فإنه يبدو من الخطأ أن ننظر إلى اتجاهه إلى التأمل الفلسفى وإلى كتابة رسائل ذات طابع فلسفى على أنه الخيار الوحيد الباقى أمام هوراتيوس ، لكن من المؤكد أنه قد شعر بحاجة ملحة لأن يوجه وقته وفكره نحو المشكلات المهمة المتعلقة بسلوك الإنسان فى الحياة وبلوغ الحكمة التى دافع عنها ذات مرة [٢] ، والتى يحددها ويعرفها الآن بأنها تفيد الفقراء والأغنياء على حد سواء[٣].

إن من يحاول تحديد النوع الأدبى الذى تنتمى إليه رسائل هوراتيوس مثله كمثل من يبحث عن طوق النجاة فى بحر لجى يعج بالأمواج والأنواء . لقد حيرت هذه

الرسائل جميع الباحثين فهى تحتوى على العديد من العناصر لأكثر من نوع أدبى مما دفع الدارسين لتصنيفها تارة بأنها مراسلات شخصية ، وتارة بأنها هجائيات sermones ، وتارة بأنها أشعار مناسبات ، وتارة بأنها أعمال فلسفية على هيئة رسائل مثل رسائل أفلاطون وإبيقوروس . والحق أن صياغة هذه الرسائل الرائعة قد تمت بحيث تشتمل كل هذه العناصر مجتمعة .

يرى إى فرانيكل أن رسائل هوراتيوس ذات طبيعة مزدوجة ، واستشهد على صحة رأيه بالرسالة الرابعة عشرة ، حيث يقول إن الرسالة تبدو بأنها موجهة إلى ناظر الزراعة vilicus ولكنها فى الحقيقة موجهة إلى كل القُرّاء ممثلين فى شخص ناظر الزراعة.

فهو يعتقد أن أغلب رسائل هوراتيوس عبارة عن أشعار كُتبت فى مناسبات من وضع الشاعر ومن أجل غرض عملى فى لحظته الراهنة مثل إرسال التهانى ، المواساة وتخفيف الهم عن الأصدقاء ، ... إلخ . ويتم نشر هذه الرسائل فى كتاب فقط عندما يكون محتواها يهم الجميع ، فهى تنقل موضوعًا ما من الاهتمام الخاص لفرد واحد (أى المرسل إليه) إلى الاهتمام العام ( أى الجمهور ) بحيث يؤثر فى الكثير من الأشخاص .

إن رسالة هوراتيوس إلى ناظر عزبته تامة فى ذاتها ، وهى تختلف عن المراسلات الشخصية التى يكتبها الرومان فى حياتهم اليومية ، فهى تخبر القارئ بكل ما يحتاج أن يعرفه عن مكانة الرجل وعلاقته القوية بسيده ، وحالته المزاجية فى الوقت الراهن . وعلاوة على ذلك فإنها تظهر للقارئ وجهة نظر مدروسة ، وذلك من خلال موقف خاص فى لحظة خاصة ، فرغبة ناظر الزراعة فى تغيير أحواله تعد نموذجًا نمطيًا لخطأ ما قد يعرض فى أى وقت السعادة الحقيقية لكثير من الناس إلى الزوال :

«إن من يروقه حظ غيره يكره حظه بالطبع .»

**cui placet alterius, sua nimium est odio sors.**

**(Ep., i, 14, 11)**

وبالأخذ فى الاعتبار تجربتنا الإنسانية فإن الرسالة توجه مناشدة مباشرة للقارئ لتبنى آراء هوراتيوس(٤) .

لقد حدث أكثرمن مرة أن هرب هوراتيوس الشاعر من النمطية ، فقد كان يبحث عن التجديد دائماً ، والسؤال الذى يطرح نفسه هو : لماذا يصر هوراتيوس على ابتكار شخصيات من الخيال ليتحدث عنها ، فى حين أن الحياة الواقعية وعلاقته بأصدقائه تمده بالعديد من المواضيع الواقعية سواء التافهة أو الجادة ؟ وهل الرسائل هى التى تحقق هذا النوع من الاتصال بين الأصدقاء ؟

ومع ميله المتزايد للتأمل الفلسفي فإن هوراتيوس لم يكن ليهجر الموضوع الذى يتناوله فى الرسالة بل كان يقوم بتوسيعه بحيث يتسم بالعمومية ويصبح محور اهتمام كل القُرَّاء . وعلى ذلك أخرج هوراتيوس للوجود عشرين رسالة تعد أكثر مؤلفاته تناغماً . لقد عولجت الأفكار الفلسفية فى الرسائل من قبل ، كما هو الحال عند إبيقوروس ، كما أن الرسائل الشعرية كتبها الرومان من قبل ، كما هو الحال عند سبوريوس ميميوس ، لكنه حسب اعتقاد إى فراينكل لم يحدث قط فى الأدبين الإغريقى والرومانى أن وصلنا عمل يجمع بين فن الرسالة وشعر المناسبات لمعالجة أفكار فلسفية وموضوعات أخلاقية سوى الكتاب الأول من رسائل هوراتيوس(٥) .

وباستثناء الرسالة الختامية ، فإن هوراتيوس قد أظهر رسائل الكتاب الأول للقارئ وكأنها رسائل حقيقية موجهة إلى أصدقائه أو معارفه بهدف التعامل مع مواقف تستدعى إرسال خطاب أو بغرض إسداء النصح للمرسل إليه . وقد فرض السؤال التالى نفسه على دارس رسائل هوراتيوس : هل هذه الرسائل مراسلات حقيقية ؟ يرى إى بى موريس **E.P.Morris** أن رسائل هوراتيوس أعمال أدبية فى شكل مراسلات شخصية ، وقد حوت هذه الرسائل بعض سمات المراسلات الرومانية لإيهام القارئ بأنها من مراسلات هوراتيوس الشخصية . كما أن العنصر الفلسفى ، الذى يتجلى على وجه الخصوص فى الرسالة الثانية والسادسة والسادسةعشرة ، يصبغ الكتاب كله، مما يجعلها رسائل غير شخصية أى موجهة إلى الجمهور الأدبى كله ، وأن ما بها من موضوعات إنما تهم الجميع ولا تنحصر فى شخصية مراسليه . وينتهى إى بى موريس إلى أن صياغة هوراتيوس للرسائل شعراً يؤكد على أنها رسائل أدبية(٦) .

أما إ.هـ.هايت E.H.Haight فقد رأت أن رسائل هوراتيوس الشعرية ليست سوى شكلاً أدبياً تقليدياً ربما يعود إلى عصر سابقيه ، كما أن بعض الأدباء الرومان قد صاغوا رسائل شعرية(٧) مثل كاتوللوس الذى كتب قصيدتين فى شكل رسالة(٨) ، ولهذا فإنها تعتقد أن رسائل هوراتيوس تجمع بين الواقع والخيال الشعرى ، ويعد هذا أمر نادر الحدوث فى عصره . ولهذا ترى أن هذه الرسائل يجب أن نقرأها كأشعار مع إدراك تام للعنصر الشخصى القوى الذى تحتويه . كما أنه ينبغى الحذر من تفسير ما جاء بها بشكل حرفى . وحتى لو كانت الرسائل تقوم على موقف من واقع الحياة، فالأحرى بنا أن ننظر لها على أنها إبداع من الخيال الشعرى الذى أفرزته قريحة هوراتيوس الشاعر(٩) .

فى حين يرى و. آلان W. Allen أن رسائل هوراتيوس قد اشتملت جميع عناصر المراسلات الشخصية ، فعلى سبيل المثال نجد أن هوراتيوس قد ذكر اسم مراسله فى جميع الرسائل باستثناء الرسالة الرابعة عشرة الموجهة إلى ناظر عزبته **vilicus** ، والرسالة العشرين الموجهة إلى كتابه **liber** .

ومن عناصر المراسلات الشخصية التى وظفها هوراتيوس استخدامه للزمن الرسائلى ، حيث استخدم فى نهاية الرسالة العاشرة زمن الماضى المستمر بدلاً من زمن المضارع :

«كتبت إليك هذه الكلمات من خلف معبد ڤاكونا المتهدم.»

**Haec tibi dictabam post fanum putre Vacunae.**

**(Ep., i, 10, 49)**

استخدم هوراتيوس فى استهلاله للرسالة العاشرة إحدى صيغ التحيات المتبعة فى المراسلات الشخصية :

«نحن محبى الريف نبعث تحياتنا إلى فوسكوس المحب للمدينة.»

**Urbis amatorem Fuscum salvere iubemus**

**ruris amatores: ... (Ep., i, 10, 1-2a).**

كما اعتاد هوراتيوس ذكر اسم مراسله في البيت الأول في حالة المنادى وهو الأمر المتبع في المراسلات الرومانية في القرن الأول الميلادي :

«أيا ألبيوس ، أيها الناقد النزيه لهجائياتي ...»

Albi, nostrorum sermonum candide iudex, (Ep., i,4,1).

وكذلك في الختام نجد أن هوراتيوس قد استعمل صيغة الختام الرسائلي vive, vale في إحدى رسائله(١٠) .

ومن السمات الرسائلية التي اتبعها هوراتيوس إظهار المسافة المكانية بينه وبين مراسليه كما هو الحال في الرسالة الثانية :

« بينما أنت في روما ، يا ماكسيموس لولليوس ، تكتب مقالات خطابية

فإنني في برانيستي أعيد قراءة مؤلف عن الحرب الطروادية.»

Troiani belli scriptorem, Maxime Lolli,

dum tu declamas Romae , Praeneste relegi;

(Ep., i, 2, 1-2).

أظهر هوراتيوس عند كتابته لرسائله العديد من الدوافع المناسبة للمراسلات الشخصية : فقد تأتي الرسالة من باب العتاب(١١) ، أو الرد على طلب(١٢) ، أو طلب الرد على بعض استفساراته(١٣) ، أو التزكية(١٤) ، أو الدعوة على العشاء(١٥) . وفوق كل ذلك فإن الطابع الإخباري الذي هو أساس المراسلات الحقيقية كان يغلب على بعض الرسائل ، فقد حفلت بالعديد من الأخبار المعاصرة . فنراه يتحدث عن انتصار أجريبا على الكانتبريين وتيبريوس على أرمينيا(١٦) ، وكذلك حديثه عن مهمة تيبريوس في الشرق عام ٢٠ق.م.(١٧) .

وبهذا يتبين لنا أن رسائل هوراتيوس رغم أنها منظومة شعراً إلا أنها تحمل سمات الرسالة الشخصية وليس أدل على هذا من مقارنتها برسائل شيشرون وإيجاد ما بينهما من تشابه . لقد استعمل هوراتيوس في تزكيته لسبتميوس التعبيرات نفسها

التى دأب شيشرون على استخدامها فى الكتاب الثالث عشر من رسائله إلى أصدقائه **Ad Familiares** الذى خصصه لرسائل التزكيات . فعلى سبيل المثال مدح هوراتيوس المُزكَّى بالصفات **bonus, fortis, dignus** ، وهى الصفات نفسها التى كان شيشرون يستعملها[١٨] ، وللتعبير عن الامتنان من المرسل إليه استخدم هوراتيوس التعبير الشيشرونى :

**«كم هو ذو قيمة ما تفعله له »[١٩]**

**quanti me facias.**

يرى و. آلان أن وصف هوراتيوس لرسائله بأنها أحاديث **sermones** [٢٠] لاينفى أنها قد تكون مراسلات حقيقية ، فالرسالة الشخصية لها صوت يُسمع فهى حديث من المرسل إلى المرسل إليه ، ولهذا يُستخدم الفعلين **loquor, audio** فالمرسل يتحدث والمرسل إليه يسمع . فهذا شيشرون يقول لأتيكوس :

**«الآن استمع لما تسأل عنه »**

**nunc audi quod quaeris.**

**(Cic., ad Att., 2.9)**

وفى رسالة أخرى يقول لأتيكوس أيضًا :

**«فأنا بالرغم من أننى لا أجد ما أكتبه إليك ، فإننى على أية حال أكتب، لأننى أبدو وكأنى أتحدث معك. »**

**Ego, etsi nihil habeo, quod ad te scribam, scribo tamen,**

**quia tecum loqui videor. (Cic., ad. Att.,2,53)**

وقد خلص و. آلان إلى أن رسائل هوراتيوس قد جمعت كل مقومات المراسلات الشخصية للدرجة التى تجعل من الصعب على الدارسين التفرقة بينها وبين الرسائل الشخصية التى كان الرومان يتبادلونها فى حياتهم اليومية[٢١] .

ولهذا يقول م.ج. مكجان إن السؤال الذى ينبغى الإجابة عليه هو : هل كانت رسائل هوراتيوس مراسلات حقيقية ؟ ويجيب بأنه فى حالة الإجابة بنعم فكأننا نعتقد

أن هوراتيوس قبل أن يجمعها كان قد أرسلها إلى أصدقائه بهدف تحقيق الغرض الذى نستنبطه من متنها كدعوة توركواتوس إلى العشاء ( الرسالة الخامسة ) ، أو كأن يقدم لمايكيناس تبريراً عن غيابه عن روما (الرسالة السابعة) ، أو لإقناع ناظر عزبته المتذمر بأن وجوده فى الريف هو الحال الأفضل له ( الرسالة الرابعة عشرة) . وعندما لا يوجد غرض محدد من هذا القبيل فإن الغرض من الرسالة يكون فى الغالب إسداء النصح للمرسل إليه ( الرسائل : الثانية ، السادسة ، السابعة عشرة، الثامنة عشرة) . ولكن لكى تكون الرسالة رسالة حقيقية فإنه لا يكفى أن يقوم هوراتيوس بإرسالها إلى المرسل إليه ، فإنه من الضرورى أن يرسل الرسالة بنية التأثير فى مراسله وكأنه يحدثه مباشرة ، أو كأنه قد كتب له خطاباً بالنثر كما هو المعتاد فى مراسلات الرومان الشخصية .

وإذا سلمنا بأنها ليست مراسلات حقيقية فإن ذلك يعنى أنه لم يهدف من ورائها التأثير فى مراسله بل فى جميع قرائه ، وأن استفساراته ونصائحه ليس لها نتائج حقيقية بالنسبة لمن وجه إليهم هذه الرسائل[٢٢] .

ولعل النهج السائد الذى تبناه الدارسون تجاه هذه القضية يعتمد على تحليل الرسائل واستنباط البراهين المؤيدة لأى من هذين الرأيين .

يذكر هوراتيوس فى الرسالة الرابعة عشرة (٦-٨) أن مواساته للاميا لوفاة أخيه قد منعته من مغادرة روما إلى ضيعته السابينية، وهنا يرى إ. فراينكل أن هذه السطور تظهر أن الرسالة خطاب حقيقى . على أية حال ، فإن هذه الفقرة أيضاً قد تؤخذ كبرهان على براعة هوراتيوس فى صبغ رسائله بطابع المراسلات الحقيقية[٢٣]. ولعل س.بيكر على حق فى قوله إن هذه الأبيات ليست دليلاً دامغاً على أنها رسالة حقيقية، وذلك لأنها من ناحية أخرى تحتوى بعض العناصر التى تحول دون وصفها بأنها رسالة حقيقية[٢٤] .

يرى إى بى موريس أن التأكيد على بساطة المأدبة فى الرسالة الخامسة ، والمدح التقليدى للخمر ، ومناقشة المهام التى يضطلع بها المضيف ، هى عناصر غريبة على رسائل الدعوات ، وأن الهدف منها إعطاء الرسالة مناخ الاهتمام العام والتحذير من قراءتها كرسالة حقيقية[٢٥] .

لكن هذه المناقشة تدخل فى إطار ماهية العناصر غير المقبولة فى رسالة صاغها شاعر شعراً . وعلى أية حال فإن إى فراينكل يعتقد أنه من غير المقبول احتمال أن رسائل هوراتيوس قد تم إرسالها إلى أصدقائه لغرض محدد فى حين أنه كان ينوى منها مخاطبة القارئ العام أيضاً ، حيث تحتوى على أفكار ذات تأثير فى عدد أكبر من الناس(٢٦) .

لقد جعل هوراتيوس ، فى بعض الأحيان ، رسائله تبدو وكأنها رد على أقوال مراسله ، ولكنه فى الوقت نفسه لم يظهر كيف وصلته هذه الأقوال ، فهل وصلته عن طريق رسالة سابقة من مراسله ، أم عن طريق شخص ثالث . فهى إذن "استنتاج مستمد من الصمت" argumentum ex silentio . ويعد هذا هو حال الرسالة الرابعة عشرة حيث لا ندرى كيف أخبر ناظرالعزبة سيده بأمانيه فى الانتقال للعمل بروما . ويعتقد س. بيكر أن إغفال هوراتيوس لهذه النقطة يشير بأن هذه الرسالة ليست رداً على مثل هذا الطلب (٢٧) .

يعتقد م.ج. مكجيان أنه لا يمكن الأخذ بآراء كل من إ. فراينكل و إ. ب. موريس ، فهى مجرد تأكيدات بلا برهان دامغ ، إذ أسسا رأيهما حول طبيعة الرسائل من خلال تحليل كل رسالة على حدة ، فى حين يرى هو أن رسائل هذا الكتاب تمثل سلسلة . فهى وحدة متكاملة وتفسر بعضها البعض .

إن وصف إ. فراينكل للرسالة الواحدة على أنها قصيدة مستقلة بذاتها هو رأى صائب فى أضيق الحدود ، فبعد أن يقرأ القارئ إحدى الرسائل فإنه سيصل إلى المعنى ، ولكن هذا المعنى لن يكتمل إلا باستنباطه ضرورة ربط الرسالة بالرسائل الأخرى ، فكل رسالة تعد جزءاً من الكل .

فالوحدة العضوية تميز الكتاب ككل أكثر من الرسالة الواحدة ، ويتساءل م.ج.مكجيان ما إذا كان بمقدور هذا العمل المتسم بالتناغم والوحدة العضوية أن يأتى للوجود من خلال مجموعة من الخطابات الشخصية الشعرية التى تتسم بالتلقائية بهدف التعامل مع مواقف نابعة من واقع الحياة؟ فإذا فرضنا أن الرسائل التى يتكون منها الكتاب مقتطفة من عدد كبير من خطابات هوراتيوس الشخصية التى بعثها إلى

أصدقائه ، وأنها حوت مناقشات لبعض القضايا الأخلاقية وذلك لاهتمامه بدراسة فلسفة الأخلاق فى ذلك الوقت ، فإنه بذلك يخرج بموضوع رسالته عن نطاق الموقف الخاص بمراسله ويجعله موضوعًا عامًا .

على أية حال ، فإنه من الصعب الاعتقاد بأن الترابط والتناغم بين الأجزاء المختلفة بالرسائل مرده فقط إلى مهارة الشاعر فى اختيار مقتطفاته من مراسلاته وإعادة ترتيبها .

فالكتاب يعد عملاً فنيًا وذلك من خلال قدرة هوراتيوس فى التنظيم . فمن المحتمل أن أغلب الرسائل - إن لم يكن كلها - قد كُتبت بعد عمل مشروع لقصائد بسداسية الوزن فى شكل رسائلى وذات اهتمام أخلاقى، وأن عمليات التنقيح والتجويد لمسودات هذا المشروع كانت تتم لكل رسالة على حدة مع الأخذ فى الاعتبار علاقة أجزاء الكتاب بعضها البعض . وعندما شارف هوراتيوس على الانتهاء من العمل قام بتجويده ككل ، وذلك وفقًا لضوابط التوافق والتناغم بين الأجزاء المختلفة . وبهذا فإن هذه الرسائل ليست مراسلات شخصية حقيقية ينوى بها التأثير فى العالم، بل هى قصائد فى شكل رسائل(٢٨) .

ويدفعنا البحث عن طبيعة رسائل هوراتيوس إلى السؤال عن الشخصيات التى وجه إليها رسائله ، هل كلها شخصيات حقيقية أم لا ؟ فإذا فرضنا أن أغلبها شخصيات حقيقية ، فإن ذلك يجعلنا نتساءل : هل المواقف التى تبنتها الرسائل أحداث واقعية ؟ فهل فعلاً كان هوراتيوس متورطًا فى تزكيته لسبتميوس لدى الأمير تيبريوس ؟(٢٩) وهل لعب ڤينيوس فعلاً دورًا فى تقديم نسخة من الكتب الثلاثة الأولى لغنائيات هوراتيوس إلى الإمبراطور أوغسطس ؟(٣٠) وهل مرت العلاقة بين هوراتيوس ومايكيناس بأزمة حادة كالتى صورها فى الرسالة السابعة ؟

ويعتقد ج. ويليامز أنه لا ينبغى التسليم بأن المواقف الرسائلية مواقف حقيقية، فموقف هوراتيوس مع مايكيناس على سبيل المثال لا يعكس وجود أزمة يهدد فيها الشاعر صديقه وراعيه الأدبى بأنه سيعيد إليه هداياه ، وسينهى صداقتهما إن لم يسمح له بالاستمتاع بوقت فراغ حر **otia liberrima** . فلم يكن لهوراتيوس أن ينشر

الرسالة لو كان القرّاء يميلون إلى الاعتقاد أنها مصدر للمعلومات عنه وعن شئون مايكيناس الخاصة . ولكن هوراتيوس كان متيقنًا من أن قُرّاءه مدركون تمام الإدراك لتقاليد السيرة الذاتية فى الشعر ، ويعرفون أنها ترتبط فى الغالب بعنصر الخيال(٢١) .

والحق أن هوراتيوس قد قرر معالجة بعض المواضيع الأخلاقية الرائدة فى كتابه مثل العلاقة بين الراعى الثرى والتابع المتواضع الأصل ، وتفوق حياة الريف على حياة المدينة بالنسبة لإنسان اقترب من سن الشيخوخة ، وكذلك موضوع الملائمة . وقد تناول كل هذه الأفكار فى الرسالة السابعة ، حيث ناقش فى إطار رسائلى المواضيع التى يمكنها أن تلقى بظلالها على تابع مسن ابتعد عن جانب سيده الثرى عظيم الشأن، وهو يلهث وراء الحياة الآمنة والهادئة فى الريف .

إن دور التابع ضُرب له المثل بعلاقة هوراتيوس بصديقه مايكيناس ، وعلى الرغم من أن الصداقة الحقيقية بينهما تمثل خلفية هذه المناقشة ، إلا أن الرجلين هنا مجرد أدوات، أو نماذج لقضية عامة ، ولا يوجد ما يبرر الاعتقاد بأن هوراتيوس قد كشف عن أزمة قائمة بينه وبين مايكيناس(٢٢) .

لكن ألا ينبغى لنا بسبب هذا التمييز بين الشاعر كإنسان وبين شعره ، خشية أن يمتد هذا الاعتقاد إلى كل المحتوى الأخلاقى للكتاب وإلى الصورة التى يرسمها هو لنفسه ؟ ولعمل هذا فإننا سنتفق مع المبدأ النقدى الحديث للقناع الشعرى(٢٣) . على أية حال فإنه سيكون نقدًا متطرفًا أن نشكك فى اعتقاد هوراتيوس بأن الحكمة التى تحتويها رسائله هى خير مرشد للسعادة، ولكن هل هذا الاعتقاد يؤكد الصورة التى رسمها لنفسه كواعظ أخلاقى ؟ على أية حال ، فإن الكتاب لا يُقرأ كسيرة ذاتية ، سواء أكانت حقيقية أم من وحى خياله .

ويعتقد م.ج. مكجان أن الكتاب الأول من رسائل هوراتيوس يحمل تشابهًا ملحوظًا بمؤلفات معاصريه مثل بروبرتيوس ، وأنه من حيث عدد القصائد ومقدار طولها فإن كتاب الرسائل يتشابه مع كتب بروبرتيوس الثلاثة الأولى .

أما الأمر الذى يعد أكثر أهمية من هذا فهو ذلك التشابه فى الوحدة العضوية النابعة من كون الشاعر مشغولاً باهتمام واحد ، وهو تصوير عاطفة الحب عند

بروبرتيوس ، وفلسفة الأخلاق كما يراها هوراتيوس. وبالتالى فإن انطباع السيرة الذاتية الذى نراه عند كلا الشاعرين يعد أمراً جزئياً وغير جوهرى : فبروبرتيوس يظهر نفسه كعاشق amator معلم للعشق praeceptor amoris ، أما هوراتيوس فيبدو كمرشد أخلاقى لبلوغ الحكمة . كما أن ارتباط مدح الريف laudes ruris بفلسفة الأخلاق فى الرسائل يمكن مقارنته بدور الريف عند تيبوللوس .

وبالرغم من أن هذا الكتاب الرسائلى يتشابه إلى هذا الحد بأعمال الشعراء الإليجيين ، إلا أنه فى الوقت نفسه يعبر عن رفضه لاهتمامهم الرئيسى ، ألا وهو تصوير عاطفة الحب ؛ فالحب هو أحدالمواضيع غير الجادة ludicra التى قرر أن ينأى شاعرنا بنفسه عنها . وهكذا فإنه لا توجد رسائل إلى Lalage أو Glycera أو Cinara ، كما أنه لا يوجد ما يوضح أن غلاماً مثل Damalis سيكون موجوداً فى الوليمة التى أعدها لتوركواتوس بالرسالة الخامسة(٣٤) . إن علاقة هوراتيوس بكينارا تعود إلى الماضى الذى لايخجل منه ، ولكنه مايبعث على الخجل حقاً هو أن تستمر علاقته بها إلى *الوقت الحالى*(٣٥).

لقد وصل هوراتيوس إلى مرحلة كان الإليجيون يتمنون الوصول إليها فى المستقبل :

**«وقريباً جداً ستزحف الشيخوخة البطيئة، وسوف يكون من المناسب أن تعلن**

**أن الغزل وإغراءات الحب لا تتفق مع الشعر الذى يعلوه الشيب. »**

**iam subrepet iners aetas, amare decebit,**

**dicere nec cano blanditias capite.**

**(Tib., i, 1, 71-2)**

وهذا بروبرتيوس يخطط كيف سيقضى وقته عندما يكف عن العشق، فهو ينوى الاتجاه نحو الفلسفة والتأمل فى الكون ، ولكن اهتماماته ستكون أقرب إلى إكيوس(٣٦) منه إلى هوراتيوس :

«وعندما يعترض العمر الثقيل طريق ڤينوس فى ذلك الوقت ،
وتنثر الشيخوخة المشيب على خصلات شعرى السوداء ،
فعندئذ سيسرنى أن أتأمل فى نواميس الطبيعة ،
وأن أعرف أى إله يحكم بقدرته هذا الجزء من العالم . »

**atque ubi iam Venerem gravis interceperit aetas,**

**sparserit et nigras alba senecta comas,**

**tum mihi naturae libet perdiscere mores,**

**quis deus hanc mundi temperet arte domum.**

**(Prop., iii, 5, 23-26)**

ولا يوجد فى هذه الإليجية ما يدل على أن أشعار بروبرتيوس ستواصل الحديث عن عاطفة الحب ، أو أن دراساته الفلسفية ستمده بمادة شعرية . وقد يبدو الأمر نفسه صحيحاً بالنسبة لنية ڤرجيليوس المزعومة بالتحول نحو الفلسفة بعد انتهائه من نظم الإنيادة(٢٧) . أما هوراتيوس فقد قدم أشعاراً ذات طابع أخلاقى كنتيجة لاهتمامه بدراسة فلسفة الأخلاق(٢٨) :

« لذلك فإننى الآن أطرح جانبًا كلاً من الشعر والموضوعات الأخرى المازحة،
فأهتم وأبحث عما هو حقيقى ولائق ، وأنغمس فيه بكل كيانى »

**nunc itaque et versus et cetera ludicra pono,**

**quid verum atque decens, curo et rogo et omnis**

**in hoc sum. (Ep., i, 1, 10-11)**

لاشــك فى أن مـؤلفـات هــوراتيـوس السـابقــة كـانت تحـتـوى بـعض العناصـر الفلسفية(٣٩) وخصوصـاً الكتاب الثانى من الهجائيات ، وهو العمل السابق على الكتاب

الأول من الرسائل ، حيث اتخذ من الفلاح البسيط أوفيللوس كنموذج للحكيم الذى يزكى الحياة البسيطة ، وهى من المحاور الأساسية بكتابه الرسائلى . كما أن قصة فأرى المدينة والريف فى الهجائية السادسة قد طورها هوراتيوس من خلال قصة مينا وفيليبوس بالرسالة السابعة .

إن تركيز هوراتيوس على عرض آراءه الفلسفية فى الرسائل هو ذروة انخراطه الطويل في فلسفة الأخلاق(٤٠) . لقد نجح هوراتيوس فى خلق نوع أدبى جديد يجمع بين الإبداع الشعرى بما فيه من خيال وتصورات وبين فلسفة الأخلاق ، وذلك فى إطار سلسلة من الرسائل المنفصلة فى مواضيعها ودوافعها ، ولكنها متصلة ببعضها بحيث تفسر بعضها البعض(٤١) .

إن ثمار بحث هوراتيوس فى الحكمة قد انصهرت وتوحدت بهدف إفادة أصدقائه ، ولقد تعددت نصائحه وتنوعت وجهات نظره الفلسفية فى هذه الرسائل مما يحير الدارسين : فمنهم من رأى أنه إبيقورى(٤٢) ، ومنهم من ظن أنه رواقى جاد(٤٣) ، واعتقد أغلبهم أنه انتقائى المذهب(٤٤) . وأرى أن الرأى الأخير هو الرأى الصائب فقد كان هوراتيوس يولف بين وجهات نظر أخلاقية شتى ، فمن المتعة **voluptas** الإبيقورية إلى الثبات **fortitudo** الرواقى . وكانت هناك نقاط ارتباط بين هذا وتلك ، وذلك مرده إلى دراسته للفلسفة الأكاديمية وألفته بكتابات شيشرون الفلسفية .

لقد أثنى شيشرون على أعضاء المدرسة الأكاديمية لتحليهم بالقدرة على التحمل، فقد حرصوا على مساندة بعضهم البعض للوصول إلى أفضل نهج للحياة وهو «حياة الطريق المستقيم» **recta vivendi via**(٤٥) .

إن الشكل الرسائلى لبعض محاورات شيشرون قد يكون هو الذى أوحى إلى هوراتيوس أن يقرر إبداع لون جديد من الشعر . ولا يعتقد ر.هاينز **R.Heinze** فى التأثير الشيشرونى على رسائل هوراتيوس على أساس أن رسائل شيشرون ليست ذات طابع فلسفى ، كما أن مؤلفات شيشرون الفلسفية ليست على نفس شاكلة رسائل هوراتيوس الذى كان متيماً بقراءة النماذج **exemplaria** الإغريقية آناء الليل وأطراف النهار(٤٦).

على أية حال ، فإن شيشرون قد كتب محاوراته الفلسفية sermones باللاتينية للرومان الذين يعرفون الأصول الإغريقية ، وذلك لتقريب الفلسفة للرومان بلسانهم، وإثبات أن هذا الأمر يمكن فعله بنوع من الحرص فى استخدام اللغة والأسلوب (٤٧).

، كتب بلينيوس الأكبر تمهيداً رسائليًا رائعًا لمؤلفه التاريخ الطبيعى Historia Naturalis الذى أهداه للإمبراطور تيتوس عام ٧٧م ، وفيه يخبرنا بنجاح التجربة الشيشرونية فى نقل الفلسفة الإغريقية إلى الرومان . وقال إن مؤلفات شيشرون كالجمهورية وعن الواجبات يجب أن تُحفظ عن ظهر قلب(٤٨) . والحق أن هوراتيوس يدين بالكثير إلى كتابات شيشرون الفلسفية وخصوصًا عمليه "عن الصداقة" و «عن الواجبات » كما سبق أن بينًا أثناء تحليلنا للرسائل .

إن مثل هوراتيوس كمثل شيشرون ، كان لديه أصدقاء حميمين من الإبيقوريين الذين درس مبادئهم جيداً ، ولعله كان أكثر ميلاً إلى معتقداتهم الأخلاقية وعاداتهم من شيشرون، الذى كان بحق غارقًا فى أمواج شئون الدولة mersus civilibus undis(٤٩) . وإذا كان شيشرون لم يعط مساحة كافية لعرض مبادئ معلميه الإبيقوريين مثل فايدروس وزينون ، أو بعض أصدقائه المقربين مثل أتيكوس ، فإن هوراتيوس قد فعل هذا ولا غرابة فى ذلك فقد وجه رسائله إلى شخصيات متباينة ، وكان يوصى بتقديم تلك المبادئ الإبيقورية فى بعض الأحيان (٥٠) .

خلاصة القول إن أشعار هوراتيوس التى تتناول علاقته بأصدقائه ذوى الأعمار المختلفة وذوى المكانة المتباينة قد جُمعت فى كيان واحد ، اتسم بالجدية أحيانًا ، وبالمزاح فى أحيان أخرى . ومثلما لعب بروبرتيوس دور معلم الحب praeceptor amoris فى إليجياته ، فإن هوراتيوس لعب دور معلم الصداقة praeceptor amicitiae المتشبع بالفلسفات الأخلاقية وخاصة آراء شيشرون ، وأفرز لنا أشعاراً جادة وليست هزلية ludicra .

# الهوامش

(١) Nunc itaque et versus et cetera ludicra pono; (Ep., i, 1, 10).
ergo fungar vice cotis, acutum
reddere quae ferrum valet, exsors ipsa secandi;
munus et officium, nil scribens ipse, docebo, (Ars P., 304-6).

(٢) ...... ; sed quod magis ad nos
pertinet et nescire malum est .......( Sat., ii, 6, 72-3)

(٣) .........................quod
aeque pauperibus prodest, locupletibus aeque, (Ep., i, 1, 24-5)
E. Fraenkel, op. cit., pp. 308 f.

(٤) ibid., p. 313.

(٥) ibid., p. 309.

(٦) E.P. Morris, op. cit., pp. 107-114.

(٧) يخبرنا شيشرون أن سبوريوس موميوس وجه رسائل شخصية إلى أصدقائه وصاغها شعراً :
epistulas ..... versiculis facetis ad familiaris missas ( Cic., ad Att., 13 ba)

(٨) Catull., 65, 68.

(٩) E.H. Haight, " Epistula item quaevis non magna poema est: a Fresh Approach to Horace's First Book of Epistles, " SPh xlv (1948), pp. 537 - 40.

(١٠) Ep., i, 6, 67; W. Allen, : "Horace's First Book of Epistles as Letters," CJ lxviii (1972), pp. 120 ff.

(١١) Ep., i, 7, 1 f.

(١٢) Ep., i, 1, 1-3.

(١٣) Ep., i, 3, 30; i, 5, 30; i, 15, 25; i, 16, 4.

(١٤) Ep., i, 9; i, 12.

(١٥) Ep., i, 5.

(١٦) Ep., i, 12, 25-29.

(١٧) Ep., i, 3, 1-5; B. Stenuit, "Correspondances entre les épîtres du livre 1 d'Horace", *Latomus xlvi (1981), pp. 575 f.*

(١٨) Cic., ad Fam., 13.77.

(١٩) *Cic., ad Fam., 13.67.*

(٢٠) Ep., ii, 1, 4.

(٢١) W. Allen, op. cit., pp. 127 ff.

(٢٢) M.J. McGann, op. cit., p. 89.

(٢٣) E.Fraenkel, op. cit., p. 311.

(٢٤) C. Becker, op cit. p., 21.

(٢٥) E.P.Morris, op. cit., p. 93.

(٢٦) E. Fraenkel , op. cit., p. 314.

(٢٧) C. Becker, op. cit., p. 22.

(٢٨) M.J. McGann , op. cit., pp. 92 ff.

(٢٩) Ep., i, 9

(٣٠) Ep., i, 13

(٣١) G. Williams, " Poetry in the Moral Climate of Augustan Rome," JRS lii (1962), p. 40.

(٣٢) M.J. McGann, op. cit., p. 95.

(٣٣) أنظر : G.T. Wright, The Poet in the Poem, Berkeley, (1962)

وعن تطبيق هذا المبدأ على هجائيات هوراتيوس :

W.S. Anderson, Critical Essays on Roman Literature, Satire (ed. Sullivan J.P.), London, (1963).

(٣٤) يعد الاستثناء الوحيد لهذا الكلام هو إشارته إلى رغبته فى إقامة علاقة مع محظية لوكانية (Ep., i, 15, 21) Lucana amica . ولكن نزوة عابرة مع فتاة من هذا النوع ستكون أقل وطأة عند هوراتيوس من الوقوع تحت سيطرة سيدة من سيدات روما الفاتنات والمتفلسفات.

(٣٥) Ep., i, 14, 32-6.

(٣٦) Ep., i, 2, 16ff.

(٣٧) ut reliqua vita tantum Philosophiae vacaret. (Donat.,Vit., Verg.,35)

(٣٨) M.J. McGann, op. cit., pp. 97 f.

(٣٩) بالنسبة لأشعاره الغنائية انظر: Od., ii, 3; ii, 16; iii, 1; iii, 29 .

(٤٠) W.S. Anderson, " Autobiography and Art in Horac," A Classics Symposium, edited by G.K. Galinski, Austin, (1974), p. 32.

M.J. McGann, op. cit., pp. 99 f. (٤١)

N.W. De Witt, *Épicurean Doctrine, op. cit., pp. 127 - 134.* (٤٢)

S.J. Harrison, " Fuscus the Stoic : Horace Odes 1.22 and Epistles 1.10", CQ xlii (1992), pp.543 - 547. (٤٣)

W.S. Maguiness, " The Eclecticism of Horace," Hermath xlii (1938), pp. 27-46. (٤٤)

*Cic., Tusc., i, 1, 1* (٤٥)

R. Henize, "Horazens Buch der Briefe ", NJb xliii (1919) p. 308. (٤٦)

Cic., de Off., i, 1, 1-3 ; Tusc., ii, 1, 5 (٤٧)

Plin., H.N., Pref., 22. (٤٨)

Hor. Ep., i, 1, 16. (٤٩)

R.S. Kilpatrick, op. cit., pp. 106 ff. (٥٠)

# قائمة المراجع

## أولا : مراجع باللغة العربية :


- أحمد عتمان ، الأدب الإغريقي ، تراثًا إنسانيًا وعالميًا ، دار المعارف ، القاهرة (١٩٨٦).
- أحمد عتمان ، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري حتى نهاية العصر الذهبي ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة (١٩٩٥).
- أميرة حلمي مطر ، الفلسفة عند اليونان ، دار النهضة العربية ، القاهرة (١٩٦٨).
- عبد العظيم عبد الكريم، الأدب الروماني من البداية حتى نهاية عصر شيشرون، كلية اللغات والترجمة . جامعة الأزهر (١٩٨٢) .
- على عبد التواب على ، «خمريات هوراتيوس بين المحاكاة والأصالة » ، مجلة كلية الآداب، مجلد ٦١ ، عدد ١ (٢٠٠١)، ص ص ٤٥٣ - ٥١٤.
- محمد حسن وهبه ، تاريخ الأدب الروماني في البداية وحتى نهاية العصر الذهبي، القاهرة ،(١٩٩٧- ١٩٩٨) .


## ثانيا : مراجع بلغات أجنبية :


- Allen W., "Horace's First Book of Epistles as Letters", CJ lxviii (1973), pp. 119 - 138.
- Anderson W.S., " Autobiography and Art in Horace". In Perspectives of Roman Poetry : A Classics Symposium, edited by G.K. Galinski, Austin 1974, pp. 33- 56 .

- Idem, " The Roman Socrates: Horace and his Satires". In Critical Essays in Roman Literature : Satire, edited by J.P. Sullivan, London, 1963. pp. 1-37.
- Balsdon J.P.V.D., Life and Leisure in Ancient Rome. New York (1966).
- Becker C., Das Spätwerk des Horaz. Göttingen (1963).
- Bourgery A., " A Propos d'Horace," RPh ix (1935), pp. 130-132.
- Brouwers A., "Horace et Albius". In Etude Horatiennes, Bruxelles (1937), pp. 53-64.
- Brunt P.A., "Amicitia in the Late Roman Republic", PCPC xi (1965), pp. 1-20.
- Büchner K., Horaz, Berlin (1939).
- Commager S., The Odes of Horace: A Critical Study. New Haven (1962).
- Conte G.B., Latin Literature , A History. Translated by J.B. Solodow, Johns Hopkins Univ. (1994).
- Courbaud E., Horace, Sa Vie et sa Pensée à l'Epoque des Epitres, Paris (1914).
- Crowther N.B., "Water and Wine as a Symbol of Inspiration," Mnemosyne xxxiii (1979), pp. 1-11.
- De Witt N.W., " Parrhesiastic Poems of Horace," CPh xxx (1935), pp. 312-319.
- Idem, " Epicurean Doctrine in Horace," CPh xxxiv (1939), pp.127-134.
- Duff J.W., A Literary History of Rome., Vol. 1, London (1960).
- Edwards P.H., The Poetic Element in the Satires and Epistles of Horace, Diss., Baltimore (1905).
- Eidinow J.S.C., " Horace's Epistle to Torquatus (Ep. 1.5)", CQ vl (1995), pp. 191 - 199.
- Fairclough H.R., Horace; Satires, Epistles and Ars Poetica. L.C.L. London (1926).
- Fiske G.C., Lucilius and Horace, Madison, (1920).
- Foster J., " Horace, Epistles i, 3, 25 ff.," Mnemosyne xxv (1972), pp. 303-306.
- Fraenkel E., Horace, Oxford (1957).
- Garn E., Odenelemente im i. Epistelbuch des Horaz, Freiburg(1954).
- Giangrande L., The Use of Spoudaiogeloin in Greek and Roman Literature, Paris (1972).

- Hadas M., The Basic Works of Cicero, New York (1951).
- Haight E.H., "Epistula item quaevis non magna poema est: A Fresh Approach to Horace's First Book of Epistles", SPh vi (1948), pp. 525 - 540.
- Harrison S.J., " Fuscus the Stoic : Horace Odes i, 22 and Epistles i,10", CQ xxxxii (1992), pp. 543-547.
- Idem , " Deflating the Odes : Horace Epistles, i, 20", CQ xxxviii (1988), pp. 473-477.
- Heinze R., " Horazens Buch der Briefe", NJb iil (1919), pp.305-316.
- Hiltbruner O., " Volteius Mena: Interpretationen zu Hor. Epist, i,7", Gymnasium lxvii (1960), pp.289-320.
- Humfrey G. H., Roman Panorama. Cambridge (1944).
- Kenney E.J., " A Question of Taste : Horace, Epistles, i,14, 6-9", ICS ii (1977) , pp. 229 - 239.
- Kilpatrick R.S., The Poetry of Friendship. Horace, Epistles i, Canada (1986).
- Idem, "Fact and Fable in Horace Epistle i,7", CPh lxviii (1973), pp.47-53.
- Long A.A., Hellenistic Philosophy, California (1986).
- Macleod C.W., "The Poetry of Ethics:Horace, Epistles i," JRS lxvix (1979), pp.16-27.
- Maguiness W.S., "The Eclecticism of Horace", Hermathena lxxxi (1938), pp. 29-48.
- Mary B. & Michael C., Rome in the Late Republic, Duckworth (1985).
- Maurach G., " Der Grundriss von Horazens erstem Epistelbuch", Act Calss xi (1968), pp. 73-124.
- Mayer R., Horace, Epistles Book i, Cambridge(1994).
- McGann M.J., Studies in Horace's First Book of Epistles, Bruxelles (1969).
- Idem, "The Sixteenth Epistle of Horace", CQ x(1960), pp.205-212 .
- Momigliano A., Review of B. Farrington, Science and Politics in the Ancient World. in JRS xxxi (1941), pp. 149-157.
- Morris E.P., " The Form of the Epistle in Horace", YCS ii (1931), pp. 18-114.
- Nisbet R.G.M., "Notes on Horace, Epistles i," CQ ix (1959), pp.73-76.

- Oltramare A., Les Origines de la Diatribe Romaine. Paris (1926).

- Perret J., Horace. Paris (1959); Translated by B. Humez, New York (1964).

- Putnam M.J., " Horace and Tibullus, CPh lxvii (1972), pp.18-88 .

- Reckford K. J., "Horace and Maecenas", TAPhA xc (1959), pp. 195- 208.

- Reesor M.E., The Political Theory of the Old and Middle Stoa, New York (1951).

- Reid J.S., M.Tulli Ciceronis Academica, London (1885).

- Rodez K. M., " Recherches sur " la familia " de M. Agrippa ", Athenaeum lx (1982), pp. 84-112.

- Rudd N., The Satires of Horace, Cambridge (1967).

- Sinko T., " De Romano viro bono" Acta Acad. Gracoviensis xxxvi ( 1903 ), pp. 251 - 300.

-Standford W.B., The Ulysses Theme, Oxford (1954).

- Stenuit B., "Correspondances entre les épitres du livre I d'Horace", Latomus ivl (1981), pp. 573-582.

- Tyrrell R.Y. and Purser L.C., The Correspondence of Cicero, Arranged According to its Chronological Order, 7vols, Dublin (1879).

- Wagenvoort H., Studies in Roman Literature, Culture and Religion, Leiden (1956).

- Wickham E., Quinti Horati Flacci Opera Omnia, 2nd ed., Oxford (1912).

- Wili W., Horaz , Basel (1948).

- Wilkinson L.P., Horace and his Lyric Poetry, Cambridge (1951).

- Williams G., " Poerty in the Moral Climate of Augustan Rome", JRS lii (1962), pp. 28-46,

- Idem , Tradition and Originality in Roman Poetry, Oxford (1968).

- Idem, The Nature of Roman Poetry, London (1970).

- Witke C., Latin Satire, Leiden, E.J. Brill (1970).

- Wright G.T., The Poet in the Poem, Berreley (1962).

- Zeller E., The Stoics, Epicureans and Skeptics, Translated by O.J. Reichel, London (1896).

## المترجمان في سطور :

### ١ - صلاح رمضان السيد

- ولد الدكتور صلاح السيد فى الجيزة عام ١٩٦٢

- تخرج من قسم الدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٨٤

- حصل على درجة الماچستير من القسمم نفسه عام ١٩٩٠

- حصل على درجة الدكتوراه من القسم نفسه عام ١٩٩٧

- حصل من المركز الإيطالى يالقاهرة على جائزة «إينياس» عام ٢٠٠٠ لأفضل ترجمة من اللاتينية إلى العربية .

- يعمل حاليًا فى وظيفة أستاذ مساعد بقسم الدراسات اليونانية واللاتينية بجامعة القاهرة .

### ٢ - على عبد التواب على

- ولد الدكتور على عبد التواب على فى القاهرة عام ١٩٦٣

- تخرج من قسم الدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٨٤ .

- حصل على درجة الماچستير من القسم نفسه عام ١٩٨٩ .

- حصل على درجة الدكتوراه من القسم نفسه عام ١٩٩٥ .

- حصل من المركز الإيطالى بالقاهرة على جائزة «إينياس» عام ٢٠٠٠ لأفضل ترجمة من اللاتينية إلى العربية .

- يعمل حاليًا فى وظيفة أستاذ مساعد بقسم الدراسات اليونانية واللاتينية بجامعة القاهرة .

## المراجع فى سطور :

الأستاذ الدكتور/ محمد حمدى إبراهيم ، أستاذ الدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب - جامعة القاهرة - منذ عام ١٩٨٦

## الوظائف التى شغلها :

- رئيس قسم الدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٧٨ - ١٩٨٩
- وكيل كلية الآداب - جامعة القاهرة لشئون الطلاب ١٩٨٩ - ١٩٩٢
- عميد كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٩٢ - ١٩٩٧
- نائب رئيس جامعة القاهرة للدراسات العليا والبحوث ١٩٩٧ - ٢٠٠٠
- مدير المجلس العربى للدراسات العليا والبحث العلمى التابع لاتحاد الجامعات العربية ١٩٩٨ - ٢٠٠١
- يشغل حاليًا منصب مستشار رئيس جامعة القاهرة لمركز التعليم المفتوح اعتبارًا من ٢٠٠١
- عضو فى العديد من المؤسسات والهيئات العلمية والبحثية .
- حصل على جائزة جامعة القاهرة التقديرية فى العلوم الإنسانية عام ٢٠٠١

الإشراف اللغوى : حسام عبد العزيز

الإشراف الفنـــى : حســن كامـــل



تعد الرسائل العشرون التى يحتويها الكتاب الأول من رسائل الشاعر هوراتيوس وذلك بإجماع المتخصصين فى الأدب اللاتينى من أروع ما سطره الشعراء الرومان؛ وذلك لأنها تأتى كأنموذج يفيض بالحياة لاجتهاد الأديب وإخلاصه فى محاولته الواجبة للإسهام فى توطيد أركان البناء الفكرى لأمته، وهو الأمر الذى قام به شاعرنا خير قيام، فقد أخذ على عاتقه منذ بداية مشواره مع الشعر والفكر أن يسدى النصح الأخلاقى لمواطنيه من الرومان، خاصة للشباب منهم، ومن بين هؤلاء الشباب خص هوراتيوس أصدقاءه المقربين بسديد آرائه، وبث لهم بين ثنايا قصائده خلاصة تجربته الأدبية والإنسانية محاولا أن يصوغ لهم أنموذجا إنسانيا أخلاقيا يكون بمثابة نبراس تسير عليه الأجيال اللاحقة. وهو بلا شك كان يدرك بوعى الأديب والشاعر والمفكر، أنه كلما أخلص فى نصحه وإرشاده، فإنه يحقق بذلك لأشعاره ومن ثم لنفسه حظا أوفر من الخلود، سواء بين الرومان من بنى جلدته أو بين شعوب بنى الإنسان عموما فى كل أرجاء المعمورة، وهو الأمر الذى يراه الجميع قد تحقق له بالفعل.

